

2269
.38
.3525
.11

2269.38.3525.11
al-Ghazzālī
Kitāb al-arba'īn fī usūl
al-dīn

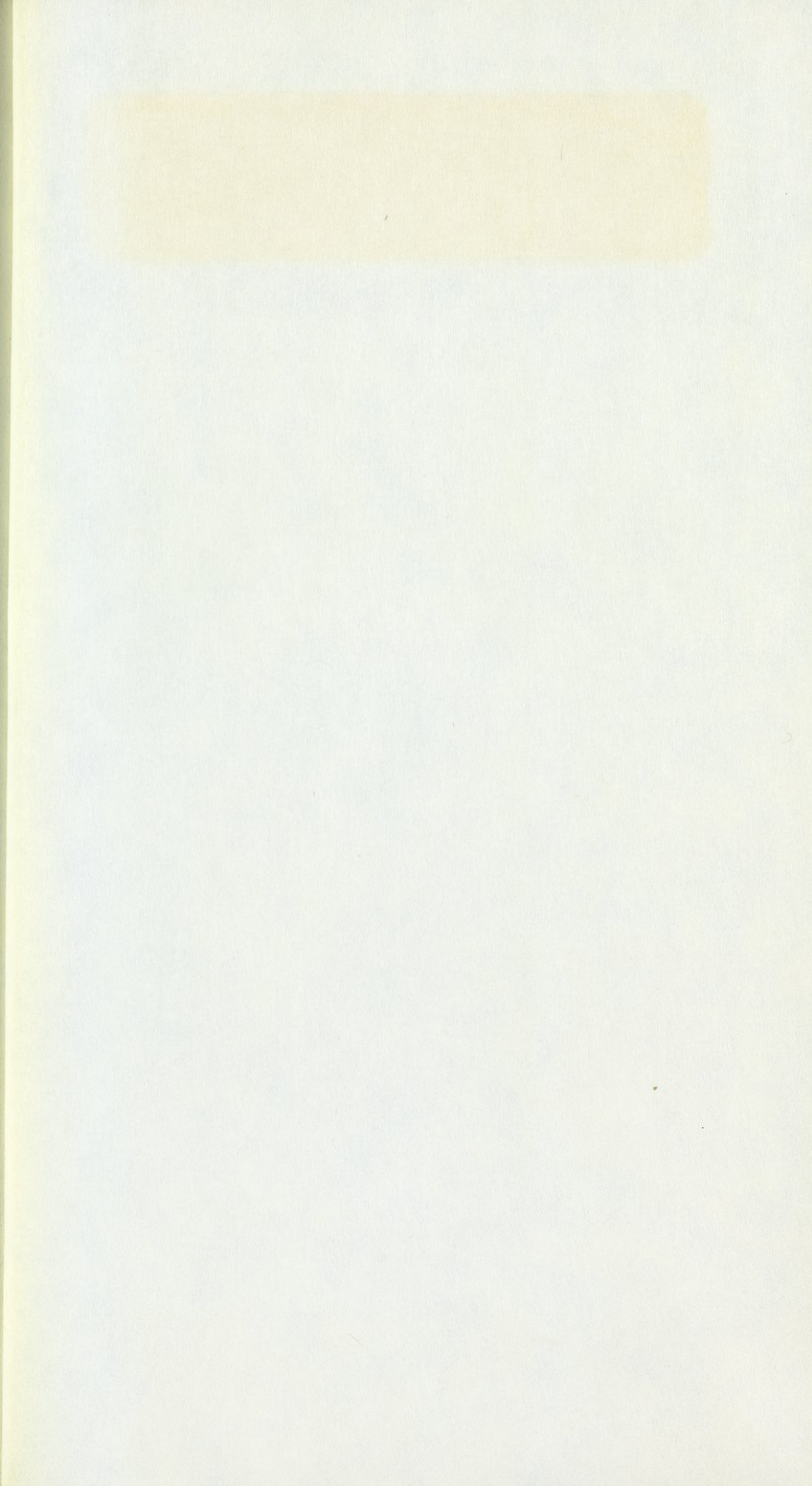
DATE	ISSUED TO		
DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
XXXXXXXXXX			
RETURNED		21/80	
DUE JUN 15, 1964			

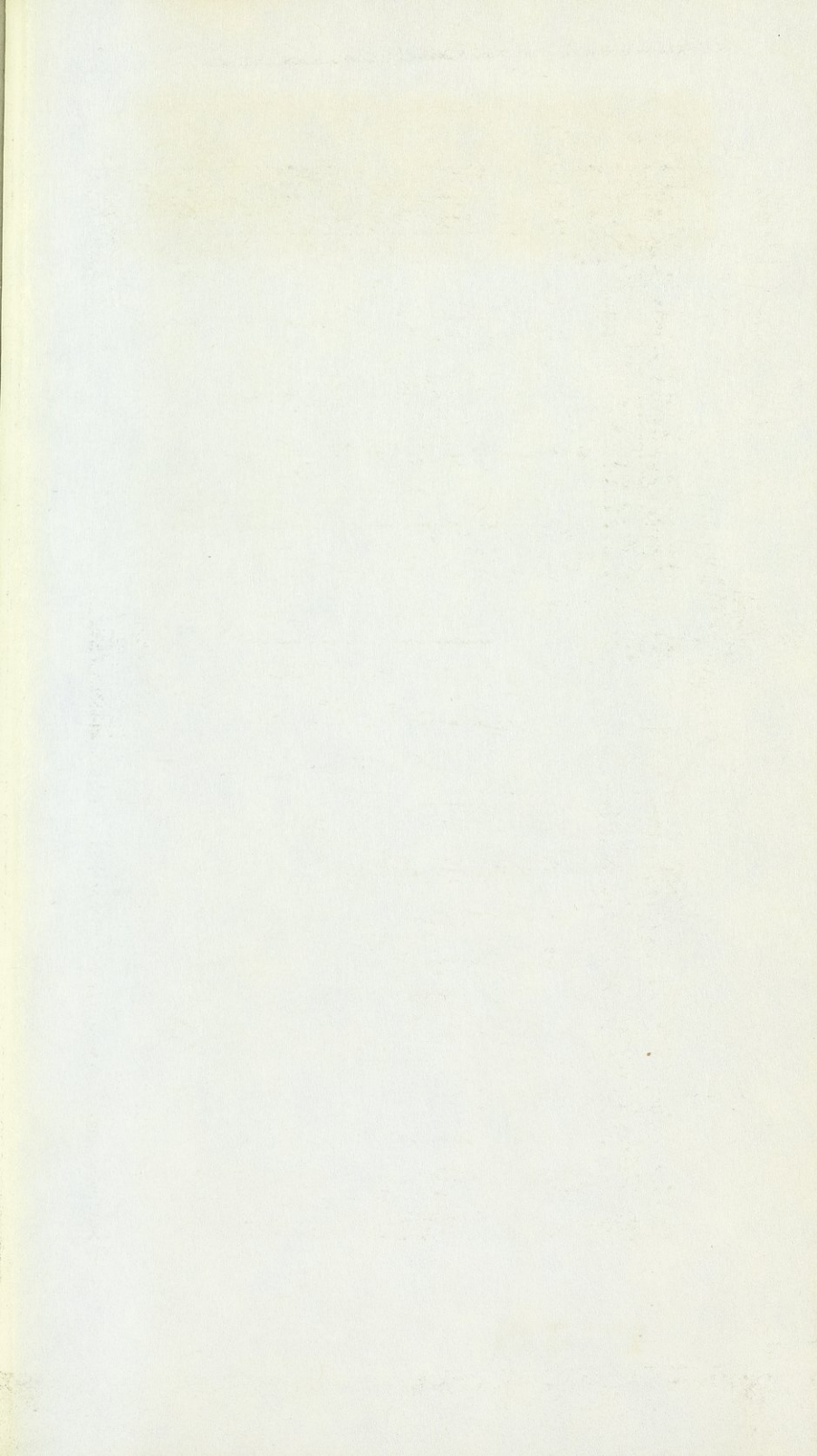


a32101



004693063b





كتاب الأربعين

في أصول الدين للامام حجة الاسلام
أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥

قال في كشف الظنون وهو قسم من كتابه المسمى
بجواهر القرآن * وقد اجاز ان يكتب مفردا
فكتبوه وجعلوه كتابا مستقلا لهذا طبعناه مستقلا

طبع على نفقة حضرة الفاضل * الشيخ محي الدين *
صبري الكردي الكاينمشكاني

﴿ تنبيه ﴾

ليعلم ان النسخة التي طبع عليها هذا الكتاب من
أجل النسخ حيث كانت مكتوبة بخط أحد الأئمة
الكبار في القرن السابع الاسلامي * وفضلا عن
ذلك قابلناها ببعض النسخ المتواجدة بالعراق

— ٣٤٣ — ٤٤٤ —

فكل من يجاسر على طبعه يحاكم قانونا ويلزم بالتعويض

طبع بمطبعة * كردستان العلمية * لصاحبها

فرج الله زكي الكردي بمصر * سنة ١٣٢٨

KITAB AL-ARBACIN

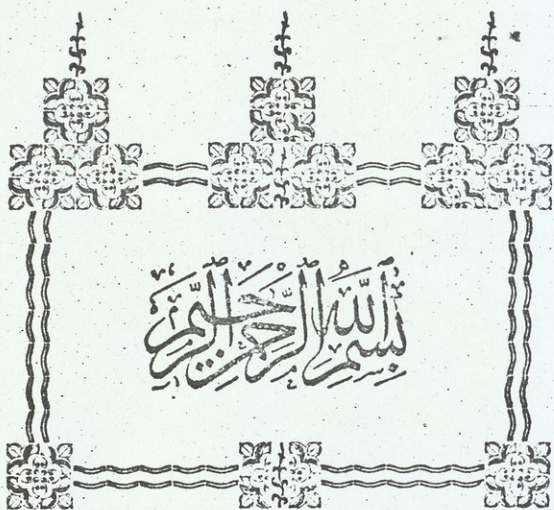
2269

.38

.3525

.11

1-3-10



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين
﴿ أما بعد ﴾ وملك تقول هذه الآيات التي أوردتها
في القسم الثاني تشتمل على أصناف مختلفة من العلوم والأعمال
فهو يمكن تمييز مقاصدها وشرح جملها على وجه من التفصيل
والتحصيل يمكن التفكير في كل واحدة منها على حياها ليعلم
الإنسان تفصيل أبواب السعادة في العلم والعمل ويتيسر عليه
تحصيل مفاتيحها بالمجاهدة والتفكير ﴿ فاقول ﴾ نعم ذلك يمكن
فانه ينقسم جملة مقاصدها إلى علوم وأعمال * والأعمال تنقسم

الى ظاهرة وباطنة * والباطنة تنقسم الى تزكية وتحلية فهي
 أربعة أقسام . علوم وأعمال ظاهرة وأخلاق مذمومة تجب
 التزكية عنها * وأخلاق محمودة تجب التحلية بها * وكل قسم
 يرجع الى عشرة أصول واسم هذا القسم ﴿ كتاب الأربعين
 في أصول الدين ﴾ فمن شاء أن يكتبه مفرداً فليكتب فإنه يشتمل
 على زبدة علوم القرآن ﴿ القسم الاول ﴾ في جمل العلوم
 وأصولها وهي عشرة *

﴿ الأصل الاول في الذات ﴾

﴿ فنقول ﴾ الحمد لله الذي تعرف الى عباده بكتابه المنزل
 على لسان نبيه المرسل بانه في ذاته واحد لا شريك له . فرد لا
 مثل له . صمد لا ضد له . متوحد لا ند له . وأنه قديم لا أول
 له . أزلي لا بداية له . مستمر الوجود لا آخر له . أبدي لا
 نهاية له . قيوم لا انقطاع له . دائم لا انصرام له . لم يزل ولا
 يزال موصوفاً بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء
 والانفصال بتصرم الآماد وانقراض الآجال . بل هو الاول
 والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم *

﴿ الاصل الثاني في التقديس ﴾

وأنه ليس بجسم مصور . ولا جوهر محدود مقدر . وأنه
 لا يماثل الاجسام لافي التقدير ولا في قبول الانقسام . وأنه
 ليس بجوهر ولا يحمله الجواهر ولا بمرض ولا يحمله الاعراض
 بل لا يماثل موجوداً . ولا يماثله موجود . وليس كمثل شئ
 ولا هو مثل شئ * وأنه لا يحده المقدار . ولا تحويه الاقطار
 ولا تحيط به الجهات . ولا تكتنفه السموات . وأنه مستو
 على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء
 منزلها عن المماسه والاستقرار والتمكن والتحول والانتقال
 لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته
 ومتهورون في قبضته . وهو فوق العرش وفوق كل شئ الى
 تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسماء * بل هو
 رفيع الدرجات على العرش كما أنه رفيع الدرجات على الثرى
 وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب الى
 العبيد من جبل الوريد . وهو على كل شئ شهيد * اذلا يماثل
 قربه قرب الاجسام كما يماثل ذاته ذات الاجسام * وأنه لا يحل

في شيء ولا يحل فيه شيء . تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس
 عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان . وهو
 الآن على ما عليه كان . وانه باين بصفاته من خلقه ليس في
 ذاته سواء ولا في سواء ذاته * وأنه مقدس عن التغير
 والانتقال لا تحله الحوادث . ولا تعتريه العوارض بل لا يزال
 في نعوت جلاله منزلها عن الزوال * وفي صفات كماله مستغنيا
 عن زيادة الاستكمال * وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرثي
 الذات بالابصار نعمة منه ولطفاً بالابرار في دار القرار واتماما
 للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم *

﴿ الاصل الثالث في القدرة ﴾

وأنه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة
 ولا نوم . ولا يعارضه فناء ولا موت . وأنه ذو الملك والملاكوت
 والعزة والجبروت . له القدرة والسلطان والقهر والخلق والامر
 والسموات مطويات يمينه . والخلائق مقهورون في قبضته
 وأنه المتفرد بالخلق والاختراع . المتوحد بالايجاد والابداع
 خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته

مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور . لا يحصى
مقدوراته ولا يتناهى معلوماته *

﴿ الاصل الرابع في العلم ﴾

وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري في تخوم الارضين
الى أعلى السموات . لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء بل يعلم ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء
في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جوّ الهواء . ويعلم السر
وأخفى . ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات
السرائر يعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا يعلم
متحدد حاصل في ذاته بالتحوّل والانتقال *

﴿ الاصل الخامس في الارادة ﴾

وأنه مرید للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك
والملكوت قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير * خير أو شر
نفع أو ضرر * ايمان أو كفر . عرفان * أو نكر . فوز أو خسر
زيادة أو نقصان . طاعة أو عصيان . الابقتضائه وقدره وحكمه
ومشيئته فإشاه كان وما لم يشأ لم يكن . لا يخرج عن مشيئته

لفتة ناظر ولا فلتة خاطر * بل هو المبدى المعيد . الفعال لما يريد
لا راداً لحكمه ولا معقب لقضائه . ولا مهرب لعبد عن معصيته
الا بتوفيقه ورحمته . ولا قوة له على طاعته الا بمعونته وارادته
لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا
في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عن
ذلك * وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك
موصوفاً بها سريراً في أزله لوجود الاشياء في أوقاتها التي
قدرها * فوجدت في أوقاتها كما أراد في أزله من غير تقدم
ولا تأخر * بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل
ولا تغير * دبر الامور بلا ترتيب أفكار وتربص زمان فلذلك
لا يشغله شأن عن شأن *

﴿ اعلم ﴾ ان هذا المقام منزلة الاقدام . ولقد زلت فيه اقدام
الاكثرين لان تمام تحقيقه مستمد من تيار بحر عظيم وراء
بحر التوحيد وهم يطلبونه بالبحث والجدال * ولقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ما ضل قوم بعد هدى الا أتوا
الجدل ﴾ ويستدلون بآيات القرآن مأولين وليسوا من أهل

التأويل ولو نال كل واحد مقام التأويل لما قال صلى الله عليه وسلم
 داعيا لابن عباس رضى الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه
 التأويل . ولما قال يعقوب ليوسف على نبينا وعليهما السلام
 ﴿ كذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ﴾
 قال صاحب الكشاف في تفسيرها يعني معاني كتب الله
 وسنن الانبياء عليهم السلام وما غمض واشتبه على الناس من
 اغراضها ومقاصدها تفسرها لهم وتشرحها . وتدلم على مودعات
 حكمها * وانما زلت اقدام الاكثرين في هذا المقام لانهم يتبعون
 الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله
 الا الله والراسخون في العلم * وهو لاء ليسوا براسخين فيه
 بل هم قاصرون عاجزون فلقصورهم لم يطيقوا ملاحظة كنه هذا
 الامر . فاجلجوا عمالهم يطيقوا خوض غمراته بلجام المنع مع سائر
 القاصرين . فقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم لا يسئل عما يفعل
 وهم يسئلون * عن أبي هريرة رضى الله عنه انه قال خرج علينا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر . فغضب
 عليه السلام حتى احمر وجهه الشريف . فقال ابهذا امرتم أم

بهذا أرسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا
 في هذا الامر . عزمت عليكم عزمت عليكم في هذا الامر
 ان لا تنازعوا فيه * وعن أبي جعفر قال قلت ليويس بن عبيد
 سررت بقوم يختصمون في القدر . فقال لو همتهم ذنوبهم
 ما اختصموا في القدر . وامتلاً مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من
 نور الله . وكان زيتهم صافياً حتى يكاد يضيء ولو لم تمسه نار
 فاشتعل نوراً على نور فاشترقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور
 ربها فادركوا الامور كما هي عليه . فقيل لهم تأدبوا بأداب الله
 واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا — فلذلك أمسك عمر لما سئل
 عن القدر فقال للسائل بمر عميق لا تلجه . ولما كرر السؤال فقال
 طريق مظلم لا تسلكه . ولما كرر ثالثاً . فقال سر الله قد خفي عليك
 فلا تفتشه . ومن أراد معرفة أسرار الملكوت فليلازم بابهم بالمحبة
 والاخلاص والصدق والاعراض عن أعدائهم . والامتنال
 باوامرهم والسعي فيما يرضيهم — وكذلك من أحب معرفة أسرار
 الربوبية فليلازم باب الله عز وجل بالمحبة والاخلاص والصدق
 والتعظيم والحياء والامتنال بالاوامر والانهاء عن المعاصي

والمجاهدة والاقبال بكنه المهمة والتعرض لنفحاته لقوله عليه السلام
 ان ربكم في أيام دهركم نفحات . ألا فتعرضوا لها والسعي فيما يرضي
 وان لم يطق ذلك فعليه أن يعتقد في هذا البحث ما عليه أبو
 حنيفة رحمه الله وأصحابه . حيث قالوا احداث الاستطاعة في العبد
 فعل الله . واستعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازاً
 ﴿ والقدرية ﴾ انكروا قضاء الله ورأوا الخير والشر من أنفسهم
 أرادوا بذلك تنزيه الله عن الظلم وفعل القبيح * ولكنهم ضلوا
 اذ نسبوا العجز الى الله تعالى في ضمن ذلك ولم يدروا ﴿ والجبرية ﴾
 اعتمدوا على القضاء ورأوا الخير والشر من الله ولم يروا من أنفسهم
 فعلا كما لم يروا من الجمادات أرادوا بذلك تنزيه الله تعالى
 عن العجز فضلوا اذ نسبوا الظلم اليه تعالى في ضمن ذلك وأضلوا
 سفهاهم . فكانوا يعصون الله وينسبون الى الله ويرؤن أنفسهم
 عن الذم واللوم كالشيطان حيث قال * فيما أغويتني لا تمدن لهم
 صراطك المستقيم ﴿ فالخاصل أن القدرية ﴾ أثبتوا الاختيار
 الكلي للعبد في جميع أفعال العباد وأنكروا قضاء الله تعالى
 وقدره بالكلية في الأفعال الاختيارية ﴿ والجبرية ﴾ نفوا

الاختيار بالكيفية في أفعال العباد واعتمدوا على القضاء والقدر
 فينبغي للباحث معهم أن يضر بهم ويمزق ثيابهم وعمائمهم
 ويخدش وجوههم وينتف أشعارهم وشواربهم ولحائمهم ويمتدح
 بما اعتذر هؤلاء السفهاء في سائر أفعالهم القبيحة الصادرة منهم
 ﴿ والمعتزلة ﴾ أضافوا الشر فقط إلى أنفسهم. وأثبتوا لأنفسهم
 الاختيار الكلي محرراً عن نسبة القبح والظلم إلى الله ولكن
 نسبوا إلى الله المعجز في ضمن ذلك ولم يدروا ﴿ تعالى الله عن
 ذلك علواً كبيراً ﴾ وأما أهل السنة ﴿ والجماعة فتوسطوا
 بينهم فلم ينفوا الاختيار عن أنفسهم بالكيفية ولم ينفوا القضاء
 والقدر عن الله تعالى بالكيفية. بل قالوا أفعال العباد من الله من
 وجه ومن العبد من وجه وللعبد اختيار في إيجاد أفعاله ﴿
 واعلم ﴾ أن قضاء الله تعالى على أربعة أوجه قضاء الطاعات وقضاء
 المعاصي وقضاء النعم وقضاء الشدائد ﴿ والمذهب المستقيم في ذلك إذا
 قضى للعبد الطاعة فعليه أن يستقبله بالجهد والاخلاص حتى يكرمه
 الله بالتوفيق والهداية لقوله تعالى ﴾ (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
 سبلنا) يعني الذين جاهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفقهم لذلك

واذا قضى المعصية فعليه أن يستقبله بالاستغفار والتوبة والندامة
 من صميم القواد لقوله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب
 المتطهرين) واذا قضى النعمة فعليه أن يستقبله بالشكر والسخاء
 حتى يكرمه بالزيادة لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم)
 واذا قضى الشدة فعليه أن يستقبله بالصبر والرضاء حتى يعطيه
 الكرامة في الدار الآخرة لقوله تعالى (ان الله يحب الصابرين)
 وقال (انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) وذكر الفاضل
 الامام مولانا علاء الدين في شرحه للمصابيح * الفرق بين
 القضاء والقدر هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح
 المحفوظ اجمالا لا تفصيلا * والقدر هو تفصيل قضائه السابق
 بإيجادها في المواد الخارجية واحدا بعد واحد * وقيل القضاء
 هو الارادة الأزلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات
 على ترتيب خاص . والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء في
 أوقاتها الخاصة * ثم ان المسلمين في القدر على اختلاف *
 (منهم) من ذهب الى ان كل ما يجري في العالم من الخير والشر
 والأفعال والأقوال بقضاء الله وقدره ولا اختيار للعباد فيه

ويسمى هذا القوم جبزية * والجبر هو القهر والا كراه
 فيقولون اجبر الله عباده على أقوالهم وأفعالهم من غير اختيار
 منهم فيها * ويزعمون ان اضافتها اليهم اضافتها الى الجمادات
 في مثل قولنا دارت الرحا وجرى الميزاب * وهذا المذهب
 باطل لانهم ان قالوا هذا القول ليسقطوا من أنفسهم
 التكليف * وشبهوا أنفسهم بالصبيان والمجانين في عدم جريان
 الخطاب بهم . فقد كفروا لأن مذهبهم يفضي الى ابطال
 الكتب والرسل وان قالوا ذلك لتعظيم الله وتحقير أنفسهم
 وعجزهم عن دفع قضاء الله . فهم مبتدعون لمخالفتهم الاجماع
 (ومنها) من ذهب الى ان كل ما يصدر عن العباد عقيب
 قصدهم وارادتهم يكون واقعا بقدرتهم واختيارهم ولا يتعلق
 بها بخصوصها قدرة الله وارادته * ويسمى هؤلاء قدرية
 لفهم القدر لا لاتباعهم - وهذا المذهب أيضاً باطل لانهم ان
 قالوا هذا القول عن اعتقاد جواز المعجز عن التقدير لله تعالى
 فهم كافرون * تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً * وان قالوا
 عن خطأ اجتهاداتهم وتنزيه الحق عن تقدير أفعالهم القبيحة

وخلفها * فهم مبتدعون لمخالفتهم الاجماع ﴿ومن هذه الطائفة﴾
 من يقول الخير بتقدير الله والشر ليس بتقديره (والمذهب
 الحق) هو ان المؤثر مجموع القدرتين قدرة الله وقدرة العباد *
 فالافعال الصادرة عن العباد كلها بقضاء الله وقدره * ولكن للعباد
 اختيار. فالتقدير من الله والكسب من العباد - وهذا المذهب
 وسط بين الجبر والقدر * وعليه اهل السنة والجماعة انتهى
 كلامه وذكرا في كتاب المقصد الاقصى ﴿تدبير رب الارباب
 ومسبب الاسباب اصل وضع الاسباب ليتوجه الى المسببات
 حكمه ونصبه الاسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التي
 لا تزول ولا تحول كالارض والسموات السبع والكواكب
 والافلاك وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لا تتغير ولا تنعدم الى
 ان يبلغ الكتاب أجله . قضاؤه كما قال فقضاهن سبع سموات
 في يومين وأوحى في كل سماء أمرها . وتوجيه هذه الاسباب
 بحركاتها المناسبة المحدودة المقدره المحسوبة الى مسببات الحادثة
 منها لحظة بعد لحظة قدره * فالحكم هو التدبير الاول الكلي
 والامر الازلي الذي هو كلبح البصر ﴿والقضاء﴾ هو الوضع

الكليّ للأسباب الكلية الدائمة ﴿والقدر﴾ هو توجيه
الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسبباتها
المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص — ولذلك
لا يخرج شيء عن قضائه وقدره * ولا تفهم ذلك الا بمثال
ولعلك شاهدت صندوق الساعات التي بها تتعرف أوقات
الصلوات وان لم تشاهده . فجملة ذلك انه لا بد فيه من آلة
على شكل اسطوانة تحوي مقدارا من الماء معلوما . وآلة
أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء وخيط مشدود احد
طرفيه في هذه الآلة المجوفة . وطرفه الآخر في أسفل
ظرف صغير موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة وتحت
طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها
ثم تثقب أسفل الآلة الاسطوانية ثقباً بقدر معلوم ينزل
الماء منه قليلا قليلا * فاذا انخفض الماء انخفضت الآلة
المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها
فحرك الطرف الذي فيه الكرة تحريكاً يقربه من الانكسار
الى أن ينتكس فيتخرج منه الكرة وتقع في الطاس وتطنّ

وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة * وإنما يتقدر الفصل بين الوقعتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه — وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء ويعرف ذلك بطريق الحساب . فيكون نزول الماء بمقدار مقدر معلوم بسبب تقدير سعة الثقب بقدر معلوم . ويكون انخفاض اعلى الماء بذلك المقدار وبه يتقدر * وانخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخيط بها المشدود . وتولد الحركة في الظرف الذي فيه الكرة * وكل ذلك يتقدر بتقدر سببه لا يزيد ولا ينقص ويمكن أن يجعل وقوع الكرة في الطاس سبباً لحركة أخرى . ويكون الحركة الأخرى سبباً لحركة ثالثة — وهكذا الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات عجيبة مقدره بمقادير محدودة . وسببها الأول نزول الماء بقدر معلوم . فاذا تصورت هذه الصورة ﴿ فاعلم ﴾ ان واضعها يحتاج الى ثلاثة أمور ﴿ أولها ﴾ التدبير وهو الحكم بانهما الذي ينبغي أن يكون من الآلات والأسباب والحركات حتى يؤدي الى حصول ما ينبغي أن يحصل . وذلك هو الحكم ﴿ والثاني ﴾ ايجاد هذه الآلات

التي هي الأصول * وهي الآلة الاسطوانية لتحويل الماء والآلة
المجوفة لتوضع على وجه الماء . والخيط المشدود بها والظرف
الذي فيه الكرة والطاس الذي تقع فيه الكرة - وذلك هو
القضاء (الثالث) نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة
محدودة وهو ثقب اسفل الآلة ثقبه مقدرة السعة ليحدث
بنزول الماء منها حركة في الماء تؤدي الى حركة وجه الماء
بنزوله * ثم الى حركة الآلة المجوفة الموضوعه على وجه الماء
بنزوله * ثم الى حركة الخيط * ثم الى حركة الظرف الذي فيه
الكرة * ثم الى حركة الكرة * ثم الى الصدمة بالطاس اذا
وقع * ثم الى الطنين الحاصل منها * ثم الى تتيبه الحاضرين
واستماعهم * ثم الى حركاتهم في الاشتغال بالصلوات والأعمال
عند معرفتهم بانقضاء الساعة * وكل ذلك يكون بقدر معلوم
ومقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الاولى . وهي
حركة الماء * فاذا فهمت ان هذه الآلات اصول لا بد منها
للحركة * وان الحركة لا بد من تقدرها ليتقدر ما يتولد منها
فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدر التي لا يتقدم منها شيء

ولا يتأخر اذا جاء أجلهم أى حضر سببها * وكل ذلك بمقدار
المعلوم ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا *
فالسماوات والأفلاك والكواكب والأرض والبحر والهواء
وهذه الأجسام العظام فى العالم كذلك الآلات * والسبب
المحرك للأفلاك والكواكب والشمس والقمر بحساب معلوم
كذلك الثقبه الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم * وافضاء حركة
الشمس والقمر والكواكب الى حصول الحوادث فى الارض
كافضاء حركة الماء الى حصول تلك الحركات المنفضية الى
سقوط الكرة المعروفة لا تقضاء الساعة * ومثال تداعى حركات
السما الى تغيير الارض هو ان الشمس بمحركاتها اذا بلغت الى
المشرق فاستضاء العالم وتيسر على الناس الابصار * فيتيسر
عليهم الانتشار فى الأشغال * فاذا بلغ المغرب تمدد عليهم
ذلك فيرجعوا الى المساكن * واذا قربت من وسط السماء
وسامت رؤس أهل الأقاليم حى الهواء واشتد القيظ
وحصل نضج الفواكه * واذا بعدت حصل الشتاء واشتد
البرد * واذا توسطت حصل الاعتدال فظهر الربيع وانبتت

الارض وظهرت الحضرة * وقس بهذه للمشهورات التي
 تعرفها الغرايب التي لا تعرفها * فاختلاف هذه الفصول كلها
 مقدرة بقدر معلوم لانها منوطة بمحركات الشمس والقمر
 ﴿والشمس والقمر بحسبان﴾ اي حركتهما بحساب معلوم —
 فهذا هو التقدير * ووضع الاسباب الكلية هو القضاء
 والتقدير الاول الذي هو كلعج البصر هو الحكم * وكما ان
 حركة الآلة والخيط والمكرة ليست خارجة عن مشية واضع
 الآلة * بل ذلك هو الذي اراد بوضع الآلة — فكذلك كل
 ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخيرها نعمها وضرها
 غير خارج عن مشية الله تعالى * بل ذلك مراد الله تعالى
 ولاجله دبر اسبابه * وتقييم الامور الالهية بالامثلة العرفية
 عسير * ولكن المقصود من الامثلة التنبيه * فدع المثال وتنبه
 للغرض * واحذر من التمثيل والتشبيه *

﴿الاصل السادس في السمع والبصر﴾

وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسهوع
 وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرثى وان دق ولا يحجب

سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام* يرى من غير حدقة ولا أجفان
ويسمع من غير أصمخة ولا آذان كما يعلم من غير قلب ويبطش
بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق
كالا تشبه ذاته ذات الخلق *

﴿ الاصل السابع في الكلام ﴾

وأنه متكلم أمر ناهي واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته
لا يشبه كلامه كلام الخلق كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق فليس
بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك اجرام . ولا
حرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان . وان القرآن والتوراة
والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله . وأن القرآن مقروء
باللسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع
ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق
بالانتقال الى القلوب والاوراق وأن موسى عليه السلام سمع
كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله سبحانه
من غير جوهر ولا شكل ولا لون ولا عرض* واذا كانت
له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما

بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام
لا بمجرد الذات

﴿ الاصل الثامن في الأفعال ﴾

وأنه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض
من عدله على أحسن الوجوه واكملها وأتمها وأعدلها. وأنه حكيم
في أفعاله. عادل في أقضيته. لا يقاس عدله بعدل العباد. اذ العبد
يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من
الله تعالى سبحانه فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون
تصرفه فيه ظلما. فكل ماسواه من انس وجن وشيطان وملك
وسماء وأرض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك
ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وإيشاء
بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن
معه غيره. فاحدث الخلق اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من
ارادته وملاحق في الازل من كلمته (وهي قوله كنت كذا تخفيا
فأجبت أن أعرف) لا لا فقاره اليه ولا حاجته وأنه متفضل
بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام

والاصلاح لا عن لزوم * فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان
اذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويتلهم
بضروب الآلام والاصاب * ولو فعل ذلك لكان منه عدلا
ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما. وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم
الكرم والعدل لا بحكم الاستحقاق واللزوم. اذ لا يجب عليه
فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وان حقه
في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان أنبيائه لا بمجرد
العقل * ولكنه بمث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة
فبلغوا أمره ونهيه ووعدوه ووعدته * فوجب على الخلق
تصديقهم فيما جاؤا به *

﴿ الاصل التاسع في اليوم الآخر ﴾

وأنه يفرق بالموت بين الارواح والاجسام ثم يعيدها
اليها عند الحشر والنشور فيبعث من في القبور ويحصل
ما في الصدور * فيرى كل مكلف ما عمله من خيرا أو شرا محضرا
ويصادف دقيق ذلك وجليه مسطرا * في كتاب لا ينادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها * ويعرف كل واحد مقدار عمله

خيره وشره بمقيار صادق يعبر عنه بالميزان وان كان لا يساوي
 ميزان الاعمال ميزان الاجسام الثقال كما لا يساوي الا صطرب لاب
 الذي هو ميزان المواقيت والمسطرة التي هي ميزان المقادير
 والعروض الذي هو ميزان الاشعار سائر الموازين * ثم يحاسبهم
 على افعالهم واقوالهم وسرائرهم وضمائرهم ونياتهم وعقائدهم مما
 ابدوه أو أخفوه . فانهم يتفاوتون فيه الى مناقش في الحساب والى
 مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب * وانهم يساقون
 الى الصراط وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء ومنازل
 السعداء . أحد من السيف . وأدق من الشعر . يخف عليه من
 استوى في الدنيا على الصراط المستقيم الذي يوازيه في الخفاء
 والدقة ويتعثر به من عدل عن سواء السبيل المستقيم الامن عني عنه
 بحكم الكرم * وانهم عند ذلك يستلون فيستل من شاء من الانبياء
 عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين
 ومن شاء من المبتدعة عن السنة * ومن شاء من المسلمين عن
 أعمالهم . فيستل الصادقين عن صدقهم . والمناققين عن نفاقهم *
 ثم يساق السعداء الى الرحمن وفدا * والمجرمون الى جهنم

وردا * ثم يأمر باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام
حتى لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويخرج
بعضهم قبل تمام العقوبة والانتقام بشفاعة الانبياء والعلماء
والشهداء * ومن له رتبة الشفاعة * ثم يستمر اهل السعادة
في الجنة منعمين ابد الابدين . ممتعين بالنظر الى وجه الله
تعالى * ويستقر اهل الشقاوة في النار مرددين تحت أنواع
المذاب . مبعدين عن النظر بالحجاب الى وجه الله تعالى ذي
الجلال والاکرام *

﴿ الاصل العاشر في النبوة ﴾

وأنه تعالى خلق الملائكة وبعث الانبياء . وأيدهم بالمعجزات
وأن الملائكة كلهم عباد له لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وأن الانبياء
رسله الى خلقه . وينتهي اليهم وحيه بواسطة الملائكة فينطقون
عن وحي يوحى لا عن الهوى * وأنه بعث النبي الامي القرشي
محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والمعجم
والجن والانس فذسخ بشرعه الشرائع . وجعله سيد البشر

ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد . وهو قوله لا اله الا الله
 ما لم يقترن بها شهادة الرسول * وهو قوله محمد رسول الله
 والزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر به عنه في أمر الدنيا
 والآخرة والزمهم اتباعه والاقتران به فقال (وما آناكم
 الرسول نخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فلم ينادر شيئا يقربهم
 من الله سبحانه الا أمرهم به ودلهم على سبيله . ولا شيئا يقربهم
 الى النار ويبعدهم عن الله تعالى الا نهاهم عنه وعرفهم طريقته .
 وان ذلك أمور لا يرشد اليها مجرد العقل والرأي والذكاء بل
 هي اسرار يكشف بها من حظيرة القدس قلوب الانبياء .
 والحمد لله على ما أرشد وهدى وأظهر من أسمائه الحسنی *
 وصفاته العليا * والصلاة والسلام على محمد المصطفى خاتم الانبياء
 وعلى آله وأصحابه وسلم كثيرا آمين يارب العالمين *
 ﴿ خاتمة في التنبيه على الكتب التي تطلب فيها حقيقة هذه العقيدة ﴾
 ﴿ اعلم ﴾ أن ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن أعني
 جمل ما يتعلق منها بالله واليوم الآخر وهي ترجمة العقيدة التي
 لا بد أن ينطوي عليها قلب كل مسلم بمعنى أنه يعتقدده ويصدق به

تصديقا جزما وورا هذه العقيدة الظاهرة رتبتان ﴿أحدهما﴾ معرفة أدلة هذه العقيدة الظاهرة من غير خوض على أسرارها ﴿والثانية﴾ معرفة أسرارها ولباب معانيها وحقيقة ظواهرها والرتبتان جميعاً ليستا واجبتين على جميع العوام * أعني ان نجاحهم في الآخرة غير موقوفة عليهما ولا فوزهم موقوف عليهما وإنما الموقوف عليهما كمال السعادة * وأعني بالنجاة اخلاص من العذاب وأعني بالفوز الحصول على أصل النعيم * وأعني بالسعادة نيل غايات النعيم * فالسلطان اذا استولى على بلدة وفتحها عنوة * فالذي لم يقتله ولم يعذبه فهو ناج وان أخرجته عن البلدة * والذي لم يعذبه ومع ذلك يمكنه من المقام في بلده مع أهله وأسباب معيشته فهو مع ذلك فائز بالنجاة * والذي خلع عليه وأشركه في ملكه واستخلفه في مملكته وأمارته فهو مع النجاة والفوز سعيد * ثم زيادة درجات السعادات لا تنحصر * واعلم أن الخلق في الآخرة ينقسمون الى هذه الاصناف بل الى أصناف أكثر منها * وقد شرحنا ما أمكن من شرحها في كتاب التوبة فاطلبه فيه ﴿والرتبة الاولى﴾ من الرتبتين وهي معرفة أدلة هذه العقيدة * وقد أودعناها الرسالة

القدسية في قدر عشرين ورقة * وهي أحد فصول كتاب قوايد
العقائد من كتاب الاحياء * وأما أدلتها مع زيادة تحقيق وزيادة
تأنيق في ايراد الاسئلة والاشكالات * فقد أودعناها ﴿ في
كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ﴾ في مقدار مائة ورقة فهو
كتاب مفرد برأسه يحوي لباب علم المتكلمين . ولكنه
أبلغ في التحقيق وأقرب الى قرع أبواب المعرفة من الكلام
الرسمي الذي يصادف في كتب المتكلمين * وكل ذلك يرجع
الى الاعتقاد لا الى المعرفة * فان المتكلم لا يفارق العامي الا في
كونه عارفا وكون العامي معتقداً بل هو أيضاً معتقد عرف
مع اعتقاده أدلة الاعتقاد ليؤكد الاعتقاد ويستمره ويحرسه
عن تشويش المبتدعة ولا تنحل عقيدة الاعتقاد الى انشراح
المعرفة * فان أردت أن تستنشق شيئاً من روائح المعرفة
صادفت منها مقداراً يسيراً مثبتاً في كتاب الصبر والشكر .
وكتاب المحبة وباب التوحيد من أول كتاب التوكل وجملة
ذلك من كتاب الاحياء . وتصادف منها قدراً صالحاً يعرفك
كيفية قرع باب المعرفة في كتاب المقصد الاقصى في معاني

أسماء الله الحسنى - لا سيما في الاسماء المشتقة من الافعال
 وان أردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة من غير جمجة
 ولا مراقبة . فلا تصادفه الا في بعض كتبنا المضمون بها على
 غير أهلها * وإياك أن تغتر وتحدث نفسك بأهليته فتشرب
 لطلبه . فتستهدف للمشافهة بصريح الرد الا أن تجمع ثلاث
 خصال (احداها) الاستقلال في العلوم الظاهرة ونيل رتبة
 الامامة فيها (والثانية) انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد
 نحو الاخلاق الذميمة حتى لا يبقى فيك تعطش الا الى الحق .
 ولا اهتمام الابيه . ولا شغل الا فيه ولا تعرج الا عليه *
 (والثالثة) أن يكون قد أتبع لك السعادة في أصل الفطرة
 بقرينة صافية وفطنة بليغة لا تكل عن درك غوامض العلوم
 ومشكلاتها على سبيل البديهة والمبادرة فان البليد اذا أتعب
 خاطره واكد نفسه ربما أدرك بعض الغوامض أيضاً ولكن
 يدرك منها شيئاً يسيراً في مدة طويلة فلن يصلح لاقتباس
 المعرفة الحقيقية الا قلب صاف كأنه مرآة مجلوة . وانما يصير
 كذلك بقوة الفطرة وصحة القصد * ثم بازالة كدورات الدنيا عن

وجهه فانه الرين والطبع الذي يمنع الله به القلوب عن معرفته وأن
الله يحول بين المرء وقلبه * (القسم الثاني في الاعمال الظاهرة) *
وهي عشرة أصول *

﴿ الاصل الاول في الصلاة ﴾

قال الله تعالى (وأقم الصلاة لذكري) وقال النبي عليه السلام
الصلاة عماد الدين * واعلم أنك في صلاتك مناج ربك فانظر
كيف أصلي * وحافظ فيها على ثلاثة أمور لتكون من جملة
المحافظين على الصلاة والمقيمين لها فان الله تعالى انما يأمر
بالاقامة ويقول ﴿ أقم الصلاة وأقيموا الصلاة ﴾ وليس يقول
صل أو صلوا * ويثني على المحافظين على الصلاة فيقول (والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) *
﴿ الاول ﴾ المحافظة على الطهارة بان يسبغ الوضوء قبل الصلاة
واسباغها أن يأتي بجميع سننها وأذكارها المروية عند كل
وظيفة منها ويحتاط أيضا في طهارة ثيابه وطهارة بدنه وطهارة
الماء الذي يتوضأ به احتياطا لا يفتح عليه باب الوسواس فان
الشیطان يوسوسه في الطهارة فيضيع أكثر أوقات العبادة *

﴿واعلم﴾ أن المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج ثم
 من طهارة البدن وهو القشر القريب * ثم طهارة القلب
 وهو اللب الباطن * وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق
 المذمومة أهم الطهارة كما سندا كرها في القسم الثالث لكن لا
 يبعد أن يكون لطهارة الظاهرة أيضا تأثير في اشراق نورها
 على القلب * فانك اذا أسبغت الوضوء واستشعرت نظافة
 ظاهر كصادفت في قلبك انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه
 من قبل - وذلك لسر العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم
 الملكوت . فان ظاهر البدن من عالم الشهادة . والقلب من
 عالم الملكوت باصل فطرته * وانما هبوطه الى عالم الشهادة
 كالغريب عن جبلته وكما تنحدر من معارف القلب آثار الى
 الجوارح - فكذلك يرتفع من أحوال الجوارح أنوار الى
 القلب - ولذلك أمروا بالصلاة مع أنها حركات الجوارح
 التي هي من عالم الشهادة * ولذلك جعلها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في الدنيا ومن الدنيا * وقال حبيب الى من دنيا كم
 ثلاث الحديث * فلا يستبعد أن يفيض من طهارة الظاهر أثر

على الباطن * ففي بدائع صنع الله أمور أعجب من هذا
 إذ قد عرف بالتجربة ان المجمع في حال المباشرة لو أدمن النظر
 الى بياض مشرق أو حمرة قانية حتى غابت تلك الصورة على
 نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون الذي غلب عليه * وان
 الجنين أول ما يتحرك في البطن تميل صورته الى الحسن ان
 كانت الأم مشاهدة في تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت
 تلك الصورة على نفسها * ولذلك أمر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم المباشر عند مباشرته أن يحضر في قلبه ارادة اصلاح
 المولود * ويدعو الله بذلك فيقول * اللهم جنبنا الشيطان
 وجنب الشيطان عما رزقتنا * حتى يفيض الله سبحانه مبادي
 الصلاح على الروح التي يخلقها عند القاء البذر في محل الحارث
 بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله
 النور بواسطة المرأة المحاذية للشمس على بعض الاجسام
 المحاذية للمرأة * وهذا الآن نقرع بابا عظيما من معرفة عجائب
 صنع الله في الملك والملايكوت . والى قريب منه يرجع سر
 الشفاعة في الآخرة فلنجاوزه . ففرضا الآن ذكر الاعمال دون

المعارف * وقد أشمناك شيئاً يسيراً من أسرار الطهارة الظاهرة *
 فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئاً
 من الصفاء الذي وصفناه * فاعلم أن الدرن الذي عرض على
 قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال
 حس القلب فصار لا يحس باللطائف . والاشياء الخفية اللطيفة
 ولم يبق في قوته الا ادراك الجليات ان تقي * فاشتغل بجلاء قلبك
 وتصفيته — فذلك أوجب عليك من كل ما أنت فيه *

﴿ المحافظة الثانية ﴾ أن تحافظ على سنن الصلاة وأعمالها الظاهرة
 وأذكارها وتسبيحاتها حتى تأتي فيها بجميع السنن والآداب
 والهيئات كما جمعناها في ﴿ كتاب بداية الهداية ﴾ فان لكل واحد
 منها سر أوله تأثير في القلب كما نهنا عليه في تأثير الطهارة بل
 أشد وأبلغ وشرح ذلك يطول * وأنت اذا أتيت بذلك انتفعت
 به وان لم تعلم اسراره كما ينتفع شارب الدواء بشربه وان لم
 يعرف طبائع اخلاطه ووجوه مناسبته لمرضه ﴿ واعلم ﴾ أن الصلاة
 صورة صورها رب الارباب كما صور الحيوان مثلاً * فروحها
 النية والاخلاص وحضور القلب * وبدنها الاعمال * وأعضاؤها

الاصابة الاركان * وأعضاؤها الكمالية الابعاض * فالإخلاص
والنية فيها يجري مجرى الروح * والقيام والقعود يجري مجرى
البدن * والركوع والسجود يجري مجرى الرأس واليد والرجل
وكمال الركوع والسجود والطأينة وتحسين الهيئة يجري مجرى
حسن الاعضاء وحسن اشكالها وألوانها * والاذكار والتسبيحات
المودعة فيها تجري مجرى آلات الحس المودعة في الرأس
والاعضاء كالعينين والاذنين وغيرها * ومعرفة معاني
الاذكار وحضور القلب عندها يجري مجرى قوة الحس المودعة
في آلات الحسي كقوة السمع وقوة البصر والشم والذوق
واللمس في معادنها *

﴿ واعلم ﴾ أن تقربك بالصلاة كتقرب بعض خدام
السلطان بأهداء وصيفة الى السلطان ﴿ واعلم ﴾ أن فقد النية
والإخلاص من الصلاة كفقدها الروح من الوصيفة * والمهدي
للجيفة الميتة مستهزئ * بالسلطان * فيستحق سفك الدم *
وقد الركوع والسجود يجري مجرى فقد الاعضاء * وقد
الاذكار يجري مجرى فقد العينين من الوصيفة * وجدع الانف

والاذنين وعلم حضور القلب في غفلته عن معرفة معان القوآن
والإذكار كرقب السمع والبصر مع بقا حرم الحدقة والاذن
ولا يخفى عليك أن من أهدي وصيفة بهذه الصفة كيف يكون
حاله عند السلطان ﴿واعلم﴾ أن قول الفقيه في الصلاة الناقصة
للفاظها وسنها أنها صحيحة كقول الطيب في الوصفه المقطوعة
أطرفها أنها حية وليست بميتة * فان كان ذلك كافياً في التقرب بها
إلى السلطان ونيل الكرامة منه ﴿فاعلم﴾ أن الصلاة الناقصة
صالحة أيضاً للتقرب بها إلى الله سبحانه ونيل الكرامة وإن
أوشك أن ترد ذلك على المهدي ويرجر فلا يعد مثل ذلك في
الصلاة * فانها قد ترد على المصلي كالخرقة الخلقية كما ورد في الخبر
﴿واعلم﴾ أن أصل الصلاة التعظيم والاحترام وإهمال آداب
الصلاة يناقض التعظيم والاحترام ﴿المحافظة الثالثة﴾ أن تحافظ
على روح الصلاة وهي الإخلاص وحضور القلب في جملة الصلاة
وإتصاف القلب في الحال بما فيها * فلا تسجد ولا تركع الا وقلبك
خاشع متواضع على موافقة ظاهره * فان المراد خضوع القلب
لا خضوع البدن * ولا تقول ﴿الله أكبر﴾ وفي قلبك شيء أكبر

من الله تعالى ولا تقول (وجهت وجهي) الا وقلبك متوجه
 بكل وجهه الى الله معترض عن غيرك ولا تقول (الحمد لله) الا
 وقلبك طافح بشكر نعمه عليك فرح به مستبشر ولا تقول
 (واياك نستعين) الا وانت مستشعر ضعفك وعجزك وانه
 ليس ليك ولا الى غيرك من الامر شيء - وكذلك في جميع
 الاذكار والاعمال * وشرح ذلك يطول * وقد شرحناه في كتاب
 الاحياء فجاهد نفسك في أن ترد قلبك الى الصلاة حتى لا
 تغفل من أولها الى آخرها * فانه لا يكتب للرجل من صلاته
 الا ما عقل منها فان تمدد عليك الاحضار وما أراك الا
 كذلك * فانظر فان كان قدر الفعلة مقدار ركعتين فلا تعد
 الصلاة ولكن افهم أن النوافل جوارب الفرائض * فتفعل
 بمقدار أن يحضر القلب فيها في مقدار ركعتين * فكما
 زادت الفعلة ردت في النوافل حتى يحضر قلبك * مثلاً في
 عشر ركعات بمقدار أربع ركعات وهو قدر فرضك فمن رحمة
 الله عليك ان قبل منك جبران الفرائض بالنوافل * فهذه
 أصول المحافظة على الصلاة * راحة الساعات بقية الفاعل

﴿ الاصل الثاني في الزكاة والصدقة ﴾

قال الله سبحانه ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعفها لمن يشاء ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ هلك الاكثرون الامن قال بالمال هكذا وهكذا ﴾ ﴿ فاعلم ﴾ أن انفاق المال في الخيرات أحد أركان الدين ﴿ وانما سر التكليف به بعد ما يرتبط به من مصالح البلاد والعباد . وسد الخلات والفاقات فان المال محبوب الخلق وهم مأمورون بحب الله ويدعون الحب بنفس الايمان ﴾ فجعل بذل المال معيارا لحبهم وامتحانا لصدقهم في دعواهم فان المحبوبات كلها تبذل لاجل المحبوب الا غلب حبه على القلب فانقسم الخلق فيه الى ثلاث طبقات ﴿ الطبقة الاولى ﴾ الاقوياء وهم الذين انفقوا جميع ممالكهم ولم يدخروا لانفسهم شيئا فهو لا يصدقوا معاها و الله عليه من الحب كما فعل أبو بكر الصديق اذ جاء بماله كله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا أبقيت لنفسك ؟ فقال الله ورسوله ﴿ وقال لعمر رضي الله عنه ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال مثله أي مثل ما أتيت به ﴾ فقال

صلى الله عليه وسلم بينكما مثل ما بين كلتكما ﴿ الطبقة الثانية ﴾
 المتوسطون وهم الذين لم يقدرُوا على اخلاء اليد عن المال دفعة
 واحدة . ولكن أمسكوه لا للتنعم بل للانفاق عند ظهور
 محتاج اليه . فهم يقنعون في حق أنفسهم بما يقوهم على العبادة
 واذا عرض محتاج بادروا الى سد خلته وحاجته ولم يقتصروا
 على قدر الواجب من الزكاة وانما غرضهم الاظهر في الامساك
 ترصد الحاجات ﴿ الطبقة الثالثة ﴾ الضعفاء وهم المقتصرون على
 أداء الزكاة الواجبة فلا يزيدون عليها ولا ينقصون منها * فهذه
 درجاتهم وبذل كل واحد على مقدار حبه لله . وما أراك تقدر
 على الدرجة الاولى والثانية . ولكن اجتهد حتى تجاوز الدرجة
 الثالثة الى اواخر طبقات المقتصدین المتوسطین * فزيد
 على الواجب ولو شيئاً يسيراً . فان مجرد الواجب حد البخلاء
 قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ان يسئلكموها فيحفظكم بخلوا ﴾ أي
 يستقصي عليكم فبخلوا * فاجتهدوا ان لا ينقصي عليك وقت
 الا وتصدق بشئ وراء الواجب ولو بكسرة خبز فترفع بذلك
 عن درجة البخلاء * فان لم تملك شيئاً فليست الصدقة كلها

في المال لكن كل كلمة تطيبة وشفاعة ومعوته في حاجة أو عيادة
 مريض وتشييع جنازة . وفي الجملة أن تبدل شيئا مما تقدر
 عليه من جاه ونفس وكلام لتطيب قلب مسلم فيكتب جميع ذلك
 لك صدقة . وحافظ في زكواتك وصلاتك وصدقتك على خمسة
 أمور في الأول الأسرار في الخبير أن صدقة السر تطفي
 غضب الرب . والذي يتصدق بيمينه بحيث لا تعلم شماله وهو
 أحد السبعة الذين يظلمهم الله يوم لا ظل الا ظله . وقد قال
 الله تعالى وان تحفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم
 وبذلك تتخلص عن الرياء فانه غالب على النفس وهو مهلك
 يتقلب في القلب اذا وضع الانسان في قبره في صورة احية
 أي يؤلم اينلام الحية * والبخل يتقلب في صورة عقرب *
 والمقصود في كل الاتفاق الخلاص من رذيلة البخل * فاذا
 امتزج به الرياء كان كأنه جعل للمقرب غذاء الحية . فما
 مخلص من المقرب ولكن زاد في قوة الحية . اذ كل صفة
 من الصفات المهلكات في القلب انما غذاؤها وقوتها في احيائها
 الى مقتضاها . الثاني ان يحذر من المنى وحققتها ان ترى

نفسك مجلنا الى الفقير منفضلا عليه * وعلامته ان تتوقع منه
شكرا او تستنكر تقصيره في حقك وممالاته عدوك استنكارا
زيد على ما كان قبل الصدقة — فذلك يدل على انك رايت
لنفسك عليه فضلا * وعلاجه ان تعرف انه المحسن اليك
بقول حق الله منك . فان من اسرار الزكوة تطهير القلب
وتزكيتة عن رذيلة البخل وخبث الشح — ولذلك كانت الزكوة
مطهرة اذها حصلت الطهارة فكانها غسالة نجاسة — ولذلك
رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته من اخذ
الزكوة * وقال عليه السلام انها اوساخ اموال الناس * واذا اخذ
الفقير منك ما هو طهارة لك فله الفضل عليك * ارايت لو
كان فساد افسدك مجانا واخرج من باطنك الدم الذي يخشى
ضرره في الحيوة الدنيا كان الفضل لك ام له * فالذي يخرج
من باطنك رذيلة البخل وضررها في الحيوة الآخرة اولى بان
تراه منفضلا (الثالث) ان تخرجته من اطيب اموالك
واجودها قال الله تعالى (ويجملون لله ما يكرهون) وقال الله
(ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه) الا يقول وقال

صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب يعني
 الحلال * فان المقصود من هذا اظهار درجة الحب والانسان
 يؤثر الأحب اليه الا نفس دون الاخرس ﴿الرابع﴾ ان
 تعطى بوجه طلق مستبشر وانت به فرحان غير مستكره
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿سبق درهم مائة الف﴾ وانما
 أراد ما يعطيه عن بشاشة وطيبة نفس من أنفـس ماله وأجوده
 فذلك افضل من مائة الف مع الكراهة ﴿الخامس﴾ ان
 تتخير لصدقتك محلا تزكو به الصدقة وهو المتقى العالم الذي
 يستعين بها على طاعة الله عز وجل وتقواه * أو الصالح المعيل
 ذو الرحم * فان لم يجتمع هذه الأوصاف * فزكوا الصدقة
 بأحاديثها ايضا * ورعاية الصلاح اصل الأمور . فما الدنيا الا
 البلغة للعباد وزاد لهم الى المعاد . فليصرف الى المسافرين اليه
 المتخذين هذه الدار منزلا من منازل الطريق . قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ﴿لاتأكل الا طعام تقي ولا يأكل
 طعامك الا تقي﴾ *

﴿الأصل الثالث في الصيام﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه
كل حسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الا الصيام فانه
لى وأنا أجزى به * وقال عليه السلام لكل شيء باب وباب
العبادة الصوم * وانما كان الصوم مخصوصاً بهذه الخواص
لامرين ﴿أحدهما﴾ انه يرجع الى كف وهو عمل سر لا
يطلع عليه أحد غير الله تعالى لا كالصلوة والزكاة وغيرها
﴿والثاني﴾ انه قهر لعدو الله فان الشيطان هو العدو ولن
يقوى العدو الا بواسطة الشهوات . والجوع يكسر جميع
الشهوات التي هي آلة الشيطان - فلذلك قال عليه السلام ﴿ان
الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجارى
الشيطان بالجوع﴾ وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم * اذا دخل
رمضان فتحت أبواب الجنان . وغلقت أبواب النيران .
وصفدت الشياطين * ونادى مناد * يا باغي الخير هلم
ويا باغي الشر اقصر ﴿واعلم﴾ ان الصوم بالاضافة الى مقداره
على ثلاث درجات وبالاضافة الى اسراره على ثلاث

درجات * اما درجات متقدرة فاقبلها الاقتصار على شهر
 رمضان واولاها صوم داود عليه السلام وهو ان تصوم
 يوما وتفطر يوما * ففي الخبر الصحيح ان ذلك افضل من
 صوم الدهر وانه افضل الصيام * وسره ان من صام الدهر
 صار الصوم له عادة فلا يحس بوقته في نفسه بالانكسار وفي
 قلبه بالصفاء وفي شهوته بالضعف * فان النفس انما تتأثر بما يرد
 عليها لا بما حركت عليه فلا يبعد هذا * فان الاطباء ايضا يهون
 عن اعتياد شرب الدواء * وقالوا من تعود ذلك لم ينفع به اذا
 مرض اخر بالغة من اجبه فلا يتأثر به * واعلم ان طب القلوب
 قريب من طب البدان وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم
 لعبد الله بن عمر رضی الله عنهما لما كان يسأله عن الصوم * فقال
 عليه السلام * صم يوما واقطر يوما * فقال اريد افضل من
 ذلك * فقال عليه السلام لا افضل من ذلك * ولذلك لما قيل
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا صام الدهر * فقال
 عليه السلام لا صيام ولا افطر * كما قالت عائشة رضی الله عنها
 لرجل كان يقرأ القرآن سذرة ان هذا ما قرأ القرآن ولا استكت

(وأما الدرجة المتوسطة) فهو أن تصوم ثلث الدهر ومبطل صحتك
 الإثنين والخميس وأضيف إليه رمضان * فقد وصلت من السنة
 أربعة أشهر أو أربعة أيام وهو زيادة على الثلث من لكن لا بد
 أن ينكسر يوم من أيام التشريق * وترجع الزيادة إلى ثلاثة أيام
 ويتصور أن ينكسر في العيدين يومان فتكون ثلاثة أيام. وترجع
 الزيادة إلى يوم واحد فتأمل حسابه تعرفه * فإم ينقضي أن ينقص
 من هذا القدر صومك فإنه خفيف على النفس ونوابه (جزييل
) وأما درجات أسوأه (ثلاث) (أدناها) أن يقتصر على
 السكف عن المفطرات ولا يكف جوارحه عن المسكاره وذلك
 صوم العموم وهو قناعهم بالاسم (الثانية) أن تضيف إليه كف
 الجوارح فتحفظ اللسان عن الغيبة والعين عن النظر بالزينة
 وكذلك الأعضاء (الثالثة) أن تضيف إليه صيانة القلب عن
 الفكر والرسواس * وتجعله مقصوداً على ذكر الله عز وجل
 وذلك صوم خصوصي والخصوص وهو الكمال : ثم للصيام
 غاية بها يكمل وهو أن يفطر على طعام حلال لا على شبهة
 وإن لا يستكثر من أكل الحلال بحيث يتلذذ بتأذنه طويلاً

فيكون قد جمع بينا كلتين دفعة واحدة فتثقل معدته وتقوى شهوته ويبطل سر الصوم وفائدته* ويفضى الى التكاسل عن التهجد* وربما لم يستيقظ قبل الصبح* وكل ذلك خسران وربما لا توازيه فائدة الصوم*

﴿ الاصل الرابع في الحج ﴾

قال الله تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وقال صلى الله عليه وسلم (من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا) وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ بني الاسلام على خمس ﴾ الحديث* وللحج أعمال ظاهرة ذكرناها في كتاب الاحياء* وتنبهك الآن على آداب دقيقة* وأسرار باطنة ﴿ أما الآداب ﴾ فسبعة ﴿ الاول ﴾ ان ترناد للطريق رقيقا صالحا ونفقة طيبة حلالا* فالزاد الحلال ينور القلب والرفيق الصالح يذكر الخير ويذجر عن الشر ﴿ الثاني ﴾ ان يخفي يده عن مال التجارة كيلا يتشعب فكره* ويتقسم خاطره ولا يصفو للزيارة قصده ﴿ الثالث ﴾ ان يوسع في الطريق بالطعام ويطيب الكلام مع الرققاء والمساكين ﴿ الرابع ﴾ ان

يترك الرفق والجدال والتحدث بالفضول في أمر الدنيا بل
 يقصر لسانه بعد مهات حاجاته على الفكر وتلاوة القرآن
 ﴿الخامس﴾ ان يركب راحلة دون الحمل ويكون رث الهيئة
 اشعت اغبر غير متزين بل على هيئة المساكين حتى لا يكتب
 في جملة المترفين ﴿السادس﴾ ان ينزل عن الدابة احيانا
 ترفيها للدابة وتطيبها لقلب المكاري * وتخفيفا للاعضاء بالتحرك
 ولا يحمل الدابة ما لا تطيق بل يرفق بها ما أمكن ﴿السابع﴾
 أن يكون طيب النفس بما اتفق من نفقة وبما أصابه من
 تعب وخسران * وان يرى ذلك من آثار قبول الحج
 فيحتسب الثواب عليه ﴿واما أسراره﴾ فكثيرة نرمر منها
 الى فنين ﴿أحدهما﴾ انه وضع بدلا عن الرهبانية التي كانت
 في الملل كما ورد به الخبر * فجعل الله سبحانه الحج رهبانية
 لامة محمد صلى الله عليه وسلم فشرف البيت العتيق و اضافه
 الى نفسه ونصبه مقصدا للعبادة * وجعل مع ما حو اليه حرما لبيته
 تفخما لامره * وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه وأكده
 حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره * ووضع على امثال

الملوك ليقتصدوا الزوار من كل فج عميق ضغفان غيرة مشوا الصالحين
 لرب العالمين خضوعا لجلاله واستكانة لعمرة مع الاعتراف
 بتزانه عن ان يكتفه يكت أو يحويه مكان ليكون ذلك ابلغ
 في رفقهم وعبوديتهم - ولذلك كلمهم اعمالا غريبة لا تناسبت
 الطبع والعقل ليكون اقدامهم بحكم محض العبودية * وامثال
 الامر من غير معاونة باغت آخر * وهذا سر عظيم في الاستعانة
 ولذلك قال صلى الله عليه وسلم * لييك بحجة حقا تعبد ورقا
 الفن الثاني * ان هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة
 فلتذكر الزيد بكل عمل من اعماله امر لمن امور الآخرة مواز باله
 فان فيه تذكرا للمتذكر وعبرة للمعتبر المستبصر * فتذكر من
 اول سفرك عند وداعك اهلك وداع الامل في سكرات الموت
 ومن مفارقة الوطن الخروج من الدنيا * ومن ركوب الجمل
 ركوب الجنزة * ومن الالتفاف في اوثاب الاحرام الالتفاف
 في اوثاب الكفن * ومن دخول البادية الى الميقات ما بين
 الخروج من الدنيا الى ميقات القيامة * ومن هول قطاع الطريق
 سؤال منكرو وتكبير * ومن سباع البوادي عقراب القين ودينامه

﴿وهيئة الحرمة﴾ ان تجلس وانت على الطهارة سا كنا مطرقا
 مستقبل القبلة غير متكىء ولا متربع ولا نائم كما تجلس بين
 يدي المقرئ وتقرأه بترييل وتسخيم* وتؤدّه حرفا حرفا من
 غير هزيمة* قال ابن عباس رضي الله عنه لأن أقرأ اذا
 زلزلت والقارعة أتدبرهما احب الي من ان أقرأ البقرة وآل
 عمران تهديرا ﴿الثاني﴾ ان تتشوق في بعض الاوقات
 الى اقصى درجات الفضل فيه* وذلك بان تقرأه في الصلوة
 قائماً خصوصاً في المسجد وبالليل لان القلب في الليل اصفى
 لانه افرغ* فانك وان خلوت بالنهار فتردد الخلق
 وحركاتهم في اشغالهم تحرك باطنك وتشغلك خصوصا
 عن ان كنت تتوقع ان تطلب شغلا من الاعمال والاشغال
 ﴿وكيف﴾ ما قرءته ولو مضطجعا من غير طهارة
 فلا تخلو عن الفضل . فان الله تعالى اثني على الجميع* وقال
 (الذين يدكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) الآية ولكن
 ما ذكرناه في زيادة الفضل* فان كنت من مريدي الآخرة
 فلا يسهل عليك ترك الفضل* وقد قال علي رضوان الله عليه

من قرء القرآن وهو قائم في الصلوة فله بكل حرف مائة
 حسنة * ومن قرء القرآن في غير صلاة وهو على طهارة خمس
 وعشرون حسنة * ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات
 ﴿ الثالث ﴾ في مقدار القراءة وله ثلاث درجات ﴿ ادناها ﴾
 ان يحتم في الشهر مرة ﴿ وأقصاها ﴾ ان يحتم في ثلاثة أيام
 مرة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من قرء القرآن في أقل من
 ثلاث لم يفقه ﴾ ﴿ وأعد لها ﴾ أن يحتم في الاسبوع مرة * وأما
 الختم في كل يوم فغير مستحب * وإياك ان تتصرف بعقلك
 فتقول ما كان خيراً ونافعاً فكلما كان أكثر كان أنفع . فان
 عقلك لا يهتدى الى اسرار الأمور الالهية * وانما تتلقاها قوة
 النبوة * فعليك بالاتباع فان خواص الامور لا تدرك بالقياس
 او ماترى كيف نديت الى الصلوة ونهيت عنها جميع النهار
 وأمرت بتركها بعد الصبح وبعد العصر وعند الطلوع وعند
 الغروب والزوال - وذلك ينتهي الى قدر ثلث النهار
 وكيف وأثر الفساد ظاهر على قياسك هذا . فانه كقول القائل
 الدواء نافع للمريض فكلما كان أكثر كان أنفع * وانت تعلم

ان كثرة الدواء ربما يقتل ﴿ وأما الاسرار الباطنة ﴾ خمسة
 ﴿ الاول ﴾ ان تستشعر في أول قرائتك عظمة الكلام باستشعار
 تعظيم المتكلم فتحضر في قلبك العرش والكرسى والسموات
 والارض وما بينهما من الملائكة والجن والانس والحيوانات
 والنباتات والمعادن وتذكر ان الخالق لجميعها واحد * وان
 الكل في قبضة قدرته متردد بين فضله ورحمته وانك تريد
 ان تقرء كلامه وتنظر به الى صفة ذاته وتطالع جمال علمه
 وحكمته وتعلم انه كما لا يمس ظاهر المصحف الا المطهرون
 بطواههم وهو محبوب عن غيرهم — فكذلك حقيقة معناه
 وباطنه محبوب عن باطن القلب الا اذا كان مطهرا من كل
 رجس وخبث من خبائث الباطن * وبمثل هذا التعظيم كان
 عكرمة اذا نشر المصحف ربما غشى عليه ويقول هذا كلام
 ربي هذا كلام ربي ﴿ واعلم ﴾ انه لولا ان انوار كلامه العزيز
 وعظمته غشيت بكسوة الحروف لما اطاقت القوة البشرية
 سماعه لعظمته وسلطانه وسبحات نوره . ولولا تثبيت الله عز
 وجل موسى عليه السلام لما اطاق سماعه مجردا عن كسوة

الحروف والاصوات كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حتى صار
 دكا دكا ﴿الثاني﴾ ان تقرأ بتدبر معانيه ان كنت من أهله
 وكل ما يجري لسانك به في غفلة فاعده ولا تمده من عمالك
 لان الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبر * قال علي عليه
 السلام لا خير في عبادة لا فقه فيها * ولا في قراءة لا تدبر
 فيها * واياك ان تصير مشغوفاً بعدد الخلمات على نفسك فلان
 تردد آية واحدة ليلة تدبرها خير لك من ختمتين * فقد قرأ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 فردها عشرين مرة * وقال ابو الدرداء رضي الله عنه
 قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة * فقام بآية
 يرددها ﴿ان تعذبهم فاعذبهم عذابك﴾ وقام تميم الداري ليلة
 بقوله سبحانه ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام
 سعيد بن جبير ليلة بقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون * ولعل
 الايق بك ما قاله بعض العارفين اذ قال ﴿لي﴾ في كل جمعة ختمة
 ولي في كل شهر ختمة . وفي كل سنة ختمة . ولي ختمة منذ
 ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد - وذلك بحسب درجات

التدبر * فان القلب في بعض الاوقات لا يحتمل التدبر الطويل
فليكن للتدبر الطويل ختمة خاصة ﴿ الثالث ﴾ ان تجتني في
تدبرك ثمار المعرفة من اغصانها وتقتبسها من اوطانها * ولا
تطلب الترياق من حيث تطلب منه الجواهر * ولا الجواهر
من حيث يطلب منه المسك والعود * فان لكل ثمرة غصنا *
ولكل جوهر معدنا . وانما يتيسر لك هذا بان تعرف الأصناف
العشرة التي حصرنا فيها أقسام القرآن * وهي عشرة معادن *
﴿ فما يتعلق ﴾ من القرآن بالله تعالى وبصفاته وافعاله فاقبس منه
معرفة الجلال والعظمة ﴿ وما يتعلق ﴾ بالارشاد الى الصراط
المستقيم فاقبس منه معرفة الرحمة والعطف والحكمة ﴿ وما يتعلق ﴾
باهلاك الاعداء فاقبس منه معرفة العزة والاستغناء والقهر
والتجبر ﴿ وما يتعلق ﴾ بأحوال الانبياء فاقبس منه معرفة
اللطف والنعمة والفضل والكرم - وكذلك في كل صنف
ما يليق به * فلا تنظرن اليه بعين واحدة * وشرح ذلك يطول
﴿ الرابع ﴾ ان تتخلي عن موانع الفهم وهي الاكنة التي تمنع
من الفهم * قال الله عز وجل ﴿ انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان

(٥٣)

يفقهوه وفي آذانهم وقرا ﴿ الآية . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ﴾ ﴿ واعلم ﴾ ان معاني القرآن من جملة الملكوت . وانما حروفها من عالم الشهادة والا كنهة التي يتلى بها المتقى المتعطر الى الحق نوعان ﴿ اما ما ابتلي ﴾ به ضعيف الايمان من حجاب الشك والجحود ﴿ واما ما ابتلي ﴾ به المهتمك في الدنيا من حجاب الشهوات المستغرقة للقلب * فذلك جلي لا يخفى كونه مانعا من فهم لطائف القرآن واقتباس أنواره فيها حجب أكثر الخلق ﴿ وأما العباد ﴾ المتجردون لطريق الله عز وجل يحجبون بنوعين آخرين ﴿ أحدهما ﴾ الوسواس الصارف للقلب الى التفكير في النية كيف كانت في الابتداء هل بقيت الان * وهل هو مخلص في الحال هذا ان كان في الصلاة أو الوسواس الصارف للهم الى تصحيح مخارج الحروف والتشكك فيها واعادتها لاجل ذلك * وهذا يجرى في الصلاة وغيرها فكيف يطالع أسرار الملكوت قلب محجوب مصروف الى مطالعة الشفتين وكيفية انطباقهما واللسان والحنك

وكيفية انسلال الهواء من اصطكاكهما. وهو معنى تقطيع
الحروف وتصحيحها ﴿ النوع الثاني ﴾ التقليد لظواهر معاني
القرآن والجمود عليها— وذلك حجاب عظيم عن الفهم. ولست
أعني به التقليد الباطل كتقليد المبتدع بل التقليد الحق أيضاً
فإن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له درجات وله مبدء
ظاهر وهو كالتشر والمثال وله غور باطن وهو كاللباب * قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ان للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً
ومطلعاً ﴾ فالجامد على الظاهر الظان انه ليس وراءه مرق
يرتقى اليه كيف يتصور أن تنكشف له الاسرار * فقد كلف
الخلق مثلاً أن يعتقدوا أن الله تعالى يرى ولكن للرؤية ظاهر
وسر * فمن اعتقد أن رؤية الله تعالى مناسبة للرؤية التي يالفها
الانسان في هذا العالم كيف يتصور أن يتطلع على سرّ قوله
تعالى لن تراني * وكيف يفهم ان ذلك ممتنع في هذه الحياة
الدينا بهذه العين الموقوفة على ملاحظة الجهات والاقطار * وكيف
يدرك قوله لا تدركه الابصار مع قوله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة ﴾ ويكفيك هذا المثال الواحد * فلننا نكشف لك

اكثر من هذا* ولسنا نقصد في هذا الاصل الا التلويحات
 لمبادى الاسرار تشويقاً للمستعدين لها (الخامس) ان لا تقتصر
 على اقتباس الانوار* بل تضيف اليها اقتباس الاحوال والآثار
 وذلك ان لا تقرأ آية الا وان تصير بصفتها* فتكون لك بحسب
 كل فهم حال ووجد* فعند ذكر الرحمة وعند المغفرة تستبشر
 كانك تطير من الفرح* وعند ذكر الغضب وشدة العقاب
 تتضائل كانك تموت من الفزع* وعند ذكر الله واسمائه
 وعظمته تتطأطأ وتتصاغر حتى كانك تتمحق من مشاهدة
 الجلال وعند ذكر الكفار ما يستحيل عليه من ولد وصاحبة
 تنكسر وتفض صوتك كانك تنطمس من الحياء* وكذلك في
 كل صنف من الاصناف العشرة* وذلك ايضا يطول* وليظهر
 اثر ذلك على جوارحك من بكاء عند الحزن* وعرق جبين
 عند الحياء* واقشعرار الجلد وارتعاد الفرائص عند الهيبة
 والجلال* وانبساط في الاعضاء واللسان والصوت عند
 الاستبشار واتقباض فيها عند الاستشمار* فاذا فعلت ذلك
 اشرك في نيل حظ القرآن جميع أعضائك* وفاضت آثار

القرآن على عوالمك الثلاثة * اعني عالم الملكوت وعالم الجبروت
 وعالم الشهادة ﴿واعلم﴾ انك مركب من العوالم الثلاثة ففيمك
 من كل عالم جزء ﴿واعلم﴾ ان محض أنوار المعرفة تفيض من
 عالم الملكوت الى سر القلب لانه أيضا من الملكوت * وأما آثارها
 من الخشية والخوف والسرور والهيبة وسائر الاجوال فانها
 تهبط من عالم الجبروت * ومهبطها الصدر الذي هو عالم
 الجبروت * وهو عالم آخر من عوالمك كنيينا عنه بالصدر كما
 كنيينا عن الاول بالقلب لان عالم الجبروت بين عالم الملكوت
 وعالم الشهادة كما ان الصدر بين القلب والجوارح ﴿وأما البكاء﴾
 والشهيق والاقشعرار وارتعاد الفرائص فتزل من عالم
 الشهادة ومهبطها الجوارح لانها من عالم الشهادة * وما اراك
 تفهم من القلب غير اللحم الصنوبري الشكل * ومن الصدر
 غير العظم المحيط به * فانك لا تدرك من كل شيء الاغلافه
 وقشره * وما ابعذك عن درك الحقائق . فان هذا يوجد للبهائم
 والميت ولا تنزل عليه أنوار المعارف والمعلوم ولا آثارها من
 الخشية والهيبة والسرور * فان اردت ان تستنشق شيئا من

روائح هذه الاسرار وما أراك تريد فقد أخذ الشيطان
 بمخنتك بجبال الشهوات . فعليك بباب التوحيد من أول كتاب
 التوكل ان أردته ﴿واعلم﴾ ان القرآن كالشمس * وفيضان
 أسرار المعارف منه على القلب كفيضان أنوار الشمس على
 الأرض * وسريان آثار الخوف والخشية والهيبه وسائر الاحوال
 منه على الصدر كسريان حرارة الشمس في باطن الأرض تابما
 لاشراق الأنوار * فان الخشية أثر نور المعرفة * وانما يخشى الله
 من عباده العلماء * فانتشار الحركات والتغيرات الى الجوارح
 من البكاء والعرق والاقشعرار والارتعاد منبت من آثار
 الخشية * وسائر الأحوال كحركة أجزاء الارض بتضاعف
 الابخره والادخنة منها بتصعيد حرارة الشمس فالحرارة تبع
 الحرارة * والحرارة تبع النور * والنور تبع وقوع المحاذات
 بين الارض والشمس * فاجتهد بان تحاذي بوجه قلبك شطر
 شمس القرآن وتستضيء بأنواره — كذلك فان لم تطق ذلك
 فاصغ الى النداء الوارد من جانب الطور الايمن * فان آنتست
 من جوانبه ناراً نخذ منه قبسا واشعل منه سراجاً * فان كان

زيتك صافيا يكاد يضيء ولولم تمسه نار* فاذا مسته النار انبعث
منه الضياء ووجدت على النار هدى* وقام في حقل مقام
الشمس المنتشرة الاشرار والضياء*

﴿ الاصل السادس ﴾

ذكر الله عز وجل في كل حال* قال الله سبحانه ﴿ واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ وقال لنبه صلى الله عليه وسلم
﴿ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ﴾ وقال صلى الله عليه
وسلم لذكر الله بالعبادة والعشى افضل من حطم السيوف في
سبيل الله ومن اعطاء المال سخاء* وقال صلى الله عليه وسلم الا
انبتكم بخير اعمالكم واذكاها عند مليكم وارفعها في درجاتكم
وخير لكم من اعطاء الورق والذهب* وخير لكم من ان
تلقوا اعدائكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم* قالوا وما
ذاك يا رسول الله* فقال ذكر الله* وقال صلى الله عليه وسلم
﴿ سبق المفردون سبق المفردون ﴾ فقيل ومن هم يا رسول الله
فقال المستهترون بذكر الله وضع ذكر الله عنهم او زارهم
فوردوا القيامة خفافا ﴿ واعلم ﴾ انه قد انكشف لارباب

البصائر ان الذكر أفضل الاعمال ولكن له أيضا قشور ثلاثة
 بعضها أقرب الى اللب من بعض * وله لب وراء القشور
 الثلاثة وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه ﴿ فالقشر الاعلى
 منه ﴾ ذكر اللسان فقط ﴿ والثاني ﴾ القلب اذا كان القلب
 يحتاج الى موافقته حتى يحضر مع الذكر * ولو ترك
 وطبعه لاسترسل في أودية الافكار ﴿ والثالث ﴾ ان
 يستمكن الذكر من القلب ويستولى عليه بحيث يحتاج
 الى تكلف في صرفه عنه الى غيره كما احتج في الثاني
 الى تكلف في قراره معه ودوامه عليه ﴿ والرابع وهو اللباب ﴾
 ان يستمكن المذكور من القلب وينمحي الذكر ويختفي وهو
 اللباب المطلوب * وذلك بان لا يلتفت الى الذكر ولا الى
 القلب بل يستغرق المذكور جملته * ومهما ظهر له في اثناء ذلك
 التفات الى الذكر فذلك حجاب شاغل * وهذه الحالة التي
 يعبر عنها العارفون بالفناء * وذلك بان يفني عن نفسه حتى
 لا يحس بشيء من ظواهر جوارحه * ولا من الاشياء الخارجة
 عنه ولا من العوارض الباطنة فيه بل يفني عن جميع ذلك

ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا * ثم ذاهبا فيه
آخراً * وان خطر له في اثناء ذلك انه في عن نفسه بالكلية
فذلك شوب وكدورة . بل الكمال في ان يفني عن نفسه
ويفني عن الفناء ايضا * فان الفناء عن الفناء غاية الفناء — وهذا
قد يظنه الفقيه الرسمي انه طامات غير معقولة * وليس
كذلك بل هذه الحالة لهم بالاضافة الى محبوبهم كحالتك
في اكثر الاحوال بالاضافة الى محبوبك من جاه او مال او
معشوق فانك قد تصير مستغرقا لشدة الغضب بالتفكر في
عدوك ولشدة التفكير في معشوقك حتى لا يكون فيك
متسع لشيء أصلا * فتخاطب فلا تفهم . ويمتاز بين يديك
غيرك فلا تراه وعينك مفتوحتان . ويتكلم عندك فلا تسمع
وما باذنك صم * وانت في هذا الاستغراق غافل عن كل
شيء وعن الاستغراق ايضا . فان الملتفت الى الاستغراق
معرض عن المستغرق به * وانما سمو هذه الحالة فناء وان
كان الشخص والظلل باقيا لان الاشخاص والاظلال بل
سائر المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود بل الوجود الحقيقي

لعالم الامر والملكوت * والقلب من عالم الامر * قال الله تعالى
﴿ قل الروح من امر ربي ﴾ والقوالب من عالم الخلق واعني
بالقلب اللطيفة الذاكرة العارفة التي هي مهبط الأنوار الالهية
دون القلب الظاهر * فان ذلك من عوالم الخلق فلا يفهم من
هذا اشارة الى قدم الروح وحدوث القالب بل هما جميعا
حادثان * وانما اعني بالخلق ما تقع عليه المساحة والتقدير وهي
الاجسام وصفاتها * واعني بعالم الامر ما لا يتطرق اليه
التقدير * والعالم الجسماني ليس له وجود حقيقي بل هو من
ذلك العالم كالظل من الاجسام * وليس لظل الانسان
حقيقة الانسان . وليس للشخص حقيقة الوجود بل هو
ظل الحقيقة والكل من صنع الله تعالى * قال الله تعالى
﴿ ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها ﴾
وظلالهم بالغدو والاصال وسجود عالم الامر طوع لله * وسجود
الظلال كره * وتحتته سر بل اسرار تحرك اوائلها سلسلة
المجانين الحمقى فضلا عن اوآخرها فلتجاوزها * فقد افهمناك
ما ارادوه بالفناء * فدع عنك الغيبة والتكذيب بما لم تحط

يعلمه كما قال تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ وقال تعالى
 ﴿ واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا اذك قديم ﴾ فاذا فهمت
 الفناء في المذكور ﴿ فاعلم ﴾ انه اول الطريق * وهو الذهب
 الى الله عز وجل * وانما الهدى بعده اعني بالهدى هدى
 الله كما قال الخليل صلوات الله عليه ﴿ اني ذاهب الى ربي
 سيهدين ﴾ فاول الامر ذهاب الى الله * ثم ذهاب في الله -
 وذلك هو الفناء والاستغراق به * ولكن هذا الاستغراق
 اولا يكون كبرق خاطف قل ما يثبت ويدوم * فان دام ذلك
 صارت عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى وطالع
 الوجود الحقيقي الاصفى * وانطبع له نقش الملكوت وتجلي
 له قدس اللاهوت * واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر
 الملائكة وارواح الانبياء والاولياء في صورة جميلة يفيض اليه
 بواسطتها بعض الحقائق - وذلك في البداية الى ان تملو
 درجته عن المثال . فيكافح بصريح الحق في كل شيء * فاذا ردد
 الى هذا العالم المجازي الذي هو كالظلال * نظر الى الخلق
 نظر مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حظيرة القدس

وتعجب منهم في قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور وعالم
الخيال فيكون معهم حاضرا بشخصه غائبا بقلبه متعجبا . هو
من حضورهم وتعجبون هم من غيبته * فهذه ثمرة لباب
الذكر وانما مبدءها ذكر اللسان * ثم ذكر القلب تكلفا * ثم
ذكر القلب طبعا * ثم استيلاء المذكور وانحاء الذكر * وهذا
سر قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ من احب ان يرتع في رياض
الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل ﴾ بل سر قوله ﴿ يفضل الذكر
الخفي على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا ﴾ ﴿ واعلم ﴾
ان كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فان شعورهم
تقارن شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك
بذهابك في المذكور بالكلية . فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة
وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت اليه فهو معرض عن
الله عز وجل * وغير منفك عن شرك خفي حتى تصير
مستغرقا بالواحد الحق * فذلك هو التوحيد — وكذلك
القول في المعرفة * فمن طلب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثاني *
ومن وجدها كمثل ان لا يجدها بل يجد العروف بها فهو

الذي استمكن من حقيقة الوصال * وحل بمجوحة حظيرة
القدس * فان قلت فلم اختصت هذه المكاشفات بحال الفناء
﴿ فاعلم ﴾ ان هذه قصة يطول فيها نظر الناظر — وذلك اذا
تأملت لم تقصر عن ان تدرك كون الحواس وعوارض النفس
وشهواتها جاذبة الى هذا العالم المحسوس * وهو عالم الزور
والغرور — ولذلك ينكشف صريح الحق بالموت لبطلان
سلطان الحواس والخيالات المولية بوجه القلب الى عالم السفلى *
فان قصر عنك سلطان الحواس بالنوم طولت بشيء من
الغيب على قدر استعدادك وقبولك وهمتك * ولكن بمثال
يحتاج الى التعبير * وما عندي انك لم تصادف من نفسك
رؤيا صادقة اطلعت بها على امر مستقبل * لكن الخيال لا يفتر
في النوم وان ركبت الحواس * فذلك يضعف الاطلاع
ولا يخلو من شوب المثال * واما الفناء فعبارة عن حالة ترك
فيها الحواس ولا تشتغل * ويسكن فيها الخيال ولا يشوش *
فان بقيت في الخيال بقية مغلوبة لم يؤثر الا في محاكات
ما يتجلى من عالم القدس حتى يتمثل الانبياء والملائكة والارواح

المقدسة في قوالب الخيال * فهذه امور نهت عليها لتكون
 مشوقا الى ان تصير من اهل الذوق لها * فان لم تكن فمن
 اهل العلم بها * فان لم تكن فمن اهل الايمان بها ﴿ ويرفع الله
 الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾ واياك
 ان تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد اذا
 كشفت بالحق عند سكرات الموت الذي كنت منه تحيد
 وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
 غطائك فبصرك اليوم حديد ﴿ واعلم ﴾ ان الايمان والعلم والذوق
 ثلاث درجات متباعدة * فان العينين مثلا يتصور ان يصدق
 بوجود شهوة الواقع لغيره بان يقبل ذلك ممن يحسن ظنه به
 ولا يهتمه بالكذب — وذلك ايمان ويتصور ان يعلم بالبرهان
 وجوده لغيره * وهو علم * وما أخذه قياس ان ينظر الى
 شهوته للطعام مثلا فيقيس بها شهوة الواقع * وكل ذلك بعيد
 عن ادراك حقيقة الشهوة بوجودها له — وكذلك المرض
 يعرفه العامي الصحيح ويؤمن به * ويعرفه الطيب الصحيح
 بالبرهان وهو علم * ومن لم يصبر مرضا لم يحصل له الذوق فكذلك

القول في الفناء في التوحيد (فالذوق) مشاهدة (والعلم) قياس
 (والايان) قبول بحسن الظن مع الانفكاك عن التهمة * فاجتهد
 أن تصير من أهل المشاهدة * فليس الخبر كالمعاينة * فان قلت
 فقد عظمت أمر الذكر فهو أفضل ام قراءة القرآن (فاعلم) ان
 قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم الا للذاهب الى الله عز وجل
 وهو أفضل للذاهب الى الله في جميع أحوال بدايته وفي بعض
 احواله في نهايته * فان القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف
 والاحوال والارشاد الى الطريق * فما دام العبد مفتقرا الى
 تهذيب الاخلاق وتحصيل المعارف * فالقرآن أولى به . فان
 جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه بحيث يرتجى له ان
 يفضى به ذلك الى الاستغراق * فمداومة الذكر أولى به
 فان القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة *
 والمريد الذاهب الى الله تعالى لا ينبغي أن يلتفت الى الجنة
 ورياضها * بل ينبغي أن يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا
 واحدا حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق — فلذلك قال
 الله عز وجل (ولذكر الله أكبر) وكذلك من ينتهي الى

درجة الاستغراق ولا يدوم ولا يثبت عليه فاذا رد الى
 نفسه فقد ينفعه تلاوة القرآن * وهذه حالة نادرة عزيزة
 كالكبريت الأحمر يتحدث به ولا يوجد * فتكون تلاوة
 القرآن أفضل مطلقا لانه أفضل في كل حال الا في حال من
 شغله المتكلم عن الكلام * اذ لباب القرآن معرفة المتكلم بالقرآن
 ومعرفة جماله والاستغراق به * والقرآن سائق اليه وهاد
 نحوه ومن أشرف على المقصدم يلتفت الى الطريق * فان قلت
 فاي الاذكار أفضل ﴿ فاعلم ﴾ ان الأفضل كما ذكرناه استيلاء
 المذكور على القلب وهو شيء واحد لا كثرة فيه حتى يختار
 افضله * وذلك عين الجمع والتوحيد * وانما التفرقة والكثرة قبل
 ذلك فذلك ما دمت في مقام الذكر باللسان والقلب * وعند هذا
 قد ينقسم الذكر الى الافضل وغير الافضل * وفضله بحسب
 الصفات التي يعبر عنها بالاذكار * والصفات والاسماء الواردة
 في حق الله سبحانه تنقسم الى ما هو حقيقة في حق العباد
 وماولة في حقه سبحانه كالصبور والشكور والرحيم والمنتقم
 والى ما هو حقيقة في حقه سبحانه * واذا استعمل في حق

غيره كان مجازاً * فمن أفضل الأذكار ﴿لا اله الا الله الحي القيوم﴾
فان فيه اسم الله الأعظم اذ قال صلى الله عليه وسلم اسم الله
الأعظم في آية الكرسي واول آل عمران * ولا يشتركان الا
في هذا * وله سر يدق عن فهمك ذكره والقدر الذي يمكن
الرمز اليه ان قولك (لا اله الا الله) يشعر بالتوحيد * ومعنى
الوحدانية في الذات والريية حقيقى في حق الله عز وجل غير
مأول بل هو في حق غيره مجاز ومأول — وكذلك ﴿الحي﴾
فان معنى الحي هو الذى يشعر بذاته ويعلم ذاته * والميت هو الذى
لاخبر له من ذاته — وهذا أيضا حقيقى لله تعالى غير مأول
﴿والقيوم﴾ يشعر بكونه قائماً بذاته وان كل شىء قوامه به —
وهذا أيضا حقيقى لله عز وجل غير مأول ولا يوجد لغيره
وماعداها من الاسماء الدالة على الافعال كالرحيم والمقسط
والعدل وغيره فهو دون مايدل على الصفات لان مصادر
الافعال هي الصفات والصفات أصل والافعال تبع * وما
عداها من الصفات التى تدل على القدرة والعلم والارادة
والكلام والسمع والبصر» فذلك مما يظن ان الثابت منها لله

عز وجل مفهوم من ظواهرها * وهيات فان المفهوم من
 ظواهرها امور تناسب صفات الانسان وكلامه وقدرته وعلمه
 وسمعه وبصره * بل لها حقايق يستحيل ثبوتها للانسان
 فيستخرج من هذه الاسامي بنوع من التأويل * فهذا
 ينبك على ما يحتمله فهمك من اختصاص هذه الكلمات
 بكونها أعظم * ويقرب منه قولك ﴿ سبحان الله والحمد لله
 ولا اله الا الله والله اكبر ﴾ لان سبحان الله للتقديس وهو
 حقيقي في حقه فان التقديس الحقيقي لا يتصور الا له تعالى
 وقولك ﴿ الحمد لله ﴾ يشعر باضافة النعم كلها اليه وهو حقيقي اذ
 هو المتفرد بالافعال كلها تفردا حقيقيا بلا تأويل * وهو
 تبارك وتعالى المستوجب الحمد وحده * اذ لا شركة لاحد
 معه في فعله اصلا كما لا شركة للقلم مع الكاتب في استحقاق
 المحمودة عند حسن الخط * ﴿ واعلم ﴾ ان كل من سواه
 ممن ترى منه نعمة فهو تعالى مسخر له كالقلم فهذا مثال ينبك
 على تفرده باستحقاق الحمد * وقولك ﴿ لا اله الا الله ﴾ فقد
 عرفت انه التوحيد الحقيقي * وقولك ﴿ الله اكبر ﴾ فليس

المعنى به انه أكبر من غيره اذ ليس معه سبحانه غيره حتى
 يقال أكبر منه * بل كل ما سواه فهو نور من أنوار قدرته *
 وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعية حتى يقال انها
 أكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه انه عز وجل * أكبر من
 أن ينال بالحواس أو يدرك جلاله بالعقل والقياس * بل أكبر
 من أن يدرك كنه جلاله غيره * بل أكبر من أن يعرفه
 غيره * فانه لا يعرف الله تبارك وتعالى الا الله * فان انتهى
 معرفة عباده ان يعرفوا انه يستحيل منهم معرفته الحقيقية *
 ولا يعرف ذلك أيضا بكلامه الا النبي او صديق ﴿ اما النبي ﴾ فيعبر
 عنه ويقول ﴿ لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك ﴾
 وأما الصديق فيقول ﴿ العجز عن درك الادراك ادراك ﴾ فان
 تشوقت الى زيادة تحقيق في هذا المعنى واستكرت قولي لا
 يعرف الله الا الله * فاطلب معرفة حقيقته بالبرهان من كتاب
 ﴿ المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى ﴾ ويكفيك الآن
 هذا القدر من الرموز الى اسرار الذكر وفضل الاذكار منها *

﴿ الأصل السابع في طلب الحلال ﴾

قال الله سبحانه ﴿ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ والحرام
 خبيث وليس بطيب * فقد قرن عز وجل أكل الطيبات
 بالعبادات * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ طلب الحلال
 فريضة على كل مسلم بعد الفريضة ﴾ أي بعد فريضة الايمان
 والصلوة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من أكل الحلال اربعين
 يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ﴾
 وفي رواية اخرى زهده الله في الدنيا * وقال صلى الله عليه
 وسلم ﴿ ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل
 حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل ﴾ فالصرف النافلة * والعدل
 الفريضة * وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة
 دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلواته مادام عليه منه
 شيء * وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنه لو صليتم حتى
 تكونوا كالحنايا وصتمتم حتى تكونوا كاللاوتار لم يقبل الله
 ذلك منكم الا بورع حاجز * وقيل العبادة مع أكل الحرام
 كالبنيان على السرقين *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتويره
وتأكيد استعداده لقبول أنوار المعرفة * وفيه سر لا يحتمل
هذا الكتاب ذكره * ولكن ينبغي ان تفهم ان درجات
الورع أربعة ﴿ الدرجة الاولى ﴾ هي التي يجب الفسق
باقتحامها * وتزول العدالة بزوالها * وهي التي يحرمها فتوى
الفقهاء ﴿ الثانية ﴾ ورع الصالحين وهو الحذر عما يتطرق
اليه احتمال التحريم * وان افتي المفتي بحله بناء على الظاهر
وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ دع ما
يريبك الى ما لا يريبك ﴾ ﴿ الثالثة ﴾ ورع المتقين قال النبي
صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما
لا بأس به حذارا ومخافة مما به بأس ﴾ وقال عمر رضي الله عنه
كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام * ومن
هذا الاصل كان بعضهم اذا استحق مائة درهم اقتصر على
تسعة وتسعين * ويترك الواحد حاجزا بينه وبين النار خوفا
الزيادة * وكان بعضهم يأخذ ما يأخذ بتقصان حبة ويمطي

ما يعطي بزيادة حبة — ولذلك اخذ عمر بن عبد العزيز رحمة
 الله عليه أنفه حذرا من ريح المسك لبيت المال كان يوزن
 بين يديه * وقال هل ينتفع الا بريحه * ومن ذلك ان يتورع
 عن الزينة واكل الشهوات خيفة من ان تغلب النفس فتدعوه
 الى الشهوات المحظورة * ومن ذلك ترك النظر الى تجمل
 اهل الدنيا فانه يحرك دواعي الرغبة في الدنيا — ولذلك
 قال الله تعالى (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا منهم
 زهرة الحياة الدنيا) ولذلك قال عيسى ابن مريم عليه السلام
 لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب
 بحلاوة ايمانكم — ولذلك قال السلف من رق ثوبه رق دينه
 فالحلال الطيب كل حلال انفق عن مثل هذه المخافة
 ولم يوجد فيها (الرابعة) ورع الصديقين وهو الحذر عن كل
 مالا يراد بتناوله القوة على طاعة الله تعالى اذا كان قد يتطرق
 الى بعض اسبابها معصية. فمن ذلك ما حكى ان ذا النون المصري
 كان محبوسا جائعا * فبعثت اليه امرأة سالحة من طيب مالها
 طعاما على يد السجنان * فلم يأكل منه واعتذر أنه جاءني على

طبق ظالم أي يد السجان * ومن ذلك ان بشر الخافي كان لا
 يشرب الماء من الانهار التي حفرها السلاطين * وأطفأ بعضهم
 سراجا اشعله غلامه من بيت ظالم * وشرب بعضهم دواء
 فاشارت اليه امرأته بالمشى والتردد * فقال هذه مشية لا أعرف
 لها وجها * وانا احاسب نفسي على جميع حركاتي — وهذه
 رتبة أقوام وفوا بقوله تعالى (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)
 فعدوا كل مالم يكن لله تعالى حراما * وليس هذا من عشك وعش
 ناصحك * فادرج واجتهد ان تقيء بورع المدول الذي تفتى به
 الفقهاء * نعم ينبغي ان تضيف اليه شيئين (احدهما) ان تحذر
 عن مواقع غرورهم ولا تلتفت الى قولهم (من وهب في آخر السنة
 ماله زوجته واستوهب منها مالها سقطت الزكاة عنها) فانهم
 ان عنوا به ان السلطان لا يطالبهم بالزكاة لان مطمح نظره
 ظاهر الملك فهو صدق ودرجة الفقهاء وفتواهم ذكر ما يتعلق
 بالظواهر فيحكمون بالبراءة عن الزكاة اذا سقط طلب الساعي
 ويحكمون بصحة الصلوة اذا امتنع القتل على السلطان بجريان
 صورة الصلوة * اذ ليس بايديهم من القوانين الا القانون

الذى يستعمله السلطان فى السياسة لينتظم امر المعيشة الدنيوية
 التى هى منزل من منازل الطريق كما سبق ﴿ واما انت ﴾ اذا
 كنت تنظر فيما ينفك عند جبار الجبارة وسلطان
 السلاطين فلا تلتفت الى هذا ﴿ واعلم ﴾ ان مقصود الزكاة
 ازالة رذيلة البخل فانه مهلك كما قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ﴿ ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
 المرء بنفسه ﴾ وهبة مال الزكاة لاجل درء الزكاة يجعل الشح
 مطاعا فانه يصير مطاعا باجابه الى ما يقتضيه * وقبل هذا لم
 يكن مطاعا فكيف يكون ذلك منجيا * وكذلك من يسىء
 معاشره زوجته حتى تنفك له من المهر فلا يحل له المهر بينه
 وبين الله عز وجل وان كان الفقيه يفتي بسقوط المهر وصحة
 الابراء لان الله تعالى قال ﴿ فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
 فكلوه هنيئا مريئا ﴾ وليس هذا طيبة النفس بل طيبة
 القلب * والفقيه لا يميز بين الأمرين لان شغفه بقطع
 الخصومات الظاهرة لا غير ﴿ والحجامة ﴾ وشرب الدواء البشيع
 لا تطيب به النفس بل يطيب به القلب - وكذلك كل ما ياباه

الطبع ويريده العقل لمصلحة البدن في العاقبة * وهذا باب
 طويل * واصله ان لا تستحل مال غيرك الا برضاء مطلق
 صاف * وينبغي ان لا تأكل من السؤال * فان سألت فاحذر
 ان تسأل على الملاء فربما يعطى بالحياء - وذلك ليس مقرونا
 بالرضاء * فان المستحي يوتر الم ازالة الملك على الم الحياء * ولا
 فرق بين ان تأخذ ماله بضرب ظاهره بالسوط * وبين ان
 تأخذه بضرب باطنه بسوط الحياء * فالكل مصادرة واحذر
 ايضا ان يعطيك بالدين * وذلك بان يعطيك لظنه انك ورع
 تقي فتا كل بالدين * ويكون من شرط حله ان لا يكون في
 باطنك مالوا طلع عليه المعطى لامتنع من الاعطاء * فلا فرق
 بين من يأخذ بالتصوف والتقوى * وليس هو متصفا به باطنا
 وبين من يزعم انه علوي يعطى وهو كاذب * وكل ذلك حرام
 عند ذوي البصائر وان افتى الفقيه بالحل بناء على الظاهر في الفن
 الثاني ان تراجع قلبك وان افتوك فان الائم حزاز القلوب
 فالذي يضرك ما حاك في قلبك - ولذلك قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك * وهذا السر

طويل ذكره * ولكن اعلم على الجملة ان المحذور من الحرام
 اظلام القلب والمطلوب من الحلال تنويره - وذلك يتشعب
 من اعتقادك لامن نفس المعتقد * فمن وطىء امرأة على ظن
 انها اجنبية * فاذا هي منكوحته حصل اظلام القلب * ولو
 وطىء اجنبية على ظن انها زوجته لم يحصل - وكذلك في
 النجاسات والطهارات المؤثرة في تنوير القلب وهمك واعتقادك
 فما أمرت بان تصلي وثوبك طاهر بل ان تصلي وانت تعتقد
 انه طاهر فاستشعار الطهارة مؤثر في اشراق القلب وان
 لم يكن على وفق الحال - ولذلك تقول ان من صلى ثم تذكر
 انه كان معه نجاسة فليس عليه الاعادة على الاصح لانه صلى
 الله عليه وسلم خلع نعليه في اثناء صلاته لما اخبره جبريل عليه
 السلام بان عليهما قدرا واستمر فيها * ولذلك يشدد الامر
 على الموسوس فانه ما لم يطمئن قلبه باعتقاده الطهارة فيجب
 عليه الاستقصاء والمعاودة * وأولئك قوم شددوا على انفسهم
 فشد الله عليهم * فهلكوا باستقصائهم كما قال عليه السلام ﴿هلك
 المتطمعون﴾ - فكذلك في الحلال انت متعبد بما يطمئن اليه

قلبك لا بما يفتى به المفتي فاستفت قلبك *

فصل

اياك ان تشدد على نفسك فتقول اموال الدنيا كلها
 حرام * وقد اخبتها الأيدي العادية * والمعاملات الفاسدة
 فاقنع بالحشيش مترهباً او تناول من الجميع متوسعاً * لا افضل
 فيه بين حلال وحرام بل اعلم قطعا ان الحلال بين والحرام
 بين * وبينهما امور متشابهات - كذلك كان في عصر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم - وكذلك يكون ابد الدهر * فاستمد من
 السر الذي ذكرناه فانك غير متعبد بما هو في نفسه حلال
 بل بما هو في اعتقادك حلال لا تعرف سبباً ظاهراً في تحريمه
 فقد توضعاً رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشرك
 وتوضعاً عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية * ولو عطشوا
 لشربوا منه * وشرب الماء النجس حرام ولكن استصحبوا
 يقين الطهارة ولم يتركوها لتوهم النجاسة ﴿ وكذلك ﴾ كل
 مال صادفته في يد رجل مجهول عندك حاله * فلك ان تشتري
 منه وتأكل من ضيافته * تحسبنا للظن بالمسلم * فان الاصل

ان ما في يده فهو حلال * وما تصادفه في يد رجل عرفته
 بالصلاح فهو اولى بان تعتمده حلالا ﴿ نعم ﴾ يجب الحذر مما
 تصادفه في يد سلطان ظالم او رجل عرفته بالرّبا او بيع الخمر
 فيجب الحذر منه حتى تسئل وتستقصى وتعرف انه من اين
 حصل له * فان ظهر لك جهة حصوله وانه حلال فلك اخذه
 والافلا * فالاعتماد على العلامة الظاهرة وهي قرينة حاله * وهذا
 اذا كان اكثر امواله كذلك * فان كان اكثرها حلالا فلك ان
 تأكل منه وان تركته فذلك ورع * فقد كتب بعض وكلاء
 ابن المبارك من البصرة اليه * يسئله عن معاملة رجل يعامل
 السلطان * فقال ان كان لا يعامل غير السلطان فلا تعامله * وان
 كان يعامل غيره ايضا فعامله * وبالجملة الناس في حثك ستة
 اقسام ﴿ احدها ﴾ ان يكون مجهولا فكل من ماله والحذر
 ليس بواجب بل هو محض الورع ﴿ الثاني ﴾ ان تعرفه بالصلاح
 فكل منه ولا تتورع * فالورع فيه وسوسة * فان ادى الى
 الاذى والايحاش فهو معصية وحرام لما فيه من الايذاء * ولما
 فيه من سوء الظن بالرجل الصالح ﴿ الثالث ﴾ ان تعرفه بالظلم

والربا حتى علمت ان كل ماله او اكثره حرام كالسلاطين
الظلمة وغيرهم فمالهم حرام ﴿الرابع﴾ ان تعرف ان اكثر
امواله حلال ولكن لا يخلو عن حرام كرجل له تجارة
وميراث وهو مع هذا في عمل السلطان فلك الاخذ بالاعب
لكن الترك من الورع المهم ﴿الخامس﴾ ان يكون مجهولا
عندك لكن ترى عليه علامة الظلم كالقباء والقلنسوة وهيته
الظلمة * فهذه علامة ظاهرة توجب الحذر فلا تأكل
من ماله الا بعد التفيش ﴿السادس﴾ ان ترى عليه
علامة الفسق لا علامة الظلم كطول الشارب وانقسام شعر
الرأس قزعا او رأيته يشتم غيره او ينظر الى امرأة * فان
علمت له مالا موروثا او تجارة لم يحرم ماله بذلك * وان كان
امره مجهولا عندك فهذا فيه خطر لان علامة الفسق اضعف
دلالة من علامة الظلم ولكن الاظهر عندي انه لا يحرم ماله
لان ظاهر اليد والاسلام يدل على الملك دلالة اظهر من
دلالة هذه العلامات على التحريم * وليست هذه الدلالة
اقوى من دلالة النصرانية والمجوسية على نجاسة الماء * ولم

يلتفت اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمر رضي الله
 عنه * اما علامة الظلم فنضاهى ما اذا رأينا ظيية تبول في ماء
 ثم وجدنا الماء متغيرا فامكن ان يكون من طول المكث
 وامكن ان يكون من البول فانه يجب اجتنابه احالة على
 السبب الظاهر * ثم وراء ذلك كله عليه ان يستفتي قلبه * فاذا
 وجد في قلبه حزازة فليجتنبه * فالأثم حزازة القلوب
 وحكاكات الصدور * ولكن ههنا دقيقة يغفل عنها اهل
 الورع * وهي انه حيث يكون الترك من الورع او من
 حزازة في النفس فلا يجوز الترك والسؤال بحيث يؤذى
 فالمجهول اذا قدم اليك طعاما فان سألته انه من اين استوحش
 وتأذى * والايذاء حرام * وسوء الظن حرام * وان سألته
 عن غيره بحيث يدري زاد الايذاء * وان سألت بحيث
 لا يدري فقد تجسست وأسأت الظن * وبعض الظن اثم
 وتساهلت بالغبية والتهمة وكل ذلك حرام * وترك الورع
 ليس بحرام * فليس لك الا التلطف بالترك فان لم يكن الا
 بايذاء * فمليك ان تأكل فان طيبة قلب المسلم وصيانتة عن الايذاء

اهم من الورع * فايك أن تكون من القراء المغرورين الذين لا
 يدركون دقائق الورع ﴿ واعلم ﴾ ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أكل من صدقة بريرة ولم يسئل عن المتصدق * وكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل اليه الهدايا فيقبل ولا
 يسئل * نعم سئل في اول قدومه الى المدينة عما حمل اليه هل
 هو صدقة او هدية لان ذلك ليس فيه ايداء ولان قرينة الحال
 كانت تقتضى الامكان في الصدقة والهدية على وتيرة واحدة
 وكان صلى الله عليه وسلم يدعى الى الضيافات فيجيب ولا
 يسئل ولم ينقل السؤال الا نادرا في محل الريبة * فان قلت فان
 وقع طعام حرام في سوق فهل يشتري من ذلك السوق
 ﴿ فاقول ﴾ ان تحققت ان الحرام هو الاكثر فلا تشتري الا
 بعد التفتيش * وان علمت ان الحرام كثير وليس بالاكثر
 فلك الشراء * والتفتيش من الورع * ولقد كان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يشترون
 في اسفارهم من الاسواق مع علمهم بان فيهم اهل الربا والنصب
 واهل الغلول في الغنيمة * وكانوا لا يتركون المعاملة معهم * وهذا

الباب يستدعي شرحا طويلا * فان رغبت فيه فطالع كتاب الحلال
 والحرام من كتب الاحياء لتشهد عند مطالعته بانه لم يصنف
 في فنه مثله في التحقيق والتحصيل والاحاطة بجميع التفاصيل
 ﴿ الاصل الثامن في القيام بحقوق المسلمين ﴾
 وحسن الصحبة معهم وهو ركن من أركان الدين اذ الدين
 معناه السفر الى الله تعالى * ومن أركان السفر حسن الصحبة
 في منازل السفر مع المسافرين والخلق كلهم سفر يسير بهم
 العمر سير السفينة بركابها ﴿ واعلم ﴾ ان الانسان في الدنيا اما
 أن يكون وحده أو يكون مع خواصه من اهل وولد وقريب
 وجار أو يكون مع عموم الخلق * فهذه ثلاثة أحوال وعليه
 حسن الصحبة واداء الحقوق في جميع هذه الاحوال ﴿ الحالة
 الاولى ﴾ ان يكون وحده وليعلم انه بنفسه عالم وان
 باطنه يشتمل على اصناف من الخلق مختلفي الطباع والاخلاق
 فان لم يحسن صحبتهم ولم يحميهم هلك * واصناف جنود
 الباطن كثيرة ﴿ وما يعلم جنود ربك الا هو ﴾ وقد استقصينا
 بمض ذلك في كتاب عجائب القلب * ونذكر الآن أمراء الجنود

ورؤسها * فنقول فيك شهوة تجذب بها الى نفسك النافع وغضب
 تدفع به عن نفسك الضار * وعقل تدبر به الامور وترعى به
 الرعية * فانت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة
 كالفرس مثلاً * وباعتبار عقلك ملك وانت مأمور بالعدل بينهم
 والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم لتقتنص بمعونتهم سعادة
 الابد * فان رضت الفرس ^(١) وادبت الكلب وسخرتهما للملك
 يسر لك الظفر بما طلبت * وان سخرت العقل في استنباط
 الحيل لتحصيل ما يتقاضاه الكلب بغضبه ^(٢) ولحاجه * والفرس
 بحرصه وجشعه اوفيت على المطب ^(٣) فضلا عن ادراك
 مقصود الطب فصرت منكوسا معكوسا فاجرا ظالما لان
 الظلم وضع الشيء في غير موضعه * ولو رأيت شخصاً جعل
 في طاعته ملك وكنب وخنزير فلم يزل يضطر الملك الى ان
 يسجد للخنزير والكلب * فهل تراه ظالماً مستوجبا للعنة * ولو
 كوشفت بحالك عند منامك او عند فنائك عن نفسك كما

(١) من الرياضة يقال راض المهر اذا ذلله (٢) وفي نسخة بعضه

(٣) عطب عطياً من باب تعب أى هلك

وصفناه في الاستغراق بالله لرأيت كل من اطاع شهوته
وغضبه ساجدا لکلب وخنزير اذ لم يكن الکلب کلبا لصورته
بل لمعناه* وكذلك ترى نفسك بعد الموت لان المعاني في عالم
الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شيء بصورة
توازي معناه فيحشر المتكبرون في صغر الذر يطوهم من اقبل
وادبر* والمتواضعون اعزاء ﴿واما هذا العالم﴾ فعالم التلبيس فقد
يودع معنى الخنزير والکلب في صورة الانسان فلا تغتر به
فان ذلك ينكشف يوم تبلى السرائر* فعليك ان تحسن صحبة
رفقائك الثلاثة فتكسر شره الشهوة بسطوة الغضب وتقل
من غلواء الغضب بخداع الشهوة* وتسلط احدهما على الاخر
فان ذلك بليغ جدا في تقويمهما حتى يتقادا للعقل والشرع
فيستعملهما العقل بحيث يتفع بهما كما يستعمل الصايد القوس
والکلب عند الحاجة ويسكنهما عند الاستغناء* وشرح هذه
الرياضة والصيد طويل ذكرناه في كتاب رياضة النفس*

﴿الحالة الثانية﴾

صحبتك مع عموم الخلق فأقل درجات حسن الصحبة كف

الاذى عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿المسلم من
 سلم المسلمون من لسانه ويده﴾ وفوق ذلك ان تفهمهم وتحسن
 اليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿الخلق كلهم عيال الله واحبهم
 الى الله انفعهم لعياله﴾ وفوق ذلك ان تحتمل الاذى منهم
 وتحسن مع ذلك اليهم* وذلك درجة الصديقين قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ﴿ان اردت ان تسبق
 الصديقين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عن
 ظلمك﴾ هذه جملة الامر وتفصيل هذه الحقوق كثيرة
 وتقتصر من جملتها على عشرين وظيفة ﴿فمنها﴾ ان لا تحب
 للناس الا ما تحب لنفسك قال عليه السلام من سره ان
 يزحزح عن النار فليأته منيته وهو يشهد ﴿ان لا اله الا الله وان
 محمدا رسول الله﴾ وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتي اليه ﴿ومنها﴾
 ان يتواضع لكل احد ولا يفتخر عليه فان الله لا يحب كل
 مختال فخور* وان تكبر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى* خذ
 العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴿ومنها﴾ ان
 يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال عليه السلام ليس منا من

لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا* وقال عليه السلام من اجلال الله
 تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم* وقال صلى الله عليه وسلم ما وقر
 شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في شيبته من يوقره وهذا
 يبشره بطول الحياة مع الاجر* ومنها* ان تكون مع كافة الخلق
 مستبشر اطلق الوجه وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون على
 من حرمت النار قال الله ورسوله اعلم قال* على الهين اللين
 السهل القريب* وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل
 الطلق* ومنها* اصلاح ذات البين بين المسلمين ولو بالمبالغة
 والزيادة في الكلام قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من
 اصلاح بين الاثنين* فقال خيرا اونمي خيرا* وقال صلى الله عليه
 وسلم الا اخبركم بافضل من درجات القيام والصلاة والصدقة
 قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين* وفساد ذات البين هي
 الخالقة* ومنها* ان لا تسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا
 يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم* لا يدخل
 الجنة قتات* وقيل من نم اليك نم عليك* ومنها* ان لا تزيد
 في الهجرة عند الوحشة على ثلاثة ايام قال صلى الله عليه وسلم

لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث * وقال صلى الله عليه
 وسلم من اقال مسلماً عثرته اقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة
 ﴿ ومنها ﴾ ان تحسن الى كل احد كان اهلاً لذلك او لم يكن *
 قال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى
 من ليس اهله فان لم يصب اهله فانت من اهله ﴿ ومنها ﴾
 ان تخالق كل صنف باخلاقهم ولا تلتمس من الجاهل والنبي
 ما تلتمس من الورع العالم * قال داود عليه السلام الهي كيف لي
 ان يحبني الناس واسلم فيما بيني وبينك فاوحى الله سبحانه
 اليه ﴿ خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الآخرة
 باخلاق الآخرة ﴾ ﴿ ومنها ﴾ ان تنزل الناس منازلهم فتزيد في
 اكرام ذي المنزلة وان كانت منزلته في الدنيا فان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بسط رداءه لبعضهم * وقال اذا جاءكم كريم
 قوم فاكرموه ﴿ ومنها ﴾ ان تستر عورات المسلمين * قال
 صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها
 عليه الا دخل الجنة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ يامعشر من
 آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تمتابوا المسلمين

ولا تتبعوا عوراتهم ﴿ * فان من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله
 عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته
 ﴿ ومنها ﴾ ان تتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء
 الظن والسننهم عن الغيبة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ﴿ اتقوا مواضع التهم ﴾ وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 احدى نساته فربه رجل * فسلم عليه فلما مر دعاه * فقال يا فلان
 هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني
 لا اظن فيك * فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى
 الدم ﴿ ومنها ﴾ ان تسعى في قضاء حوائج المسلمين ولو بشفاعة
 قال صلى الله عليه وسلم * اشفعوا اليّ تؤجروا فاني اريد
 الأمر فأؤخره كي تشفعوا اليّ فتؤجروا * وقال صلى الله
 عليه وسلم ﴿ من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار
 قضاها او لم يقضها كان خيرا له مع اعتكاف شهرين ﴾ وقال
 صلى الله عليه وسلم ﴿ قيامك مع اخيك ساعة خير من اعتكافك
 سنة ﴾ ﴿ ومنها ﴾ ان تبادر بالسلام على كل مسلم وتصافحه
 ليكون لك فضل البداية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسع
وستون لاحسنهما برا ﴿ ومنها ﴾ ان ينصر اخاه في غيبته فيرد
عن عرضه وماله * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
احد ينصر مسلما في موضع يهتك فيه من عرضه وتستحل
حرمة الا نصره الله في موطن يجب فيه نصرته * وما من
احد يخذل مسلما في موضع تهتك فيه حرمة الاخذله الله
في موضع يجب فيه نصرته ﴿ ومنها ﴾ ان تداري اهل الشر
لتسلم منهم * قالت عائشة رضی الله عنها استأذن رجل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم * فقال ايدنوا له فيئس رجل
العشيرة * فلما دخل الاذن له القول حتى ظننت ان له عنده
منزلة * فلما خرج راجعته في ذلك فقال يا عائشة ان شر الناس
منزلة عند الله يوم القيامة من يكرمه الناس اتقاء فحشه * وقال
صلى الله عليه وسلم ﴿ ماوقى المرء به عرضه فهو له صدقة ﴾
وقال صلى الله عليه وسلم * خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم
بالقلوب ﴿ ومنها ﴾ ان تحذر مجالسة الاغنياء وتكثر مجالسة
المساكين * قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اياكم ومجالسة الموتى ﴾

قيل ومن هم قال الاغنياء * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم
 احبني مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ﴾
 وكان سليمان عليه السلام اذ رأى في المسجد مسكينا جلس اليه
 وقال مسكين جالس مسكينا * وقال موسى عليه السلام ﴿ الهى
 اين اطلبك قال عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ﴾ ﴿ ومنها ﴾
 ان لا يجالس الا من يفيد في الدين فائدة او من يستفيد
 منه * فاما اهل الغفلة فيتحذر منهم * قال صلى الله عليه وسلم
 الوحدة خير من الجليس السوء * والجلس الصالح خير من
 الوحدة * فاذا اكثر من مجالسة اهل الغفلة فينتقص من دينه
 بكل جلسة شيء فليقدر ان كل واحد منهم لو كان يأخذ منه
 في كل جلسة سلكا من ثوبه او شعرة من شعر لحيته اما كان
 يحذره خيفة ان يصير على القرب امر داعاريا * فالحذر لاجل
 الدين اولى ﴿ ومنها ﴾ ان يعود مرضاهم * ويشيع جنازتهم
 ويزور قبورهم * ويدعو لهم في الغيبة * ويشمت العاطس
 وينصف الناس من نفسه * وينصح اذا استنصح الى غير ذلك
 من حقوق كثرت فيها الاخبار آثرنا فيها الاختصار * وجلتها

ان تعمل في حقهم ما تحب ان يعمل في حقك من احسان
 واهتمام وكف اذى *

﴿ الحالة الثالثة ﴾

الصحبة مع من يدلي سوى عموم الاسلام بخاصية كجوار او
 قرابة او ملك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اذارميت كلب جارك
 فقد اذيته ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اول خصمين يوم
 القيامة جاران ﴾ وقيل له صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم
 النهار وتصلي الليل وتؤذي الجيران فقال ﴿ هي في النار ﴾
 وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اندرون ما حق الجار ان استعان
 اعنته * وان استقرضك اقرضته * وان افتقر جدت عليه
 وان مرض عدته * وان مات اتبعت جنازته * وان اصابه
 خير هنأته * وان اصابته مصيبة عزيتسه * ولا تستطيل
 عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه * واذا اشترت
 فاكهة فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك
 ليغيظ بها ولده * ولا تؤذ به بقتار قدرك الا ان تعرف له منها
 اندرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا

من رحمه الله ﴿ واما القرابة ﴾ فقد قال صلى الله عليه وسلم قال
 الله تبارك وتعالى ﴿ انا الرحمن ﴾ وهذه الرحم شقت لها
 اسما من اسمي . فمن وصلها وصلته . ومن قطعها قطعته * وقال
 صلى الله عليه وسلم ﴿ صلة الرحم تزيد في العمر ﴾ وقال صلى الله
 عليه وسلم توجد رائحة الجنة على مسيرة خمس مائة عام ولا
 يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم * وقال صلى الله عليه وسلم برّ
 الوالدين أفضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد
 في سبيل الله عز وجل * وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة
 على الولد ضعفان * وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين
 اولادكم بالعطية ﴿ واما المملوك ﴾ فقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم
 اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم
 مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل الا يطيقون * فان الله
 ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم * وقال صلى الله عليه وسلم
 اذا كفى احدكم مملوكه طعاما فكفاه حره وعلاجه وقرّبه
 اليه فليجلسه فليأكل معه او لياخذ لقمة فليروغها وليضعها
 في يده وليقل كل هذه * وسئل صلى الله عليه وسلم كم نفقو

عن المملوك في اليوم والليلة * قال سبعين مرة * فجملة حق
 المملوك ان يشرّكه في طعمته وكسوته * ولا يكافه فوق طاقته
 ويعفو عز زلته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء * ويعلمه
 مهات دينه ﴿ وأما حقوق المنكوحه ﴾ فزيد على هذا اذ يجب
 لها مع القيام بواجباتها حسن العشرة والمطايبة * قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ﴿ خيركم خيركم لاهله * وأنا خيركم
 لأهلي ﴾ وكان صلى الله عليه وسلم من أفكّه الناس مع نسائه
 والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى *

فصل

من أصول الدين في أمر الصحبة اتخاذ الاخوان في الله
 عز وجل قال الله تعالى لبعض أنبيائه ﴿ أما زهدك ﴾ في الدنيا
 فقد استعجلت الراحة ﴿ وأما اتقطاعك الى ﴾ فقد تعززت بي
 فهل واليت في وليا * وهل عادت في عدوا * وقال صلى
 الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة ﴿ أين المتحابون لجلالي اليوم
 اظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي ﴾ واوحى الله سبحانه الى عيسى
 عليه السلام ﴿ لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض

وحب في الله ليس وبفض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئاً ﴿
 وقال صلى الله عليه وسلم ان حول العرش منابر من نور
 عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور وليسوا بانبياء ولا شهداء
 يعبطهم النبيون والشهداء * فقالوا يا رسول الله حلهم لنا من هم .
 فقال المتحابون في الله * والمتجالسون في الله * والمتزاورون
 في الله عز وجل ﴿واعلم﴾ ان كل حب لا يتصور دون الايمان
 بالله واليوم الآخر فهو حب في الله * ولكنه على درجتين
 ﴿احدهما﴾ ان تحبه لتال منه في الدنيا نصيبا يوصلك الى
 الآخرة كحبك استاذك وشيخك * بل تلميذك الذي ينمو
 علمك بتعليمه * بل خادمك الذي يفرغ قلبك عن كفس
 بيتك وغسل ثوبك لتفرغ بسببه لطاعة الله تعالى بل المنفق
 عليك من ماله اذا كان غرضك من ذلك افراغ القلب لعبادة
 الله تبارك وتعالى * ﴿الثانية﴾ وهي أعلى ان تحبه لانه محبوب
 عند الله عز وجل ويحب الله وان لم يتعلق غرض به لك
 في الدنيا والآخرة من علم او معونة على دين او غيره * وهذا
 أكمل لان الحب اذا غلب تعدى الى كل من هو من

المحجوب بسبب حتى يحب الانسان محب محبوه ومحجوب محبوه * بل يميز بين الكلب الذي هو في سكة محبوه وبين سائر الكلاب * وانما سراية الحب بقدر غلبة الحب * ومن احب لقاء الله لم يمكنه ان لا يحب عباده الصالحين المرضيين عنهم الا ان ذلك قد يقوى حتى يحمل على ان يسلك بهم مسلك نفسه بل يؤثرهم على نفسه * وقد يقصر عن ذلك وفضلهم عنده ينقسم بقدر درجته وقوته * وكذلك ينفذ لا محالة من يعصيه ويخالف أمره ويظهر أثر ذلك في مجانبته ومهاجرته له وتقطيعه الوجه عند مشاهدته * ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عليّ يدا فيجبه قلبي حذرا من ان يقدح ذلك في البغض في الله * وبالجملة من لا يصادف من نفسه الحب في الله والبغض في الله بهذه الاسباب فهو ضعيف الايمان * وهذا له تفصيل وتحقيق * فاطلبه من كتاب الصحبة والاخوة في الله تعالى *

— الأصل التاسع —

في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر * قال الله تعالى ﴿ ولتكن

منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون ﴿ الآية وقال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات
اولياء بعض ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وقال أبو بكر الصديق رضي
الله عنه في خطبته * أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية
وتتأولونها على خلاف تأويلها ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم لا يضركم من ضل اذا هتديتم ﴾ واني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن قوم عملوا بالمعاصي وفيهم
من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا أوشك ان يعمرهم الله
بعذاب من عنده * وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً
اعمالهم اعمال الانبياء * قالوا يا رسول الله كيف ذلك * قال لم
يكونوا يفضبون لله عز وجل * ولا يأمرون بالمعروف
ولا ينهون عن المنكر *

﴿ فصل ﴾

كل من شاهد منكراً ولم ينكره وسكت عنه فهو شريك

فيه فالمستمع شريك المفتات * ويجرى هذا في جميع المعاصي حتى في مجالسة من يلبس الديباج ويتختم بالذهب ويجلس على الحرير * والجلوس في دار او في حمام على حيطانها صور او فيها أو اني من ذهب او فضة او الجلوس في مسجد يسيء الناس الصلوة فيه فلا يتمون الركوع والسجود والجلوس في مجلس وعظ يجري فيه ذكر البدعة او في مجلس مناظرة أو مجادلة يجري فيها الايذاء والايحاش بالسفه والشتم * وبالجملة من خالط الناس كثرت معاصيه وان كان تقياً في نفسه الا ان يترك المداهنة ولا تأخذه في الله لومة لائم * ويشغل بالحسبة والمنع وانما يسقط عنه الوجوب بأمرين (احدهما) ان يعلم انه ان انكر لم يلتفت اليه ولم يترك المنكر ونظر اليه بعين الاستهزاء وهذا هو الغالب في منكرات تركها الفقهاء ومن يزعم انه من أهل الدين * فهنا يجوز السكوت ولكن يستحب الزجر باللسان اظهاراً لشعار الدين مهما لم يقدر على غير الزجر باللسان * ويجب ان يفارق ذلك الموضع فليس يجوز مشاهدة المعصية بالاختيار * فمن جلس في مجلس الشرب فهو فاسق

وان لم يشرب * ومن جالس مغتابا او لابس حرير او آكل
ربا او حرام فهو فاسق فليقم من موضعه ﴿ والثاني ﴾ ان
يعلم انه يقدر على المنع من المنكر بان يرى زجاجة فيها خمر
فيرميها فتكسر * أو يسلب آلة الملاهي من يده ويضربها على
الارض ولكن يعلم انه يضرب أو يصاب بمكروه * فهنا
يستحب الحسبة لقوله تعالى ﴿ وانه عن المنكر واصبر على
ما اصابك ﴾ ولا يجب الا ان يكون المكروه الذي يصيبه
له درجات كثيرة يطول النظر فيها ذكرناها في كتاب الأمر
بالمعروف من الاحياء * وعلى الجملة فلا يسقط الوجوب
الا بمكروه في بدنه بالضرب او في ماله بالاستهلاك او
في جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح في مروته * فاما الخوف
استيحاش المنكر عليه وخوف تعرضه له باللسان وعداوته
له او توهم سعيه له في المستقبل بما يسوءه او يحول بينه وبين
زيادة خير يتوقعا * فكل ذلك موهومات وامور ضعيفة
لا يسقط الوجوب بها *

﴿ فصل ﴾

عمدة الحسبة شيطان ﴿ احدهما ﴾ الرفق والالطف والبداية
 بالوعظ على سبيل اللين لا على سبيل العنف والترفع والاذلال
 بدالة الصلاح فان ذلك يؤكده داعية المعصية ويحمل العاصي
 على المناكرة وعلى الايذاء * ثم اذا اذاه ولم يكن حسن الخلق
 غضب لنفسه وترك الانكار لله تعالى * واشتغل بشفاء غليله
 منه فيصير عاصيا بل ينبغي أن يكون كارها للحسبة يود لو
 ترك المعصية بقول غيره فانه اذا أحب أن يكون هو
 المتعرض كان ذلك لما في نفسه من دالة الاحتساب وعزته *
 وقال عليه السلام ﴿ لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر
 الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به
 حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ﴾
 ووعظ المأمون رحمة الله عليه واعظ بعنف فقال يا رجل ارفق
 فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر مني فامرته
 بالرفق فقال الله تعالى ﴿ قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾
 وروي أبو امامة الباهلي رضي الله عنه أن غلاماً شاباً أتى

النبي صلى الله عليه وسلم * فقال أتأذن لي بالزنا فصاح الناس
به فقال النبي عليه السلام ﴿أقرّوه أقرّوه أدن مني﴾ فدنا منه
فقال عليه السلام ﴿أتعجبه لامك﴾ فقال لا جماني الله فذاك قال
عليه السلام ﴿كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم﴾ ثم قال ﴿أتعجبه
لابنتك﴾ قال لا قال ﴿كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم﴾ حتى
ذكر له الاخت والعمة والخالة ويقول عليه السلام ﴿كذلك
الناس لا يحبونه﴾ ثم وضع يده على صدره وقال ﴿اللهم طهر
قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه﴾ فلم يكن بعد ذلك شئ أبغض
اليه من الزنا * وقال بعضهم للفضيل ان سفيان بن عيينة قبل
جوائز السلطان * فقال ما أخذ منهم الا دون حقه * ثم خلى
به وعاتبه بالرفق * فقال يا أبا علي ان لم تكن من الصالحين فانا
نحب الصالحين *

﴿ العمدة الثانية ﴾

ان يكون المحتسب قد بدأ بنفسه فهدبها وترك ما ينهى عنه
أولا * قال الحسن البصري اذا كنت تأمر بالمعروف فتكن
من أخذى الناس به والا هلكت * فهذا هو الاولى حتى

ينفع كلامه والا استهزئ به * وليس هذا شرطاً بل يجوز
 الاحتساب للمعاصي أيضاً * قال أنس قلنا يا رسول الله ألا تأمر
 بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهي عن المنكر حتى نجتنبه
 كله * قال عليه السلام بلى مروا بالمعروف وان لم تعملوا
 به كله وانهاوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله * وقال الحسن
 البصري يريد أن لا يظفر الشيطان منكم بهذه الخصلة وهو
 أن لا تأمروا بالمعروف حتى تأتوا به كله يعني ان هذا يؤدي
 الى حسم باب الحسبة * فمن ذا الذي يعصم عن المعاصي *

﴿ الاصل العاشر في اتباع السنة ﴾

اعلم أن مفتاح السعادة اتباع السنة والافتداء برسول الله صلى
 الله عليه وسلم في جميع مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى
 في هيئة أكله وقيامه ونومه وكلامه * لست أقول ذلك في آدابه
 في العبادات فقط لانه لا وجه لاهمال السنن الواردة فيها بل ذلك
 في جميع أمور العادات * فبذلك يحصل الاتباع المطلق قال
 الله سبحانه ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾

وقال تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾
 فعليك أن تلبس السر اويل قاعداً وتتعلم قائماً * وتبتدء باليمين
 في تملك وتأكل يمينك * وتعلم أظفارك وتبتدء بمسبحة
 اليد اليمنى وتختتم باهامها * وفي الرجل تبتدء بمخصر اليمنى
 وتختتم بمخصر اليسرى * وكذلك في جميع حركاتك وسكناتك
 فقد كان محمد بن أسلم لا يأكل البطيخ لأنه لم ينقل اليه كيفية
 أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له * وسهى بعضهم فابتدأ في
 لبس الخلف باليسرى * فكفر عن ذلك بكر حنطة * فلا ينبغي
 أن تتساهل في أمثال ذلك فتقول هذا مما يتعلق بالعبادات فلا معنى
 للاتباع فيه لان ذلك ينلق عليك باباً عظيماً من أبواب السعادة

فصل

لعلك تشتهي الآن الوقوف على السبب المرغب في الاتباع
 في هذه الافعال وتستبعد أن يكون تحت ذلك أمر مهم يقتضي
 هذا التشديد العظيم في المخالفة ﴿فاعلم﴾ ان ذكر السر في آحاد تلك
 السنن طويل لا يحتمل هذا الكتاب شرحه لكن ينبغي أن
 تفهم ان ذلك ينحصر في ثلاثة أنواع من الاسرار ﴿الاول﴾

انا قد نبهناك في مواضع على العلاقة التي بين الملك والملكوت
 وبين الجوارح والقلب وكيفية تأثير القلب بعمل الجوارح فان
 القلب كالمراة ولا تتجلى فيه حقائق الاشياء الا بتصقيله وتنويره
 وتعديله ﴿أما تصقيله﴾ فبازالة خبث الشهوات وكدورة
 الاخلاق الذميمة ﴿وأما تنويره﴾ فبانوار الذكر والمعرفة
 ويعين على ذلك العبادة الخالصة اذا أدت على كمال الخدمة بمقتضى
 السنة ﴿وأما تعديله﴾ فبان يجري في جميع حركات الجوارح
 على قانون العدل اذ اليد لا تصل الى القلب حتى تقصد بتعديله
 وتحديث فيه هيئة معتدلة صحيحة لا اعوجاج فيها * وانما
 التصرف في القلب بواسطة تعديل الجوارح وتعديل حركاتها
 ولهذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة * ولهذا تعظم حسرة
 من مات قبل التعديل لا نسداد طريق التعديل بالموت اذ
 تنقطع علاقة القلب عن الجوارح فهما كانت حركات الجوارح
 بل حركات الخواطر أيضا موزونة بميزان العدل حدث في
 القلب هيئة عادلة مستوية تستعد لقبول الحقائق على نعمت
 الصحة والاستقامة كما تستعد المراة المعتدلة لمحاكاة الصور

الصحيحة من غير اعوجاج ﴿ ومعنى العدل ﴾ وضع الاشياء
 مواضعها * ومثاله أن الجهات مثلاً أربعة وقد خص منها جهة القبلة
 بالتشريف فالعدل أن تستقبل في أحوال الذكر والعبادة والوضوء
 وان تنحرف عنها عند قضاء الحاجة وكشف العورة اظهاراً
 لفضل ما ظهر فضله ﴿ ولليمين ﴾ زيادة على اليسار غالباً لفضل
 القوة * فالعدل أن تفضلها على اليسار وتستعملها في بعض الاعمال
 الشريفة كأخذ المصاحف والطعام * وترك اليسار للاستنجاء
 وتناول القازورات ﴿ وقلم الظفر ﴾ مثلاً تطهير اليد فهو اكرام
 فينبغي أن يتبدء بالاكرم والافضل * وربما لا يستقل عقلك
 بالتفطن للترتيب في ذلك وكيفية البداية * فاتبع فيه السنة وابتداء
 بالمسبحة من اليمنى لان اليد أفضل من الرجل واليمنى أفضل
 من اليسرى * والمسبحة التي بها الاشارة في كلمة التوحيد أفضل
 من سائر الاصابع * ثم بعد ذلك تدور من يمين المسبحة
 وللكف ظهر ووجه فوجهه ما تقابله * فاذا جعلت الكف
 وجه اليد كان يمين المسبحة من جانب الوسطى فقدّر اليمين
 متقابلتين بوجهيهما * وقدّر الاصابع كأنها أشخاص فتدور

بالمقراض من المسبحة الى أن تختم باهمام اليمنى * كذلك فعل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم * والحكمة في ذلك ما ذكرناه فاذا
 أنت تعودت رعاية العدل في دقائق الحركات صارت العدالة
 والصحة هيئة راسخة في قلبك واستوت صورها * وبذلك
 تستعد لقبول صورة السعادة * ولذلك قال الله تعالى ﴿ فاذا
 سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ فروح الله عز وجل مفتاح
 أبواب السعادة ولم يكن نفخها الا بعد التسوية * ومعنى
 التسوية يرجع الى التعديل * وفي ذلك سر طويل يطول شرحه
 وانما نريد الرمز الى أصله * فان كنت لا تقوى على فهم حقيقته
 فالتجربة تنفعك * فانظر الى من تعود الصدق كيف يصدق
 رؤياه غالباً لان الصدق حصل في قلبه هيئة صادقة يتلقى
 لوائح الغيب في النوم على الصحة * وانظر كيف يكذب
 رؤيا الكذاب بل رؤيا الشاعر لتعوده التخيلات الكاذبة *
 فاعوج لذلك صورة قلبه * فان كنت تريد أن تلمح جنات القدس
 فاترك ظاهر الاثم وباطنه واترك الفواحش ماظهر منها وما
 بطن * واترك الكذب حتى في حديث النفس أيضاً ﴿ السر

الثاني ﴿ أن تعلم أن الاشياء المؤثرة في بدنك بعضها انما يعقل
 تأثيرها بنوع من المناسبة الى الحرارة والبرودة والرطوبة
 واليبوسة كقولك ان العسل يضر المحرورين وينفع البارد
 مزاجه * ومنها ما لا يدرك بالقياس ويعبر عنه بالخواص وتلك
 الخواص لم يوقف عليها بالقياس بل مبدء الوقوف عليها وحي
 أو الهام * فالمنطيس يجذب الحديد * والسقمونيا يجذب خلط
 السفراء من أعماق العروق لاعلى القياس بل بخاصية وقف عليها
 اما بالالهام أو بالتجربة * وأكثر الخواص عرفت بالالهام
 وأكثر التأثيرات في الادوية وغيرها من قبل الخواص
 فذلك ﴿ فاعلم ﴾ أن تأثيرات الاعمال في القلب تنقسم الي
 ما هو يفهم وجه مناسبته كعلمك بأن اتباع الشهوة الدنيوية
 يؤكده علاقته مع هذا العالم * فيخرج من العالم منكوس الرأس
 موليا وجهه الى هذا العالم اذ فيه محبوبه * وكعلمك أن المداومة
 على ذكر الله تعالى تؤكده الانس بالله تعالى وتوجب الحب
 حتى تمظم اللذة به عند فراق الدنيا والقدوم على الله سبحانه
 اذ اللذة على قدر الحب * والحب على قدر المعرفة والذكر *

﴿ومن الاعمال﴾ ما يؤثر في الاستعداد لسعادة الآخرة او لشقاوتها بخصوصية ليست على القياس لا يوقف عليها الا بنورا لنبوة فاذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد عدل عن أحد المباحين الى الآخر وآثره عليه مع قدرته عليهما ﴿فاعلم﴾ انه اطلع بنور النبوة على خاصية فيه وكشف به من عالم الملكوت كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿يا أيها الناس ان الله أمرني ان أعلمكم مما علمني وأءدبكم مما أدبني فلا يكثرن أحدكم الكلام عند الجماعة فانه يكون منه خرس الولد ولا ينظرن أحدكم الى فرج امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه العمى * ولا يقبلن أحدكم امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه صمم الولد * ولا يدمن أحدكم النظر في الماء فانه يكون منه ذهاب العقل﴾ وهذا مثال مما ذكرناه وارادنا تنبيهك على اطلاعه على خواص الأشياء بالاضافة الى أمور الدنيا لتقيس به اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ما يؤثر بالخاصية في السعادة والشقاوة فلا ترضى بقرضى لنفسك ان تصدق محمد بن زكريا الرازي المتطبب فيما يذكره من خواص الاشياء في الحجامة والاحجار والادوية

ولا تصدق سيد البشر محمد بن عبد الله الهاشمي المكي المدني
صلوات الله عليه وسلامه فيما يخبر به عنها * وأنت تعلم انه
صلى الله عليه وسلم مكاشف من العالم الاعلى بجميع الاسرار
وهذا ينبهك على الاتباع فيما لا يفهم وجه الحكمة فيه على ما
ذكرناه في السر الاول (السر الثالث) ان سعادة الانسان
ان يتشبه بالملائكة في النزوع عن الشهوات وكسر النفس
الامارة بالسوء * ويعد عن مشابهة البهيمة المهملة سدى التي
تسترسل في اتباع الهوى بحسب ما يقتضيه طبيعتها من غير
حاجز * ومهما تعود الانسان في جميع الامور ان يفعل ما
يشاء من غير حاجز الف اتباع مراده وهواه * وغلب على
قلبه صفة البهيمة * فصالحته ان يكون في جميع حركاته
ملجما بلجام يصدده عن طريق الى طريق كيلا تنسى نفسه
العبودية * ولزوم الصراط المستقيم فيكون اثر العبودية ظاهرا
عليه في كل حركة * اذ لا يفعل شيئاً بحسب طبيعته بل
بحسب الامر * فلا ينفك في جميع احواله عن مصادمات
الزمان بايثار بعض الامور على بعض (ومن التي زمامه الى

يد كلب مثلا حتي لم يكن تصرفه وتردده بحكم طبعه بل بحكم غيره فنفسه اقوم الى قبول الرياضة الحقيقية واقرب واقوى من جعل زمامه في يد هواه يسترسل بها استرسال البهيمة * ونحت هذا سر عظيم في تركية النفس * وهذه فائدة تحصل بوضع الشارع صلى الله عليه وسلم كيف ما وضعه * والفائدة الحكيمة والخاصية لا تتغير بالوضع وهذا يتغير بالوضع * فان المقصود ان لا يكون مخلي مع اختياره * وذلك المقصود يحصل بالمنع عن أحد الجانبين أي جانب كان * وفي مثل هذا يتصور ان يختلف الشرايع لانه ثمرة الوضع * فيكفيك هذه التنبيهات الثلاث على فضل ملازمة الاتباع في جميع الحركات والسكنات *

﴿ فصل ﴾

هذا التحريض كله الذي ذكرته انما هو في العادات ﴿ واما في العبادات ﴾ فلا عرف لترك السنة من غير عذر وجها الا كفر خفي او حق جلي * بيانه ان النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال ﴿ تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ﴾

فكيف تسمح نفس المؤمنين بتركها من غير عذر * نعم يكون
 السبب في ذلك اما حق او غفلة بان لا يتفكر في هذا التفاوت
 العظيم * ومن يستحق غيره اذا آثر واحدا على اثنين كيف
 لا يستحق نفسه اذا آثر واحد على سبع وعشرين * لاسيما
 فيما هو عماد الدين ومفتاح السعادة الابدية (واما الكفر) فهو
 ان يخطر بباله ان هذا ليس كذلك * وانما ذكره للترغيب في
 الجماعة والا فأي مناسبة بين الجماعة وبين هذا العدد المخصوص
 من بين سائر الاعداد * وهذا كفر خفي قد ينطوي عليه
 الصدر وصاحبه لا يشعر به * فما اعظم حماقة من يصدق
 المنجم والطبيب في امور ابعد من ذلك ولا يصدق النبي
 المكاشف باسرار الملكوت * فان المنجم لو قال لك اذا انقضى
 سبعة وعشرون يوما من اول تحويل طالعك اصابتك نكبة
 فاحترز في ذلك اليوم واجلس في بيتك فلا تزال في تلك المدة
 تستشعر وتترك جميع اشغالك * ولو سألت المنجم عن سببه
 لقال لك انما قلت ذلك لأن بين درجة الطالع وموضع
 زحل سبعا وعشرين درجة فتأخر النكبة في كل درجة يوما او

شهرا * فاذا قيل لك هذا هوس اذ لا مناسبة له فلا تصدق
 به فلا يخلو قلبك عن الاستشعار * وتقول في افعال الله تعالى
 عجائب لا تعرف مناسبتها ولعلها خواص لا تدرك * وقد عرف
 بالتجربة ان ذلك مما يؤثر وان لم يعرف مناسبته * ثم اذا آل
 الأمر الى خبر النبوة عن الغيب انكرت مثل هذه الخواص
 وطلبت المناسبة الصريحة * فهل لهذا سبب الا شرك خفي لا
 بل كفر جلي اذ لا محمل له سواء * وسبب هذا التكامل
 كله انك لا يهملك أمر آخرتك فان امر دنياك لما كان يهملك
 فتحطاط فيه بقول المنجم والطبيب وبالاختلاج والتقال والامور
 البعيدة عن المناسبة غاية البعد * وتتمادى الى الاحتمالات البعيدة
 لان الشفيق بسوء الظن مولع * ولو تفكرت لعلمت ان هذا
 الاحتياط بالخطر الابدي أليق ﴿ فان قلت ﴾ ففي أي جنس
 من الاعمال ينبغي ان تتبع السنة ﴿ فاقول ﴾ في كل ماوردت
 به السنة * والاخبار في ذلك كثيرة * وذلك لقوله صلى الله عليه
 وسلم ﴿ من احتجم يوم السبت والاربعاء فاصابه برص فلا يلومن
 الا نفسه ﴾ وقد احتجم بعض المحدثين يوم السبت وقال هذا

الحديث ضعيف فبرص وعظم ذلك عليه حتى رأى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في المنام فشكى اليه ذلك * فقال لم احتجمت يوم
 السبت * فقال لان الراوي كان ضعيفا * قال اليس كان قد
 نقل عني فقال تبنت يا رسول الله * فدعا له رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالشفاء فاصبح وقد زال ما به * وقال صلى الله عليه
 وسلم من احتجم يوم الثلاثاء لسبعة عشر كان دواء السنة * وقال
 صلى الله عليه وسلم من نام بعد العصر فاخلس عقله فلا يلومن
 الا نفسه * وقال صلى الله عليه وسلم اذا انقطع شمع نعل
 احدكم فلا يمش في نعل واحد حتى يصلح ششمه * وقال صلى
 الله عليه وسلم واذا ولدت امرأة فليكن اول ماتا كل الرطب
 فان لم يكن فتمر فانه لو كان شئ افضل منه لاطعمه الله عز
 وجل مريم حين ولدت عيسى عليه السلام * وقال صلى الله
 عليه وسلم اذا اتى احدكم بالحلواء فليصب منه * واذا اتى احدكم
 بالطيب فليمس منه * وامثال ذلك في العادات كثيرة ولا يخلو
 شئ منها عن سر * (خاتمة في ترتيب الاوراد) وتنطف على
 الامور المشرفة * (اعلم) ان هذه العبادات التي فصلناها * (منها)

ما يمكن الجمع بينها كالصوم والصلوة والقراءة ﴿ومنها﴾ مالا
 يمكن الجمع بينها كالقراءة والذكر والقيام بمحقوق الناس
 والصلوة * فينبغي ان يكون من أهم أمورك توزيع اوقاتك
 على اصناف أخيرات من صباحك الى مساءك * ومن مساءك
 الى صباحك * وتعلم ان مقصود العبادات تأكيد الانس
 بذكر الله عز وجل للانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
 الغرور ولن يسعد في دار الخلود الا من قدم على الله سبحانه
 محباً له * ولا يكون محباً له الا من كان عارفاً به مكثراً لذكره
 ولا يحصل المعرفة والحب الا بالفكر والذكر الدائم * ولن
 يدوم الذكر في القلب الا بالمذكرات وهي العبادات المستغرقة
 للأوقات على التعاقب * ولاختلاف اصنافها زيادة تأثير في
 التذكير ومنع الملل وسقوط اثره عن القلب بالدوام الذي
 ينتهي الى حد الاعتياد * نعم ان كنت والها بالله عز وجل
 مستغرقاً به لم تفتقر الى ترتيب الاوراد بل وردك واحد وهو
 ملازمة الذكر وما اراك تكون كذلك فان ذلك من اعز الأمور
 فان لم تكن والها مستهترا فعليك أن ترتب أورادك * فاحد

الاوراد هو من وقت انتباهك من النوم الى طلوع الشمس
 وينبغي ان يجمع في هذا الوقت الشريف بعد الفراغ من
 الصلوة بين الذكر والدعاء والقراءة والتفكر فان لكل واحد
 أثرا آخر في تنوير القلوب * وتعرف كيفية ذلك وتفصيله
 من كتاب بداية الهداية وكتاب ترتيب الاوراد * وكذلك
 تفعل بين الطلوع والزوال وبين الزوال والغروب وبين الغروب
 والعشاء فانها من أشرف الاوقات لان النشاط انما يتوفر بان
 تميز ورد كل وقت لتكون في كل وقت عبادة اخرى تنتقل من
 بعضها الى بعض * هذا ان كنت من العباد ﴿ فان كنت ﴾ معلما
 او متعلما أو واليا فالاشتغال بذلك اولى في بياض النهار وافضل
 من العبادات البدنية لان أصل الدين العلم الذي به يحصل
 التعظيم لامر الله سبحانه والنفع الذي يصدر عن الشفقة على
 خلق الله تعالى * وكذلك ان كنت معيلا محترفا فالقيام بحق
 العيال بكسب الحلال افضل من العبادات البدنية * ولكن
 في جميع ذلك لا ينبغي ان تخلو وتنفك عن ذكر الله تعالى
 بل تكون كالمستهتر بمشوقه المدفوع الي شغل من الاشغال

لضرورة وقته فهو يعمل بيده وهو غائب عن عمله حاضر
 بقلبه مع معشوقه * حكى عن أبي الحسن الجرجاني انه كان
 يعمل بالمسحاة دائما وكان يقول اعطينا اليد واللسان والقلب
 فاليد للعمل واللسان للخلق والقلب للحق * ولتقتصر على
 هذا القدر في قسم الطاعات الظاهرة ففيه الكفاية ان شاء الله
 ﴿ القسم الثالث في تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة ﴾
 قال الله تعالى قد أفلح من تزكى وقال قد أفلح من زكاه *
 والتزكية هي التطهير * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الطهور شطر الايمان فافهم منه ان كمال الايمان بتزكية القلب (١)
 عما لا يحبه الله عز وجل وتحليته بما يحبه الله * فالتزكية شطر
 الايمان وكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة
 فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي كثيرة ولكن نحتاج ان
 نرد شعبها الى عشرة أصول *

(١) نعم مقال بعض شعراء الفرس فيما له مناسبة بهذا البحث
 دردل همه شرك روي برخاك چه سود * باجسم بليد وجامه پاك چه سود
 زهراست كناه توبه تريباق وي است * چون زهر بجان رسيد تريباق چه سود

﴿ الاصل الاول ﴾

شره الطعام وهو من الامهات لان المعدة ينبوع الشهوات
اذ منها تتشعب شهوة الفرج * ثم اذا غلبت شهوة الماكول
والمنكوح يتشعب منها شره المال اذ لا يتوصل الى قضاء الشهوتين
الا به * ويتشعب من شهوة المال شهوة الجاه اذ يسر كسب
المال دونه * ثم عند حصول المال والجاه وطلبهما يزدحم
الآفات كلها كالكبر والرياء والحسد والحقد والعداوة وغيرها
ومنبع جميع ذلك البطن — فلهذا عظم رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر الجوع * فقال عليه السلام ﴿ ما من عمل احب
الى الله تعالى من الجوع والعطش ﴾ وقال لا يدخل ملكوت
السماء من ملاً بطنه * ﴿ وقال عليه السلام ﴾ سيد الأعمال الجوع
﴿ وقال عليه السلام ﴾ الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي
العبادة ﴿ وقال عليه السلام ﴾ افضلكم عند الله تعالى اطولكم
جوعاً وتفكيراً وأبفضلكم الى الله تعالى كل اكل شراب تؤم
﴿ وقال عليه السلام ﴾ ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه
حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث

لطعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه * وقال عليه السلام ان
الشیطان لیجری من ابن آدم مجری الدم فضیقوا مجاری
الشیطان بالجوع والعطش * وقال علیه السلام لعائشة رضي
الله عنها اذیموا قرع باب الجنة یفتح لكم * قالت کیف ندیم
قال علیه السلام بالجوع والظماء * وقال علیه السلام كلوا واشربوا
فی انصاف البطون فانه جزء من النبوة *

﴿ فصل ﴾

اعلمك تشتهي ان تعلم السر فی تعظیم الجوع ومناسبته لطریق
الآخرة ﴿ فاعلم ﴾ ان له فوائد كثيرة ولكن يرجع اصولها
الى سبع ﴿ احداها ﴾ صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع
یورث البلادة ویعمى القلب * قال صلی الله علیه وسلم من اجاع
بطنه عظمت فكرته وفتن قلبه ولا یخفی ان مفتاح السعادة
المعرفة ولا تنال الا بصفاء القلب فلذلك كان الجوع قرع باب
الجنة ﴿ الثانية ﴾ رقة القلب حتى یدرك به لذة المناجاة ویتأثر
بالذکر والعبادة * وقال الجنید یجعل احدکم بینه وبين قلبه مخلاة من
الطعام * ویرید ان یجد حلاوة المناجات * ولا یتمتی عليك ان

أحوال القلب من الخشية والخوف والرقّة والمناجات
والانكسار بالهيبة من مفاتيح ابواب الجنة وان كان باب
المعرفة فوقه والجوع قرع لهذا الباب ﴿الثالثة﴾ ذلّ النفس
وزوال البطر والظغيان منها فلا تكسر النفس بشيء كالجوع
والظغيان داع الى الغفلة عن الله تعالى وهو باب الجحيم والشقاوة
﴿والجوع﴾ اغلاق لهذا الباب * وفي اغلاق باب الشقاوة فتح
باب السعادة — ولذلك لما عرضت الدنيا عليه صلى الله عليه
وسلم * قال لا بل أجوع يوما واشبع يوما فاذا جمعت
صبرت وتضرعت * واذا شبعتم شكرت ﴿الرابعة﴾ ان
البلاء من ابواب الجنة لان فيه مشاهدة طعم العذاب وبه
يعظم الخوف من عذاب الآخرة * ولا يقدر الانسان على
ان يعذب نفسه بشيء كالجوع فانه لا يحتاج فيه الى تكلف *
وترتبط بها فوائد اخرى فيكون مشاهدا بلاء الله تعالى على
الدوام ﴿الخامسة﴾ وهي من كبار الفوائد كسر شهوات
المعاصي والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء وكسر سائر
الشهوات التي هي منابع المعاصي * قال علي رضي الله عنه

﴿ ماشبعت قط الاعصيت او هممت بالمعصية ﴾ وقالت عايشة
 رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الشيع ان القوم اذا شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم
 الى الدنيا ﴿ السادسة ﴾ خفة البدن للتهجد والعبادة وزوال النوم
 المانع من العبادة * فان رأس مال السعادة العمر * والنوم ينقص
 العمر اذ يمنع من العبادة * واصله كثرة الاكل * قال ابو سليمان
 الداراني من شيع دخل عليه ست آفات ﴿ فقد ﴾ حلاوة العبادة
 ﴿ وتعذر ﴾ حفظ الحكمة ﴿ وحرمان ﴾ الشفقة على الخلق لانه
 اذا شيع ظن ان الخلق كلهم شباعا ﴿ وثقل ﴾ العبادة ﴿ وزيادة ﴾
 الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد وهو
 يدور حول المزابل ﴿ السابعة ﴾ خفة المؤنة وامكان القناعة بقليل
 من الدنيا وامكان ايثار الفقر فان من تخلص من شره بطنه
 لم يفتقر الى مال كثير فيسقط عنه اكثر هموم الدنيا
 فهما اراد ان يستقرض لقضاء شهوة البطن استقرض من
 نفسه وترك شهوته * كان اذا قيل لابراهيم ابن ادم رحمة الله
 عليه في شيء انه غال * قال ارخصوه بالترك *

— فصل —

لملك تقول قد صار الشبع والاكثر في الاكل عادة فكيف
 تركها ﴿ فاعلم ﴾ ان ذلك يسهل على من اراده بالتدريج وهو
 ان ينقص كل يوم من طعامه لقمة حتى ينقص رغيفا في
 مقدار شهر فلا يظهر اثره ويصير التقليل عادته * ثم اذا
 اذنت بالتقليل فلك النظر في الوقت والقدر والجنس * اما
 القدر فله ثلاث درجات ﴿ اعلاها ﴾ وهي درجة الصديقين
 الاقتصار على قدر القوام وهو الذي يخاف النقصان منه على
 العقل أو الحيوية * وهو اختيار سهل التستري * وكان يرى
 ان الصلوة قاعدا لضعفه بالجوع افضل من الصلوة قائما مع
 قوة الاكل ﴿ الثانية ﴾ ان تقنع بنصف مد كل يوم وهو ثلث
 البطن وعلى ذلك كان عادة عمر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة
 اذ كان قوتهم في الاسبوع صاعا من شمير ﴿ الثالثة ﴾ المد الواحد
 وما جاوز ذلك فهو مشاركة مع اهل العادة وميل عن طريق
 السالكين المسافرين الى الله تعالى * وقد يؤثر في المقادير اختلاف
 الاحوال والاشخاص * وعند ذلك فالاصل فيه ان يمد اليه

اذا صدق جوعه ويكف وهو بعد صادق الاشتهاء * وعلامة
 صدق الجوع ان تشتهي اي خبز كان من غير آدم فاذا استثقل
 الاكل بنير آدم فهو علامة الشبع ﴿ واما الوقت ﴾ ففيه أيضا
 ثلاث درجات ﴿ اعلاها ﴾ ان ينطوي ثلاثة ايام فما فوقها * فقد
 كان الصديق رضى الله عنه يطوي ستة ايام * وابراهيم بن ادهم
 والثوري سبعا * وبعضهم انتهى الى اربعين يوما * وقيل من
 طوي اربعين يوما ظهرت له لاحالة اشياء من عجائب الملكوت
 ولا يمكن ذلك الا بالتدريج ﴿ واما الاوسط ﴾ بأن يطوي
 يومين ﴿ والادنى ﴾ بأن يأكل في اليوم مرة واحدة فمن أكل
 مرتين لم تكن له حالة جوع اصلا فيكون قد ترك فضيلة الجوع
 ﴿ واما الجنس ﴾ فأعلاه خبز البرمع الا دام * وأدناه خبز الشعير
 بلا دام * والمداومة على الادام مكروه جدا * قال عمر رضى الله
 عنه لولده * كل مرة خبزا ولحما ومرة خبزا وسمنًا ومرة خبزا
 ولبنا ومرة خبزا وولحًا ومرة خبزا قفارا * فهذا تنبيه على
 الاحسن في اهل العادة ﴿ واما السالكون الطريق ﴾ فقد بالغوا
 في ترك الادام بل في ترك الشهوات جملة حتى كان بعضهم

يشتهي الشهوة عشر سنين وعشرين سنة وهو يخالف نفسه
 ويمنعها شهواتها * وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم شرار امتي
 الذين غدوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم * وانما همتهم الوان
 الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام * وقد شرحنا
 طريق السلف في ترك الشهوات في كتاب كسر الشهوتين

﴿ الاصل الثاني شره الكلام ﴾

وذلك لا بد من قطعه فان الجوارح كلها تؤثر اعمالها في القلب
 ولكن اللسان اخص به لانه يؤدي عن القلب ما فيه من
 الصور فيقتضي كل كلمة صورة في القلب محاكية لها فلذلك
 اذا كان كاذبا حصل في القلب صورة كاذبة واعوج به وجه
 القلب واذا كان في شيء من الفضول مستغنى عنه اسود به وجه
 القلب واظلم حتى تنتهي كثرة الكلام الى اماتت القلب *
 ولذلك عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر اللسان
 فقال ﴿ من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة ﴾
 وسئل عن اكثر ما يدخل النار * فقال عليه السلام الاجوفان
 الفم والفرج * وقال عليه السلام وهل يكب الناس على مناخرهم

الا حصايد السنهم * وقال من صمت نجا * وقال له معاذ اي
 الاعمال افضل فاخرج لسانه ووضع عليه يده * وقال ان
 اكثر خطايا ابن آدم في لسانه * وقال عليه السلام من كان يؤمن
 بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت * وقال عليه السلام
 من كثر كلامه كثر سقطه * ومن كثر سقطه كثر
 ذنوبه * ومن كثر ذنوبه فالنار اولى به — ولهذا كان
 الصديق رضى الله عنه يضع حجرا في فيه ليمنع نفسه من الكلام

﴿ فصل ﴾

اعلم ان للسان عشرين آفة شرحناها في كتاب آفات اللسان
 ويطول ذكرها * ويكفيك العمل بآية واحدة قال الله تعالى
 ﴿ لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف ﴾
 الآية ومعناه ان لا تتكلم فيما لا يعينك وتقتصر على المهم فقيه
 النجاة * قال انس رضى الله عنه استشهد غلام منا يوم احد
 فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فسحت امه
 التراب عن وجهه * وقالت هنيئا لك الجنة يا بني * فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه

ويمنع مالا يضره * وحدّ مالا يني هو الذي لو ترك لم يفت
 به ثواب ولم تنتجز به ضرورة * ومن اقتصر من الكلام على
 هذا قل كلامه * فليحاسب العبد نفسه عند ذكره مالا يعنيه
 انه لو ذكر الله تعالى بدلا عن تلك الكلمة لكان ذلك كنزا
 من كنوز السعادة فكيف يسمح العقل بترك كنز مكنوز واخذ
 مدرة هذا لو لم يكن فيه اثم * فان كان اثم فقد استبدل بترك
 كل كنز واخذ شعلة من النار * ومن جملة مالا يعنى حكاية
 الاسفار واحوال اطعمة البلاد وعاداتهم واحوال الناس
 واحوال الصناعات والتجارات وهو من جملة ما ترى الناس
 يخوضون فيه *

﴿ فضل ﴾

لعلك تريد ان تعرف تفصيل بعض هذه الآفات ﴿ فاعلم ﴾
 ان الغالب على الالسنه من جملة العشرين آفة خمسة ﴿ الكذب
 والغبية والمهارات والمدح والمزاح ﴾ ﴿ الاولى ﴾ الكذب وقد
 قال صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى
 الكذب حتى يكتب عند الله كذابا * وقال صلى الله عليه وسلم

ويل للذي يحدّث فيكذب ليضحك منه الناس ويل له
 ويل له ﴿وقيل﴾ يا رسول الله ائزني المؤمن ايسرق المؤمن *
 قال عليه السلام قد يكون ذلك فقيل له ايكذب * فقال لا
 انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله * وقال
 عليه السلام ألا أنبئكم باكبر الكبار ألا شرك بالله
 وعقوق الوالدين وكان متكئا فقمعد * وقال عليه السلام الا
 وقول الزور * وقال عليه السلام كل خصلة يطبع الله عليها
 المؤمن الا الخيانة والكذب *

﴿فصل﴾

اعلم ان الكذب حرام في كل شيء الا لضرورة حتى قالت
 امرأة لولدها الصغير تعالى حتى اعطيك * فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم وماذا كنت تعطينه لو جاء قالت تمرة * قال
 اما لو لم تفعلني كتبت عليك كذبة * فليحذر الانسان الكذب
 حتى في التخيل وحديث النفس * فان ذلك يثبت في النفس
 صورة معوجة حتى تكذب الرؤيا فلا تنكشف في النوم اسرار
 الملكوت والتجربة تشهد بذلك * نعم انما يرخص في الكذب

اذا كان الصدق يفضى الى محذور آخر اشد من الكذب
 فيباح كما تباح الميتة اذا ادى تركها الى محذور اشد من اكلها
 وهو فوات الروح * قالت ام كلثوم رضي الله عنها ما رخص
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في شئ من الكذب الا في
 ثلاث * الرجل يقول القول يريد الاصلاح * والرجل يقول
 القول في الحرب * والرجل يحدث امرءه * وهذا لان
 اسرار الحرب لو وقف عليها العدو اجترأ * واسرار الزوج
 لو وقفت عليها المرءة نشأ منها فساد أعظم من فساد الكذب
 وكذلك المتخاصمان تدوم بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن
 الاصلاح بكذب فذلك اولى * فهذا ماورد فيه الخبر وما في معناه
 كذب الانسان ليستر مال غيره عن ظالم أو انكاره لسر غيره
 بل انكاره لمعصية نفسه عن غيره فان المجاهرة بالفسق واظهاره
 حرام وانكاره جنابة نفسه على غيره لتطيب قلبه وكذلك انكاره
 مع زوجته ان تكون ضررتها أحب اليه وكل ذلك يرجع الى
 دفع المضرات * ولا يباح جلب زيادة مال وجاه وفيه يكون
 كذب اكثر الناس * ثم اذا اضطر الى الكذب فليعدل

الى المعاريض ما امكن حتى لا يعتاد نفسه الكذب * كان
ابراهيم بن ادهم اذا طلب في الدار قال لخادمته قولي له اطلبه
في المسجد * وكان الشعبي يخط دائرة * ويقول لخادمته ضمي
الاصبع فيها * وقولي ليس ههنا * وكان بعضهم يعتذر عند
الامير ويقول منذ فارقتك ما رفعت جنبي من الارض
الا ما شاء الله تعالى * وكان بعضهم ينكر ما قال فيقول
ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيوم النفي بحرف
﴿ ما ﴾ وهو يريد غير ذلك * وتباح المعاريض لغرض خفيف
لقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز ونحملك على
ولد البعير وفي عيني زوجك يياض لان هذه الكلمات
اوهمت خلاف ما اراد * فيباح مثل ذلك مع النساء والصبيان
لتطيب قلوبهم بالمزاح - وكذلك من يمتنع عن أكل
الطعام فلا ينبغي ان يكذب ويقول لا اشتهى اذا كان
يشتهى بل يمدل الى المعاريض * قال النبي عليه السلام
لامرأة قالت ذلك لا تجمعي كذبا وجوعا *

﴿ آلافة الثانية الغيبة ﴾

قال الله تعالى ﴿ أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ وقال عليه السلام الغيبة أشد من الزنا وواوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تابئا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة * ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار * وقال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمسون وجوههم باظفارهم * فليل لي هؤلاء الذين كانوا يفتابون الناس ﴿ واعلم ﴾ ان حد الغيبة كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه وان كنت صادقا سواء ذكرت نقصانا في نفسه أو عقله أو ثوبه أو فعله أو قوله أو داره أو نسبه أو دابته أو شيئا مما يتعلق به حتى قولك انه واسع الكرم أو طويل الذيل * حتى ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فليل ما اعجزه فقال عليه السلام اغتبتموه وأشارت عائشة رضى الله عنها بيدها الى امرأة انها قصيرة * فقال عليه السلام اغتبتها * فهذا يعلم ان الغيبة لا تقتصر على اللسان بل لا فرق بين أن يحصل التفهيم

باليد او بالرمز او بالاشارة او بالحركة او بالمحاكاة او التعريض
 المفهم كقولك ان بعض اقربائنا وبعض اصدقائنا كذا كذا
 ﴿واعلم﴾ ان اخبت انواع الغيبة غيبة القراء * يقولون مثلاً الحمد
 لله الذي لم يبتلينا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا او نعوذ بالله
 من قلة الحياء وهم يفهمون المقصود بذلك * يقولون ما أحسن
 احوال فلان لو لا انه يلي بمثل ما ابتلي به امثالنا وهو قلة الصبر
 عن الدنيا فنسئل الله تعالى ان يمافينا * وغرضهم بذلك الغيبة
 فيجمعون بين الغيبة والرياء واظهار التشبه باهل الصلاح في
 الحذر من الغيبة * وهذه خبايا يقترون بها وهم يظنون انهم
 تركوا الغيبة — وكذلك قد يعتاب واحد فيقول عنه
 الحاضرون فيقول سبحانه الله ما اعجب هذا حتى يتقبه القوم
 الى الاصغاء فيستعمل ذكر الله في تحقيق خبثه * ويقول قلبي
 مشغول بفلان تاب الله علينا وعليه وليس غرضه الدعاء
 بل التعريف ولو قصد الدعاء لأخفاه ولو اغتم قلبه لاجله
 لكم عيبه ومعصيته — وكذلك المستمع قد يظهر تعجباً من
 كلام المقتاب حتى يزيد نشاطه في الغيبة * والمستمع احد المقتابين

(١٣١)

كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف اذا حرك
 نشاطه بالتمجب * وكذلك قد يقول دع غيبة فلان وهو بقلبه
 غير كاره لغيبته انما غرضه ان يعرف بالتورع - وذلك لا يخرج
 عن اثم الغيبة ما لم يكرها بقلبه ويورثه في اثم الرياء بل
 يخرج من الاثم بان يكرهه قلبه ويكذب المنتاب ولا يصدقه
 عليه لانه فاسق يستحق التكذيب والمسلم المذكور بالغيبة
 يستحق احسان الظن به * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وماله وان يظن به ظن
 السوء * فالغيبة بالقلب حرام كما انه باللسان حرام الا ان
 يضطر الى معرفته بحيث لا يمكنه التجاهر *

— فصل —

انما يرخص في الغيبة في ستة مواضع ﴿ الاول ﴾ منها المتظلم
 يذكر ظلم الظالم عند سلطان ليدفع ظلمه فاما عند غير سلطان
 وعند غير من لا يقدر على الدفع فلا ﴿ اغتیب الحجاج ﴾ عند
 بعض السلف * فقال ان الله لينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم
 من الحجاج لمن ظلمه ﴿ الثاني ﴾ الذي يستعان به على تغيير

المنكر يجوز ان يذكر له أيضاً ﴿الثالث﴾ المستفتى اذا افتقر الى ذكر السؤال كما قالت هند ان ابي سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني - وهذا كله شكاية ولكن انما يحل اذا كانت فيها فائدة ﴿الرابع﴾ تحذير المسلم من شر الغير اذا علم انه لو لم يذكره لقبلت شهادته كما يذكر المزي اذ يعامل وينالك فيتضرر به فيذكر لمن يتوقع ضرره به فقط ﴿الخامس﴾ ان يكون معروفا باسم فيه عيبه كالأعمش والاعرج فالمدول الى اسم آخر اولى ﴿السادس﴾ ان يكون مجاهرا بذلك العيب لا يكرهه ان يذكر كالخنث وصاحب الماخور^(١) قال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهواء والفاسق المعلن بالفسق والامام الجائر * وهؤلاء يجمعهم انهم مجاهرون لا يكرهون الذكر * والصحيح ان ذكر الفاسق بمصيبة يخفيها ويكره ذكرها لا يجوز من غير عذر *

فصل

علاج النفس في كفها عن الغيبة ان يتفكر في الوعيد الوارد

(١) الماخور الموضع الذي يباع فيه الخمر

فيها في قوله صلى الله عليه وسلم ان النية أسرع في حسنات
 العبد من النار في اليبس * وورد ان حسنات المغتاب تنقل
 الى ديوان المظلوم بالنية فينظر في قلة حسناته وكثرة غيبته
 وانه ينتهي الى افلاسه على القرب ثم يتفكر في عيوب نفسه
 فان كان فيه عيب فيشتغل بنفسه عن غيره وان كان قد
 ارتكب صغيرة فيعلم ان ضرره من صغيرة نفسه اكثر من ضرره
 من كبيرة غيره وان لم يكن فيه عيب فيعلم ان جهله بعيوب
 نفسه اعظم عيب * ومتى يخلو الانسان من عيب ثم ان خلا
 عنه فليشكر الله تعالى بدلا من النية فان ثلب الناس واكل
 لحم الميتة من أعظم العيوب فليحذر منه * ثم مها سبق لسانه
 الى النية فينبغي ان يستغفر الله تعالى ويذهب الى المغتاب
 ويقول ظلمتك فاعف عني فيستحله فان لم يصادفه فليكثر من
 الثناء عليه ومن الدعاء له ومن الحسنات حتى اذا نقل بعضها
 الى ديوان المظلوم بقي له ما يكفيه فهي كفارة النية
 ﴿ الآفة الثالثة المراء والمجادلة ﴾
 قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له

بيت في أعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى له بيت في
 رايض الجنة وهذا لان الترك على المحق اشد * وقال عليه السلام
 لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يدع المرء وهو محق *
 ﴿وحد المرء﴾ هو الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما
 في اللفظ واما في المعنى * والباعث عليه تارة الترفع باظهار
 الفضل * وسببه خبت الرعونة * واما السبعية التي في الطبع
 المتشوفة الى تنقيص الغير وقهره * فالمرء والمجادلة تقوية
 لهدين الخبيثين المهلكين بل الواجب ان يصدق ما سمعه من
 الحق ويسكت عما سمعه من الخطاء الا اذا كان في ذكره فائدة
 دينية وكان يسمع منه فيذكره برفق لا بعنف *

﴿ الآفة الرابعة المزاح ﴾

والافراط فيه يكثر الضحك ويميت القلب ويورث الضغينة
 ويسقط المهابة والوقار * قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل
 ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلسائه فيهوى بها أبعد من الثريا
 وقال عليه السلام لا تمار أخاك ولا تمازحه ﴿ واعلم ﴾ ان اليسير
 منه في بعض الاوقات لا بأس به لا سيما مع النساء والصبيان

تطيباً لقلوبهم نقل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه
قال اني لا مزح ولا أقول الا حقا * ويعسر على غيره ضبط ذلك
وقد روى انه سابق عائشة رضي الله عنها بالعدو * وقال عليه
السلام لمعجوز لا يدخل الجنة عجوز أي لا يبقى عجوزا في
الجنة ^(١) * وقال لصبي يا أبا عمير ما فعل النعير * والنعير ولد
المصفور كان يلعب به الصبي * وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب
وهو يأكل التمر أتاأكل التمر وأنت رمد * وقال انما آكل
بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم * فهذا
وأمثاله من المفاكحة لا بأس بها بشرط ان لا يتخذها عادة *

﴿ الآفة الخامسة المدح ﴾

كاجرت به عادة الناس عند المحتمسين ^(٢) من ابناء الدنيا وكاجرت
به عادة القصاص والمذكرين * فانهم يمدحون من يحضر مجالسهم
من الاغنياء * وفي المدح ست آفات ﴿ أربع ﴾ على المادح
﴿ واثنان ﴾ على الممدوح * اما المادح ﴿ الآفة الاولى فيه ﴾

(١) وفي النسخة العراقية لا يدخل الجنة عجوز أي لا يبقى في
الجنة عجوزا (٢) أي الاكابر والسلاطين

انه قد يفرط فيه فيذ كره بما ليس فيه فيكون كذابا ﴿الثانية﴾
 انه قد يظهر له من الحب مالا يعتقده فيكون مناققا مرثيا
 ﴿الثالثة﴾ انه يقول مالا يتحققه فيكون مجازفا كقوله انه عدل وانه
 ورع وغير ذلك مما لا يتحقق فيه * مدح رجل بين يدي رسول
 الله صلى الله عليه وسلم رجلا * فقال عليه السلام ويحك قطعت عنق
 صاحبك ان كان لا بد من كون احدكم مادحا أخاه فليقل احسب
 فلا تاولا ازكى على الله احدا حسبه الله ان كان يرى انه كذلك
 ﴿الرابعة﴾ ان يفرح الممدوح به وربما كان ظالما فيعصي
 باذخال السرور على قلبه * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
 ليغضب اذا مدح الفاسق * وقال الحسن من دعا الفاسق بالبقاء
 فقد أحب ان يعصى الله * فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم لتفتر
 رغبته في الظلم والفسق ﴿وأما الممدوح﴾ فاحدى الآتين فيه
 ان يحدث فيه كبرا أو عجابا وهما مهلكان - ولذلك قال قطعت
 عنق صاحبك ﴿الثانية﴾ أن يفرح به فيفتر عن العمل ويرضى
 عن نفسه * قال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل
 بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثنى عليه في وجهه * واما

إذا سلم المدح من هذه الآفات في المادح والمدوح فلا بأس به
 وربما يندب إليه * قال صلى الله عليه وسلم لو وزن إيمان
 أبي بكر بإيمان العالمين لرجح * وقال صلى الله عليه وسلم لو لم
 أبعث لبُعِثتَ يا عمر * وقد اتنى علي كثير من الصحابة إذ
 علم أن ذلك يزيد في نشاطهم ولا يورثهم عجباً *

فصل

حق على المددوح أن يتأمل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات
 الاعمال * ويتذكر ما يعرفه من نفسه من القبائح الباطنة لا سيما
 في أفكاره وحديث نفسه ما لو عرفه المادح لكف عن المدح *
 وينبغي أن يظهر كراهة المدح ويكرهه بالقلب * وإليه الإشارة بقوله
 صلى الله عليه وسلم احتو التراب في وجوه المداحين * وقال بمضمون
 لما اتنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الي بمقتك وانا أشهدك على
 مقته * فقال علي رضي الله عنه لما اتنى عليه ﴿ اللهم اغفر لي ما لا
 يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون ﴾

﴿ الاصل الثالث في الغضب ﴾

اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي

تطلع على الافئدة * ومن غلب عليه فقد نزع الى عرق
الشیطان فانه مخلوق من النار * وكسر شدة الغضب من
المهمات في الدين * قال صلى الله عليه وسلم ﴿ ليس الشديد
بالسرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ﴾ وقال
عليه السلام ﴿ الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل ﴾ وقال
عليه السلام ما غضب أحد قط الا اشقى على جهنم * وقال رجل
يا رسول الله اى شيء أشد قال غضب الله قال فما يتقذني
من غضب الله * قال ان لا تغضب * وقال رجل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم مرني بعمل وأقل فقال عليه الصلوة
والسلام لا تغضب فاعاد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرارا وهو يقول لا تغضب * فكيف لا تعظم آفة الغضب
وهو يحمل في الظاهر على الضرب والشتم واطالة اللسان وفي
الباطن على الحقد والحسد واطهار السوء والشماتة والعزم
على افساء السر وهتك السر والفرح بمصيبة المغضوب عليه
والتم بمسرتة * وكل واحد من هذه الخباياث مهلك *

— فصل —

عليك في صفة الغضب وظيفتان ﴿ احدهما ﴾ كسره بالرياضة
ولست أعني بكسره اماطته فانه لا يزول اصله ولا ينبغي ان
يزول بل ان زال وجب تحصيله لانه آلة القتال مع الكفار
والمنع من المنكرات وكثير من الخيرات وهو ككلب الصايد
انما رياضته في تأديبه حتى يتقاد للعقل والشرع فيهبج باشارة
العقل والشرع ويسكن باشارتهما ولا يخالفهما كما يتقاد الكلب
للصايد — وهذا ممكن بالمجاهدة وهو اعتياد الحلم والاحتمال
مع التعرض للمغضبات ﴿ الثانية ﴾ ضبط الغضب عند الهيجان
بالكظم * ويعين عليه علم وعمل ﴿ أما العلم ﴾ فهو ان يعلم انه لا
سبب لغضبه الا انه انكر ان يجري الشيء على مراد الله
لا على مراده * وهذا غاية الجهل * والآخر ان يعلم ان غضب الله
عليه أعظم من غضبه عليه وان فضل الله أكبر * وكعصاه وخالف
امره فلم يغضب عليه ان خالفه غيره فليس أمره عليه ألزم على
عبده واهله ورقته من امر الله عليه ﴿ واما العمل ﴾ فهو ان
يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اذ يعلم ان ذلك من الشيطان

فان لم يسكن جلس ان كان قائماً ويضطجع ان كان قاعداً
 كذلك ورد الخبر باختلاف الحال انه يؤثر في التسكين * وان
 لم يسكن فيتوضأ * قال عليه الصلوة والسلام * ان الشيطان خلق
 من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ
 وقال عليه السلام ألا ان الغضب جرة في قلب ابن آدم الا
 ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك
 شيئاً فليضرب خده بالارض * وهذه اشارة الى تمكين اعز
 الاعضاء من اذل المواضع لينكسر الكبر فانه السبب الاعظم
 في الغضب ليعلم انه عبد ذليل فلا يليق به الكبر * قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بالحلم درجة
 القائم الصائم وانه ليكتب جباراً وما يملك الا اهل بيته * وقال
 صلى الله عليه وسلم * من كظم غيظاً ولو شاء ان يمضيه امضاه
 ملاً الله تعالى قلبه يوم القيامة ائماً وائماناً * وقال عليه السلام
 ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما
 كظمها عبد الا ملاً الله جوفه ائماناً *

﴿ الاصل الرابع في الحسد ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ وقال عليه السلام ثلاث لا ينجو منهن احد ﴿ الظن والطيرة والحسد ﴾ وسأحدثكم بالمرحج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ * وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم قبلكم ﴿ الحسد والبغضاء ﴾ والبغضة هي الحالقة * وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي ﴿ واعلم ﴾ ان الحسد حرام وهو ان تحب زوال النعمة من غيرك او تحب نزول مصيبة به * ولا تحرم المنافسة وهي ان تغبطه وتشتهي لنفسك مثله ولا تحب زوالها منه * ويجوز ان تحب زوال النعمة ممن يستعين بها على الظلم والمعصية لانك لا تريد زوال النعمة وانما تريد زوال الظلم * وعلامته انه لو ترك الظلم والمعصية لم تحب زوال نعمته * وسبب الحسد اما الكبير واما العداوة واما خبث النفس اذ يخل بنعمة الله على عباده من غير غرض فيه له *

❖ فصل ❖

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلب * ومرض القلب لا يداوى الا بمعجون العلم والعمل ﴿فاما العلاج العلمي﴾ فهو ان يعلم ان حسده يضره ولا يضر محسوده بل ينفعه * اما انه يضره فهو انه يبطل حسناته ويعرضه لسخط الله تعالى اذ يسخط قضاء الله ويشع بنعمته التي وسعها من خزائنه على عباده وهذا ضرر في دينه ﴿واما ضرره في دنياه﴾ فهو انه لا يزال في غم دائم وكمد لازم وذلك مراد عدوه منه فان اهم اغراض عدوه واكمل النعمة عليه جزن حاسده * فقد كان يريد المحنة لعدوه فحصلت له * والحسود لا يخلو قط من الغم والمحنة اذ لا يزال اعداؤه او واحد منهم في نعمة ﴿واما انه﴾ ينفع عدوه ولا يضره لان النعمة لا تزول بحسده وانه يضاعف حسناته اذ تنقل حسنات الحاسد * اليه لاسيما اذا طول اللسان فيه فانه مظلوم من الحاسد فقد طلب الحاسد زوال نعمة الدنيا منه فاضاف اليه نعمة الآخرة وحصل لنفسه مع عذاب الدنيا عذاب الآخرة فهو كمن رمى عدوه

(١٤٣)

بحجر فلم يصب عدوه وعاد الى عينه فاعماها * وزادت عليه
 شامة عدوه ابليس فانه فاتته النعمة وفاته الرضاء بالقضاء * ولو
 رضي به لكان فيه ثواب لاسيما اذا حسد على العلم والورع فان
 محب العالم يعظم ثوابه ﴿ واما العلاج العملي ﴾ فهو ان يعرف
 حكم الحسد وما يتقاضاه من قول وفعل فيخالقه ويعمل
 بنقيضه فيثني على المحسود ويظهر الفرح بنعمته ويتواضع له
 وبذلك يمود المحسود صديقا له ويزائله الحسد ويتخلص
 عن ائمه والله قال الله تعالى ﴿ ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
 بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ﴾

— فصل —

لعل نفسك لا تطاوعك على التسوية بين عدوك وصديقك
 بل تكره مساواة الصديق دون العدو وتحب نعمة الصديق
 دون العدو ولست مكفيا بما لا تطيق فان لم تقدر على ذلك
 فتخلص من الائم بامرين ﴿ احدهما ﴾ ان لا تظهر الحسد
 بلسانك وجوارحك واعمالك الاختيارية بل تخالف موجهها
 ﴿ والثاني ﴾ ان تكره من نفسك حبها زوال نعمة الله تعالى

عن عبد من عباده فاذا اقترنت الكراهة عن باعث الدين
 بحب زوال النعمة التي اقتضاه الطبع اندفع عنك الائم وليس
 عليك تغيير الطبع فان ذلك لا تقدر عليه في اكثر الاحوال
 وعلامة الكراهية ان تكون بحيث لو قدرت على ازالة نعمته
 لم تقدم على الازالة مع حبك لها ولو قدرت على معونته في
 دوام نعمته او في زيادتها فعلت مع كراهيتك لذلك * فاذا
 كنت كذلك فلا اثم عليك فيما يتقاضاه طبعك فان الطبع
 انما يصير مقهورا في حق المستهتر بالله الذي انقطع نظره عن
 الدنيا وعن الخلق * بل علم ان النعم عليه ان كان في النار فما
 تنفع هذه النعمة وان كان في الجنة فاي نسبة لهذه النعمة الى
 الجنة بل يرى كل الخلق عباد الله تعالى فيحبهم لانهم عباد
 محبوبه ويجب ان يظهر اثر نعمة محبوبه على عباده * وهذه حالة
 نادرة لا تدخل تحت التكليف *

﴿ الاصل الخامس في البخل وحب المال ﴾

واعلم ان البخل من المهلكات العظيمة قال الله تعالى ﴿ ومن
 يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وقال الله تعالى ولا تحسبن

الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله ﴿ الآية وقال الله تعالى
 ﴿الذين يدخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ الآية وقال صلى الله عليه
 وسلم اياكم والبخل فانه اهلك من كان قبلكم * وقال صلى الله
 عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة الا
 سخى * والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار الا ببخل
 وقال عليه السلام ثلاث مهلكات ﴿ شح مطاع وهوى متبع
 وأعجاب المرء بنفسه ﴾ وقال عليه السلام ﴿ شر ما في الرجل
 شح هالع وجبن خالع ^(١) ﴾ وقال عليه السلام ان الله يمتق البخيل
 في حياته ويحب السخي عند موته * وقال عليه السلام السخي
 الفاجر احب الى الله من العابد البخيل ^(٢) * وقال عليه السلام
 لا يجتمع اثنان في مؤمن البخل وسوء الخلق *

— فصل —

اعلم ان اصل البخل حب المال وهو مذموم ومن لامال له لا
 يظهر بخله بالامسك ولكن يظهر بحب المال * ورب رجل

(١) هلع هلعاً من باب تعب أي جزع وقوله خالع الخلع نزع الشيء
 واخرجه (٢) وفي النسخة الدمشقية والعراقية السخي الجهول

سخي ولكنه يجب المال فيسخي به ايذكر بالسخاء * وذلك
ايضا مذموم لان حب المال يلهي عن ذكر الله عز وجل
ويصرف وجه القلب الى الدنيا ويحکم علاقته فيها حتى يتقل
عليه الموت الذي فيه لقاء الله تعالى قال الله عز وجل ﴿ يا ايها
الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ﴾
وقال الله تعالى انما أموالكم واولادكم فتنه * وقال تعالى
الهيكم التكاثر * وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة
فتحبوا الدنيا * وقيل للنبي عليه الصلوة والسلام اي امتك
أشر فقال عليه السلام الاغنياء * وقال عليه السلام من
أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حنقه وهو لا يشعر وقال
رجل يارسول الله اني لا احب الموت قال عليه السلام هل
لك مال قال نعم * قال عليه السلام قدم مالك فان قلب
الرجل مع ماله ان قدمه أحب ان يلحقه وان اخره أحب ان
يتخلف * وقال عليه الصلوة والسلام اذا مات العبد قالت
الملائكة ما قدم * وقال الناس ما خلف * وقال عليه الصلوة والسلام

(١٤٧)

تعمس^(١) عبد الدرهم تعمس عبد الدينار تعمس وانكس وإذا
شيك فلا انتقش^(٢) *

فصل

اعلم ان المال ليس مذموما من كل وجه * وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح * وقال
عليه الصلوة والسلام ﴿ الدنيا مزرعة الآخرة ﴾ وكيف يكون
مذموما مطلقا والعبد مسافر الى الله تعالى والدنيا منزل من
منازل سفره وبدنه مركبه ولا يمكنه السفر الى الله الاب ولا يبقى
البدن الا بمطعم وملبس ولا وصول اليها الا بالمال لكن من
فهم فائدة المال وعلم انه آلة علف الدابة لسلك الطريق لم
يُمرَج عليه ولم يأخذ منه الا قدر الزاد فان اقتصر على ذلك سعد به

(١) تعمس بفتح العين أى سقط على وجهه وفي الدعاء تعمس له
وتعمس وانكس فالتعمس أن يخذل وجهه والنكس أن لا يستقل بعد سقطته
(٢) أي اذا وصل شوكة في عضوه فلا انتقش على بناء المبني للمفعول
دعاء عليه بعدم اخراجه بالنتقش يعنى اذا وقع في البلاء فلا يترحم عليه
وانما خص انتقش الشوك بالذكر لان الانتقاش أسهل ما يتصور في
المعاونة لمن أصابه مكرهه واذا نفى ذلك الاهون فما فوقه بالطريق الاولى

كما قال النبي عليه السلام لما أشه رضي الله عنها ﴿ إذا أردت اللحاق بي
 فاقني من الدنيا بزاد الراكب ولا تجددني ولا تخلمي قيصا حتى
 ترقبه ﴾ وقال عليه الصلوة والسلام اللهم اجعل قوة آل محمد
 كفاءة وان زاد على قدر الكفاية هلك كما قال عليه الصلوة
 والسلام من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنقه وهلك
 وهو لا يشعر * وكذلك المسافر إذا أخذ ما يزيد على زاد
 الطريق مات تحت ثقله ولم يبلغ مقصد سفره * فالزيادة على
 قدر الكفاية مهلكة من ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ أن يدعو إلى
 المعاصي فإنه يمكن منها ومن العصمة أن لا تقدر * وقتنة السراء
 اعظم من فتنة الضراء والصبر مع القدرة أشد ﴿ والثاني ﴾
 أن يدعو إلى التعم بالمباحات وهو أقل الدرجات فينبت
 على التعم جسده ولا يمكنه الصبر عنه وذلك لا يمكن استدامته
 إلا بالاستعانة بالخلق والالتجاء إلى الظلمة وذلك يدعو إلى
 النفاق والكذب والرياء والمداوة والبغضاء * ويتشعب منه جملة
 المهلكات - ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ حب الدنيا
 رأس كل خطيئة ﴾ ﴿ والثالث ﴾ أن يلهي عن ذكر الله عز

وجبل الذي هو اساس السعادة الاخرية اذ يزدحم على
القلب خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر في تدبير
الحذر منهم وتدبير استئناء المال وكيفية تحصيله اولا وحفظه
ثانيا واخر اجه ثالثا * وكل ذلك مما يسود القلب ويزيل صفاءه
ويلهي عن الذكر كما قال الله تعالى ﴿ الهيكم التكائر ﴾ الى
آخر السورة *

— ❦ فصل ❦ —

لعلك تشتهي ان تعرف مقدار الكفاية وتقول ما من غني الا
ويدعي ان ما في يده دون مقدار الكفاية ﴿ فاعلم ﴾ ان
الضرورة انما تدعو الى المطعم والملبس فقط * فان تركت
التجمل في الملبس فيكفيك في السنة ديناران لثتائك وصيفك
فتتخذ بهما ثوبا خشنا يدفع عنك الحر والبرد * وان تركت
التنعم في مطعمك والشبع من الطعام في جميع احوالك فيكفيك
في كل يوم مدية فيكون في السنة خمس مائة رطل ويكفيك
لادامك ان لم توسع فيه واقتصرت على اليسير منه في بعض
الاقوات ثلاثة دنائير على التقريب في السنة عند رخاء الاسعار

فاذا يبلغ كفايتك خمس دنانير وخمس مائة رطل وهو القدر
 الذي تقدره اذا فرضنا نفقة العزب * فان كنت معيلا
 فخذ لكل واحد منهم مثل ذلك * فاذا كنت كسوبا وكسبت
 في اليوم ما يكفيك ليومك فانصرف واشتغل بعبادتك فان
 طلبت الزيادة صرت من اهل الدنيا * وان لم تكن كسوبا
 وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت ضيعة يدخل منها هذا
 القدر دائما * فارجو ان لا تصير بذلك من اهل الدنيا لاسما
 في هذه الاعصار وقد تغيرت القلوب واستولى عليها الشح
 وانصرفت الهمم عن تفقد ذوى الحاجات فاقنا، هذا القدر اولى
 من السؤال وهذا بشرط ان يكون بؤدك ان تتخلص من التعرض
 الى الجوع والبرد لتطرح الضيعة وتركها ولا تكون كارها
 للموت ولا محبا للضيعة * ولتكن الضيعة وهي مدخل طعامك
 كالخلاء الذي هو موضع فراغك فاما تريده للضرورة وبؤدك
 لو تحلصت منه لتخرج عن النهي في قوله صلى الله عليه وسلم
 لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا * فانك اذا قصدت الفراغة
 للاستعانة بها على الدين كنت متزودا مسافرا لامرٍ جاعلي

الضيعة * وربما لا يمتثل بعض الاشخاص القناعة بالقدر الذي ذكرته الابشدة ومشقة * ولا حرج في الدين في ازدياد الضعف على هذا القدر^(١) اذ لا يصير من ابناء الدنيا ولا يخرج من حزب ابناء الآخرة والمسافرين الى الله تعالى مادام يقصد بذلك دفع الالم الشاغل عن الذكر والعبادة دون التلذذ والتنعم في الدنيا * ثم ما فضل من الطعام صرفه الى البائس والارامل^(٢) ولا يبقى بعد هذه الرخصة داعية الى الزيادة الا للتنعم او للتصدق او للاستظهار لو اصاب المال آفة ﴿ اما التنعم ﴾ فاعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا ﴿ واما التصديق ﴾ فترك المال افضل منه * قال عيسى عليه السلام يا طاب الدنيا لتبر فتركك لها ابر وابر ﴿ واما الاستظهار ﴾ خوف آفة فذلك لامرد له وهو سوء الظن لا آخر له بل ينبغي ان تدفع ذلك بحسن الظن بتدبير الله عز وجل وهو ان تتصور ان تصيب المال

(١) وفي النسخة الكردية فأرى انه على الضعف من هذا القدر لا تصير من ابناء الدنيا ولا يخرج الخ
 (٢) وفي النسخة الدمشقية الى البائس والادام والارامل

آفة من حيث لا يتوقع فيتصور ان يفتح للرزق أيضاً باب لا
 يحتسب * ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب
 وان فرض على الندور خلافه فلا ينبغي ان يعتقد العبد ان
 سلامته طول عمره عن البلاء محتوم بل البلاء هو الذي يصقل
 القلب ويزكيه ويخلصه من الخبائث كلها * ولهذا كان موكلاً
 بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثال فالامثل فاتكل على فضل الله
 ﴿ وأعلم ﴾ انك لا يصيبك الا ما فيه خيرك وخيرتك فان الله
 مدبر الملك والملكوت اعلم بمصالحك *

﴿ فصل ﴾

هذا الذي ذكرته تقرب يمكن الزيادة عليه والنقصان منه
 بالاجتهاد في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال ولكن
 اعتقد قطعاً ان المال كالدواء النافع منه قدر مخصوص * والافراط
 فيه قاتل والقرب من الافراط ممرض ان لم يقتل فمليح بالتقليل
 والحذر من الافراط والرفاهية — فذلك خطر عظيم * وليس
 في التقليل الا مشقة قليلة في ايام قلائل وذو الحزم لا يتقل
 عليه ان يجوع نفسه ولو ليمة الفردوس لعلمه ان اللذة على قدر الجوع

(١٥٣)

﴿ فصل ﴾

لعلك ترغب في معرفة حد البخل اذ الشخص الواحد قد
 تشك في انه بخيل ام لا ويختلف الناس فيه ﴿ فاعلم ﴾ ان حد البخل
 منع ما يوجب الشرع او المروءة ولا تظن ان من سلم الى زوجته
 وقريبه ما فرضه القاضي * وضايق وراء ذلك في لقمة فليس
 ببخيل * وان من رد الخبز واللحم الى الخباز والقصاب لتقصان
 قدر منه يسير ليس ببخيل وان كان له ذلك في الشرع فان
 معنى الشرع في هذه الامور قطع خصومة البخلاء بتقدير
 مقدار يطيقه البخيل — ولذلك قال الله تعالى ﴿ ان يستلكموها
 فيحفكم تبخلوا ﴾ بل لا بد من مراعاة المروءة ودفع قبح الاحدوة
 وذلك يختلف باختلاف الاشخاص وقدر المال * ومن له مال
 وامكنه ان يقطع هجو شاعر وذمه عن نفسه بقدر يسير فلم يفعله فهو
 بخيل وان لم يكن ذلك واجبا عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم
 ﴿ ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة ﴾ والتحقق فيه ان
 المال خلق لفائدة لا جليها يمساك وفي بذله ايضا فائدة فهما ظهرا
 له ان فائدة البذل اعظم من فائدة الامساك ثم شق عليه البذل

فهو بخيل محب للمال * والمال لا ينبغي ان يحب لذاته بل لفائده
 فيصرف الى اقوى فائدة وحفظ المروة افضل واقوى من
 التمتع بالاكل الكثير مثلاً * وقد يحمله البخل وحب المال على
 ان يجهل اقوى الفائدتين واوليهما وذلك غاية البخل * فان
 علم وعسر عليه البذل فهو بخيل ايضاً وان بذل تكلفاً * بل انما
 يبرأ عن البخل بان لا يثقل عليه بذل المال فيما ينبغي ان يبذل
 فيه عقلاً وشرعاً * واما درجة السخاء فلا تنال الا ببذل
 ما يزيد على واجب الشرع والمروة جميعاً *

﴿ فصل ﴾

املك تريد ان تفهم علاج البخل ﴿ فاعلم ﴾ ان دواءه معجون
 مركب من العلم والعمل ﴿ اما العلم ﴾ فهو ان تعلم ما في البخل
 من الهلاك في دار الآخرة والمذمة في الدنيا وتعلم ان المال
 لا يتبعه ان بقي الى قبره * وانما المال لله تعالى مكنه منه ليصرفه
 الى اهم اموره * وتعلم ان امساك المال ان كان للتمتع في الشهوات
 فحسن الاحدوثه وثواب الآخرة اعظم والذم منه قبيحاً * وان
 سجية البهايم * وهذه سجية المقلاء * وان كان يمسك

الى المال يسر من التوصل للمال الى الجاه ولانه محفوظ عن
 الى يسرق وينصب او تعرض له الآفة ولانه يسرى وينمو
 وغير تكاف * فان من ملك قلبه باعته د التظيم فلا يزال
 ويتنصق قلوب ساير الناس لصاحبه * وفيه من آخر
 ان الجاه معناه العلو والكبرياء والمرت وهي من الصفات
 الالهية والالهية محبوبة للانسان بالطبع بل هو الذ الاشياء
 وذلك لسر خفي في مناسبة الروح للامور الالهية وعنه
 العارة بقوله تعالى (قل الروح من امر ربي) فهو امر رباني
 من حيث الطبع للاستبداد والافتراد بالوجود وهو
 حقيقة الالهية اذ ليس مع الله موجود بل الموجودات كلها
 كاطل من نور القدرة فلها رتبة التبعية لارتبة الامة * فليس
 الموجود مع الله غيره * وكان الانسان يشتهي ذلك بل في كل
 يقول اناربي الاعلى لكن اظهره فرعون واخفاه
 ولكن ان فانه الافتراد بالوجود فيشتهي ان لا يفوته
 والاستيلاء على الموجودات كلها ليتصرف فيها
 مراده وهو الالهية لكن تمرد على الانسان ذلك

الى لئلا يسير من التوصل بل الى ايجاه وولاته كمنهضة عن
 ان يسرق وينصب او تعرض له الامة وولاته يسرى ووسو
 من غير تكلف فان من ملك فيه باعتدال التظيم فلا يزال
 يثني ويقتضى قلوب سائر الناس لصاحبه وفيه من اسرار
 وهو ان ايجاه معناه العز والكبرياء والعز وهي من الصفات
 الالهية والالهية محبوبة للانسان بطبع بل هو الله الاشياء
 عنده وذلك سر خفي في مناسبة الروح للامور الالهية فوعده
 البقرة بقوله تعالى (قل الروح من امر ربي) فهو امر ربي
 شقته من حيث انضج للاستعداد والافتراء بالوجود وهو
 حقيقة الالهية اذ ليس مع الله موجود بل الوجود مستعد
 كما نظر من نور القدرة في الوجود

فهو بخيل محب للمال * والمال لا ينبغي ان يحب لذاته بل لفائدته
 فيصرف الى اقوى فائدة وحفظ المروة افضل واقوى من
 التمتع بالاكل الكثير مثلاً * وقد يحمله البخل وحب المال على
 ان يجهل اقوى الفائدتين واوليها وذلك غاية البخل * فان
 علم وعسر عليه البذل فهو بخيل ايضاً وان بذل تكلفاً * بل انما
 يبرأ عن البخل بان لا يشغل عليه بذل المال فيما ينبغي ان يبذل
 فيه عقلاً وشرعاً * واما درجة السخاء فلا تنال الا ببذل
 ما يزيد على واجب الشرع والمروة جميعاً *

﴿ فصل ﴾

املك تريد ان تفهم علاج البخل ﴿ فاعلم ﴾ ان دواءه معجون
 مركب من العلم والعمل ﴿ اما العلم ﴾ فهو ان تعلم ما في البخل
 من الهلاك في دار الآخرة والمذمة في الدنيا وتعلم ان المال
 لا يتبعه ان بقي الى قبره * وانما المال لله تعالى مكنه منه ليصرفه
 الى اهم اموره * وتعلم ان امساك المال ان كان للتمتع في الشهوات
 محسن الاحدثة وثواب الآخرة اعظم والذم منه * فمقضاء الشهوة
 سجية البهايم * وهذه سجية العقلاء * وان كان يمسكه ليركه لولده

فكانه يترك ولده بخير ويقدم على ربه بشر — وهذا عين
 الجهل كيف وولده ان كان صالحا فالله تعالى يكفيه وان كان
 فاسقا فيستعين به على المعصية ويكون هو سبب تمكنه منها
 فيتضرر هو ويتنعم غيره ﴿ واما العمل ﴾ فهو ان يحمل نفسه على
 البذل تكلفا ولا يزال يفعل ذلك حتى يصير له عادة ومن نوافذ
 حيلة فيه ان يخدمه بحسن الاسم وتوقع المكافاة حتى يرغب
 في البذل * ثم بعد ذلك يتدرج ايضا الى قمع هذه الصفات *

﴿ الاصل السادس الرعونة وحب الجاه ﴾

قال الله عز وجل ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
 علواً في الارض ولا فسادا ﴾ الآية وقال عليه السلام ﴿ حب
 المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ﴾
 وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ ما ذئبان ضاريان ارسلاني زريبة
 غم باكثر فسادا فيهما من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم ﴾
 وقال عليه الصلاة والسلام في مدح الجمول رب أشعث اغبر
 ذي طمرين لا يوبه به لو اقسيم على الله لا بره * وقال عليه الصلاة
 والسلام ان اهل الجنة كل أشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له

الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم * واذا خطبوا
النساء لم ينحكوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم
تجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم
وقال سليمان بن حنظلة بينما نحن حول ابي بن كعب نمشي
خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة * فقال انظر يا امير المؤمنين
ما تصنع * فقال ان هذا مذلة للتابع وفتنة للمتبع * وقال الحسن
ان خفق النعال خلف الرجل قل ما يثبت معه قلوب الحمقاء
وقال ابو ايوب والله ما صدق الله عبد الاسره ان لا يشمر
بمكانه فقد عرفت بهذا مذمة الشهرة والجاه الا ان يشهر الله
عبدا في الدين من غير طلب منه كما يشهر الانبياء والخلفاء
الراشدين والعلماء والاولياء *

﴿ فصل ﴾

حقيقة الجاه هي ملك القلوب لتسخر لذي الجاه على حسب
مراده وتطلق اللسان بالثناء عليه وتسمى في حاجته وكما ان
معنى المال ملك الدراهم ليتوصل بها الى الاغراض كذلك
معنى الجاه ملك القلوب لكن الجاه أحب لان التوصل به

الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه ولانه محفوظ عن
ان يسرق وينصب او تعرض له الآفة ولانه يسرى وينمو
من غير تكلف * فان من ملك قلبه باعتقاد التمهيم فلا يزال
يثني ويقتنص قلوب ساير الناس لصاحبه * وفيه سر آخر
وهو ان الجاه معناه العلو والكبرياء والعز وهي من الصفات
الالهية والالهية محبوبة للانسان بالطبع بل هو الذ الاشياء
عنده وذلك لسرّ خفي في مناسبة الروح للامور الالهية وعنه
البراءة بقوله تعالى ﴿ قل الروح من امر ربي ﴾ فهو امر رباني
شغفه من حيث الطبع للاستبداد والانفراد بالوجود وهو
حقيقة الالهية اذ ليس مع الله موجود بل الموجودات كلها
كالظل من نور القدرة فلها رتبة التبعية لارتبة المعية * فليس
في الوجود مع الله غيره * وكان الانسان يشتهي ذلك بل في كل
نفس ان يقول أنا ربكم الاعلى لكن اظهره فرعون واخفاه
غيره ولكن ان فاته الانفراد بالوجود فيشتهي ان لا يفوته
الاستعلاء والاستيلاء على الموجودات كلها ليتصرف فيها
على حسب مراده وهو الالهية لكن تمذر على الانسان ذلك

في السموات والكواكب والبحار والجبال * فاشتهى الاستيلاء
على جميعها بالعلم لان العلم نوع استيلاء ايضا كما ان من عجز عن
وضع الاشياء العجيبة فيشتهي ان يعرف كيفية الوضع
وكذلك يشتهي ان يعرف عجائب البحر وما تحت الجبال
ويتصور ان يتسخر له الالعيان التي على وجه الارض من
الحيوان والامادن والنبات * فيجب ان يملكها ويتمو لها
ويتصور ان يتسخر له الانسان فيجب ان يتسخره بواسطة
قلبه * ويملك قلبه بالقاء التعظيم فيه ويحصل التعظيم بان يعتقد
فيه كمال الخصال فان الاجلال يتبع اعتقاد الكمال — فهذا
يجب الانسان ان يتسع جاهه وينتشر صيته حتى الى البلاد
التي يعلم قطعا انه لا يطاؤها ولا يرى اهلها لان كل ذلك
يناسب صفات الربوبية * وكلما صار اعقل كانت هذه الصفة
عليه اغلب وشهواته البهيمية فيه اضعف *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول فاذا كان كذلك فلم كان طلب الرفعة مذموما وهو
من نتائج العقل وخواص الروح المناسبة للامور الربانية (فاعلم)

ان الرفعية الحقيقية طلبها محمود غير مذموم اذ مطلوب الكل هو
القرب من الله تعالى — وذلك هو الرفعة والكمال اذ هو عز لا ذل
فيه وغنى لا فقر معه * وبقاء لا فناء بعده * ولذة لا كدورة لها
وطلب ذلك محمود * وانما المذموم طلب الكمال الوهمي دون
الحقيقي والكمال الحقيقي يرجع الى العلم والحرية والقدرة
وهو ان لا يكون مقيداً بغيره ولا يتصور للعبد حقيقة القدرة
فان قدرته انما تكون بالمال والجاه وذلك كمال وهمي فانه امر
عارض لا بقاء له ولا خير فيما لا بقاء له بل قيل

﴿ اشد النعم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه استقلاً ﴾
كيف وهذه القدرة العارضة مع سرعة انقضائها بالموت وبآفاتهما قبله
لا تصفوعن الكدورات فمن توهمها كمالاً فقد زل * بل الكمال في
الباقيات الصالحات التي تنال بها القرب من الله سبحانه * ولا
نزول بالموت بل تتضاعف تضاعفاً غير محدود — وذلك هو
المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وصفاته وافعاله وهو العلم بكل
الموجودات اذ ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله * لكن
قد ينظر فيها الناظر لامن حيث انها افعال الله تعالى كالذي

ينظر في التشريح لغرض الطب او ينظر في هيئة العالم لمعرفة
 الاستدلال باحكام النجوم * فهذا لا قدر له * ومن الكمال
 الحقيقي الحرية وهو انقطاع علاقتك عن جميع علايق الدنيا
 بل عن كل ما يفارقك بالموت والاقطار في الالتفات الى
 لازمك الذي لا بد لك منه وهو الله تعالى كما اوحى الله الى
 داود ياد او دانا بدك اللازم فالزم بدك * فالعلم والحرية من
 الباقيات الصالحات وهما كما لان حقيقيان والمال والبنون زينة
 الحياة الدنيا وهما كما لان وهميان * والمنكوسون هم الذين
 عكسوا الحقيقة فاعرضوا عن طلب الكمال الحقيقي واشتغلوا
 بطلب الكمال الوهمي وهم الذين يحترقون عند الموت بنيران
 الحسرة اذ يشاهدون انهم خسروا الدنيا والآخرة * واما
 الآخرة فلانهم بطلبونها ولم يحصلوا أسبابها من المعرفة
 والحرية * واما الدنيا فلانها ودعتهم وانقلب الى اعدائهم
 وهم ورثتهم ولا تظن ان الايمان والعلم يفارقانك بالموت * فالموت
 لا يهدم محل العلم أصلا وليس الموت عدما حتى تظن انك اذا
 عدت عدمت صفاتك بل معنى الموت قطع علاقة الروح

من البدن الى ان تعاد اليه * واذا تجرد عن البدن فهو على ما كان عليه قبل الموت من العلم والجهل * وفهم هذا طويل وتحتة اسرار لا يحتمل هذا الكتاب كشفها *

{ فصل }

اذا عرفت حقيقة الجاه وماهيته وانه كمال وهمي فقد عرفت ان طريق العلاج في قمع حبه من القلب * اذا علمت ان اهل الارض لو سجدوا لك مثلاً لما بقي الا الى مدة قريبة لا الساجد ولا المسجود له * كيف ويشح الدهر عليك بان يسلم لك الملك في محلتك فضلاً عن قريتك او بلدتك * فكيف ترضى ان تترك ملك الأبد والجاه الطويل العريض عند الله تعالى وعند ملائكته بجاهك الحقير المنص عند جماعة من الحمقى لا ينفمونك ولا يضرونك ولا يملكون لك موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا رزقاً ولا اجلاً * نعم ملك القلوب كملك الاعيان وانت محتاج منه الى قدر يسير لتحرس نفسك عن الظلم والمدوان وعمائشوش عليك سلامتك وفراغك التي تستعين بها على دينك * فطلبك لهذا القدر مباح بشرط القناعة

بقدر الضرورة كما في المال * وبشرط ان لا تكتسبه بالمرايات
 بالعبادات فذلك حرام كما سيأتي * وان لا تكتسبه بالتليس
 بان تظهر من نفسك ما انت خال عنه فلا فرق بين من يملك
 القلوب بالتليس وبين من يملك الاموال * فاذا حصلت
 الجاه بطريقه واقتصرت على قدر التحرز من الآفات
 فترجى لك السلامة الا انك في خطر عظيم اكثر من خطر
 المال لان قليل الجاه يدعو الى كثيره فانه الزمن المال -
 ولذلك لا يسلم الدين مجانا غالبا الا لخامل مجهود لا يعرف
 كما فهمت ذلك من الاخبار *

﴿ فصل ﴾

من البواعث على طلب الجاه حب المدح فان الانسان يتلذذ
 به من ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ انه يشعر صاحبه بكمال نفسه
 والشعور بالكمال لذيد لأن الكمال من الصفات الالهية ﴿ والثاني ﴾
 انه يشعر بملك قلب المادح وقيام الجاه عنده وكونه مسخر له
 ﴿ الثالث ﴾ انه يشعر صاحبه بان المادح يصنى الى مدحه
 فينتشر بسببه جاهه * فكذلك اذا صدر المدح من بصير

بصفات الكمال واسع الجاه والقدرة في نفسه وكان على ملاء
 من الناس تضاعفت لذة المدح * وتزول اللذة الاولى بان
 يصدر عن غير اهل البصيرة فانه لا يشعر بالكمال * وتزول
 الثانية بان يصدر عن خسيس لا قدرة له لان ملك قلبه لا يعتمد
 به * وتزول الثالثة بان يمدح في الخلوة لا في الملاء الا من
 حيث يتوقع انه ايضا ربما يمدح في الملاء ﴿ واما الذم ﴾ فانه
 مكروه لتقيض هذه الاسباب ﴿ وأكثر الخلق ﴾ اهل كبرهم
 حب المدح وكراهية الذم ويحملهم ذلك على المراتب وفنون
 المعصية ﴿ وغلاج ﴾ ذلك ان يتفكر في اللذة الاولى فان مدح
 بكثرة المال والجاه فيعلم انه كمال وهمي وهو سبب فوات كمال
 حقيقي فهو جدير بان يحزن لاجله لا ان يفرح به وان مدح
 بكمال العلم والورع * فينبغي ان يكون فرحه بوجود تلك
 الصفات ويشكره الله تعالى عليها لا يشكر غيره هذا ان كان
 متصفا به ﴿ واما ﴾ ان كان غير متصف به ففرحه به حماقة
 كفرح من يثني عليه غيره ويقول ما اطيب العطر الذي في
 احشائك او امعائك وهو يعلم ما فيها من الاقدار والانتان

وهذا حال من يفرح من المدح بالورع والزهد والعلم وهو يعلم
من باطن نفسه انه خال عنه ﴿ وأما اللذة الثانية والثالثة ﴾ وهو
لذة الجاه عند المادح وغيره * فعلاجه ما ذكرناه في حب الجاه

﴿ الاصل السابع حب الدنيا ﴾

واعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة * وليس الدنيا عبارة عن
المال والجاه فقط بل هما حظان من حظوظ الدنيا * وشعبتان
من شعبها وشعب الدنيا كثيرة * ودياك عبارة عن حالتك
قبل الموت * وآخرتك عبارة عن حالتك بعد الموت * وكل
مالك فيه حظ قبل الموت فهو من دنيك الا العلم والمعرفة
والحرية * وما يبقى معك بعد الموت فانها أيضاً لذيدة عند
أهل البصائر * ولكنها ليست من الدنيا وان كانت في الدنيا
ولهذه الحظوظ الدنيوية تعاون وتعلق بما فيه الحظ وتعلق
بأعمالك المتعلقة باصلاحها فهي ترجع الى أعيان موجودة والى
حظك فيها والى شغلك في اصلاحها ﴿ أما الأعيان ﴾ فهي
الأرض وما عليها قال الله تعالى ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض
زينة لها ﴾ الآية ومطلوب الآدمي من الأرض ﴿ أماعينها ﴾

فلامسكن والمحرت ﴿ وأما نباتها ﴾ فللتداوي والاعتقيات ﴿ وأما
 معادنها ﴾ فللنفود والاوناي والآلات ﴿ وأما حيواناتها ﴾
 فللمركب والمأكل ﴿ وأما الآدميون ﴾ منها فللمنكح
 والاستحسان وقد جمع الله سبحانه ذلك في قوله ﴿ زين
 للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ الآية ﴿ وأما حظك
 منها ﴾ فقد عبر القرآن الكريم عنه بالهوى فقال الله تعالى
 ﴿ وهى النفس عن الهوى ﴾ وقال تعالى تفصيلا له ﴿ إنما
 الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
 والاولاد ﴾ الآية وذلك يندرج فيه جميع المهلكات الباطنة من
 الغل والكبر والحسد والرياء والنفاق والتفاخر والتكاثر وحب
 الدنيا وحب الشئ * وهى الدنيا الباطنة ﴿ وأما الاعيان ﴾ هى
 الدنيا الظاهرة ﴿ وأما شغلك فى اصلاحها ﴾ فهى جملة الحرف
 والصناعات التى اخلق مشغولون بها * وقد نسوا فيها انفسهم
 ومبدءهم ومعادهم لاستغراقهم باشغالهم بها * وإنما شاغلهم الملاقاة
 فان علاقة القلب بحب حظوظها * وعلاقة البدن بشغل اصلاحها
 فهذه هى حقيقة الدنيا التى حيارأس كل خطيئة * وإنما خلقت

للتزود منها الى الآخرة ولكن كثرة أشغالها وفنون شهوراتها
 أنست الحتمى سفرهم ومقصدهم فقصروا عليها همتهم فكانوا
 كالحاج في البادية يشتغل بتعهد الناقة وعلقها وتسمينها فيتخلف
 عن الرقعة حتى يفوته الحج وتهلكه سباع البادية *

﴿فصل﴾

هذه الدنيا المذمومة المهلكة هي بعينها مزرعة الآخرة في
 حق من عرفها اذ يعرف انها منزل من منازل السائرين الى
 الله عز وجل وهي كرباط بني على قارعة الطريق * أعد فيها
 العلف والزاد وأسباب السفر * فمن تزود منها لآخرته
 واقتصر منها على قدر الضرورة التي ذكرناها في المطعم والملبس
 والمنكح وسائر الضرورات فقد حرث وبذر * وسيحصل في
 الآخرة مازرع * ومن عرج عليها واشتغل بلذاتها هلك
 ومثل الخلق فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فأنهت بهم الى جزيرة
 فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وخوفهم المقام واستعجال
 السفينة فنفروا فيها * فبادر بعضهم وقضى حاجته ورجع الى
 السفينة فوجد مكانا خاليا واسعا * ووقف بعضهم فنظر في ازهار

الجزيرة وانوارها وظرايف احجارها وعجايب غياضها ونفحات
 طيورها * فرجع الى السفينة فلم يجد الامكانا ضيقا خرجا
 وأكب بعضهم على تلك الاصداف والاحجار وأعجبه حسنهما فلم
 تسمع نفسه الا بان يستصخب شيئا منها فلم يجد في السفينة الا
 مكانا ضيقا وزادته الحجارة ثقلا وضيقا فلم يقدر على رميها ولم
 يجد لها مكانا فحملها على عنقه وهو ينوء باعبائها * وتولج
 بعضهم الغياض ونسى المركب واشتغل بالتفرج في تلك الازهار
 والتناول من تلك الثمار وهو في تفرجه غير خال من خوف
 السباع والحذر من السقطات والتكبات * فلما رجع الى السفينة
 فلم يصادفها فبقي على الساحل فاقترسته السباع ومزقته الهوام
 فهذه صورة أهل الدنيا بالاضافة الي الدنيا والآخرة فتأملها
 واستخرج وجه الموازنة فيها ان كنت ذا بصيرة *

﴿ فصل ﴾

من عرف نفسه وعرف ربه وعرف زينة الدنيا وعرف الآخرة
 شاهد بنور البصيرة وجه عداوة الدنيا للآخرة اذ ينكشف له
 قطعا ان لاسعادة في الآخرة الا لمن قدم على الله سبحانه

عارفا به محبا له * فان المحبة لاتنال الا بدوام الذكر * وان المعرفة
 لاتنال الا بدوام الطلب والفكر * ولا يتفرغ لهما الا من
 أعرض عن اشغال الدنيا * ولا تستولى المعرفة والحب على القلب
 ما لم يفرغ من حب غير الله تعالى ففراغ القلب عن غير الله
 ضرورة اشتغاله بحب الله تعالى ومعرفته * ولن يتصور ذلك
 الا لمعرض عن الدنيا قانع منها بقدر الزاد والضرورة * فان
 كنت من اهل البصيرة فقد صرت من اهل الذوق
 والمشاهدة * وان لم تكن كذلك فكن من اهل التقليد والايان
 وانظر الى تحذير الله سبحانه * اياك والكتاب والسنة وقد
 قال عز وجل ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
 اعمالهم فيها ﴾ الاية وقال تعالى ﴿ ذلك بانهم استحبوا الحياة
 الدنيا على الآخرة ﴾ الاية وقال عز اسمه ﴿ فاما من طغى
 وآثر الحياة الدنيا ﴾ الاية ولعل ثلث القرآن في ذم الدنيا وذم
 اهلها * وقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿ الدنيا ملعونة ملعون ما
 فيها الا ما كان لله تعالى منها ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ يا عباد
 كل العجب للمصدق بدار الآخرة وهو يسمى لدار الغرور ﴾

وقال عليه السلام ﴿ الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم
 فيها فناظر كيف تعملون ﴾ وقال عليه السلام ان الله عز وجل
 لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ
 خلقها * وقال عليه السلام من أصبح والدنيا اكبر همه فليس
 من الله في شيء * والزم قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا
 وشغلا لا يتفرغ عنه ابدا وقررا لا يبلغ غناه ابدا وأملا لا
 يبلغ منتهاه ابدا * وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم يا
 أبا هريرة الا أريك الدنيا جميعها قلت نعم * فأخذ يبدى الى
 مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام * فقال عليه
 السلام يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم
 وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم ستصير رمادا
 وهذه العذرات ألوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها
 ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها * وهذه
 الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها
 وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون^(١) عليها أطراف

(١) اي يطلبون ويكتسبون * وانتجع طلب الكلاء في موضعه

البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك * وقال صلى الله عليه
 وسلم ليَجِيئنَ اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامه فيؤمر
 بهم الى النار * قالوا يارسول الله مصلين^(١) قال نعم كانوا يصلون
 ويصومون ويأخذون هنة^(٢) من الليل فاذا عُرِض لهم شيء
 من الدنيا وثبوا عليه * وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم
 حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار
 في اناء واحد وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا
 فانها اسحر من هاروت وماروت * وقال عيسى عليه السلام
 يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي
 اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا * وقال عيسى عليه
 السلام للحواريين لا تكل خبز الشعير بالملح الجريش^(٣) ولبس
 المسوح^(٤) والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة
 وروي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فراها في صورة
 عجوز شوهاء عليها من كل زينة * فقال لها كم تكلمت فقالت

(١) وفي النسخة الدمشقية أو مصلين (٢) اي ساعة لطيفة

(٣) الملح الغير الطيب (٤) الثوب الخلق الحشن المرقع

اني لا احصيهم * فقال يطلقونك او ماتوا عنك فقالت بل
 قتلت كلهم * فقال عيسى عليه السلام عجيباً لازواجك الباقيين
 كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين *

❖ فصل ❖

اعلم ان من ظن انه يلبس الدنيا بيدنه ويخلو عنها بقلبه فهو
 مغرور * وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل صاحب الدنيا كمثل
 الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشى في الماء الا يتل قدماه
 وكتب علي رضوان الله عليه الى سلمان الفارسي رضى الله عنه
 مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يهيجك
 منها لقلة ما يصحبك منها * وضع عنك همومها لما آيقت من
 فراقها * وكن اسرّ ماتكون بها احذر ماتكون منها فان صاحبها
 كلما اطمان منها الي سرور اشخصه عنه مكروه * وقال عيسى
 عليه السلام مثل الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً
 ازداد عطشاً حتى يقتله ﴿ واعلم ﴾ ان من اطمان الى الدنيا وهو
 يتيقن انه راحل عنها هو في غاية الحماسة * بل مثل الدنيا مثل
 دار هياها صاحبها وزينها لضيافة الواردين والصادرين *

فدخل واحد داره فقدم اليه طبقاً من ذهب عليه بخور
 وريحان ليشمها ويتركه لمن يلحقه لايتملكه فجهل رسمه فظن انه
 وهب ذلك له * فلما تعلق به قلبه استرجع منه فضجر وتوجع
 ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره وردّه بطيبة قلبه
 وانشرح صدره فكذلك سنة الله في الدنيا فانها دار ضيافته
 على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها ما ينتفعون به كما
 ينتفع بالعارية ثم يتركونها لمن يلحق بعهدهم بطيبة نفس من
 غير تعلق القلب بها لا كمن يتعلق القلب بها *

﴿ الاصل الثامن في التكبر ﴾

قال الله سبحانه ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾
 وقال تعالى فيس مشوى المتكبرين * وقال صلى الله عليه وسلم
 قال الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائي فمن نازعني
 فيها قصمته * قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان
 في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر * وقال عليه السلام يحشر
 الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطوهم الناس
 لهُم على الله عز وجل * وقال صلى الله عليه وسلم لبلال ان

في جهنم وادياً يقال له (ههب) حق على الله سبحانه ان
 يسكنه كل جبار فإياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه * وقال عليه
 السلام اللهم انى اعوذ بك من نفخة الكبر * وقال عليه السلام
 لا ينظر الله تعالى الى من جرّ ثوبه خيلاء * وقال عليه السلام من
 تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان
 وقال عليه السلام في فضيلة التواضع ما زاد الله عبدا بعفو الا
 عزاً * وما تواضع احد لله الا رفعه الله * وقال عليه السلام طوبى
 لمن تواضع في غير مسكنة * واوحى الله تعالى الى موسى عليه
 السلام انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتى ولم يتعظم على خلقي
 وألزم قلبه خوفاً وقطع النهار بذكرى وكف نفسه عن الشهوات
 من أجل * وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد لله
 رفعه الله الى السماء السابعة * وقال عليه السلام ان التواضع لا
 يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله * وقال عليه السلام انه
 ليهجنى ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله
 يدفع به الكبر عن نفسه *

○ فصل ○

حقيقة الكبر ان يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال
 فيحصل فيه نفخة وهزة من هذه الرذيلة والعميدة - ولذلك
 قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبر - ولذلك
 استأذن بعضهم عمر رضى الله عنه ليعظ الناس بعد الصبح
 فقال لا خشى ان تلتفخ حتى تبلغ الثريا* ثم هذه النفخة يصدر
 منها أفعال على الظاهر كالترفع في المجالس والتقدم في الطريق
 والنظر بعين التحقير والغضب اذا لم يبدأ بالسلام وقصر في
 حوايجه وتعظيمه ويحملة على ان يأنف اذا وعظ* ويمتف اذا
 وعظ وعلم* ويمجد الحق اذا ناظر وينظر الى العامة كأنه ينظر
 الى الحمير* وانما عظم الكبر حتى لا يدخل الجنة من في قلبه
 مثقال ذرة منه لان تحته ثلاثة انواع من الخبائث العظيمة
 ﴿ اولها ﴾ انه منازعة الله تعالى في خصوص صفته اذ الكبرياء
 رداؤه كما قال الله فان العظمة لا تليق الا به* ومن أين تليق
 العظمة بالعبد الذليل الذي لا يملك من امر نفسه شيئا فضلا
 عن امر غيره ﴿ الثانية ﴾ ان يحملة على جحد الحق وازدراء

الخلق قال صلى الله عليه وسلم في بيان الكبر * الكبر من سفه
 الحق * ونمص الناس والانتفة من الحق تغلق باب السعادة
 وكذا استحقاق الخلق * وقال بعضهم ان الله سبحانه خباء ثلاثا
 في ثلاث خباء رضاء في طاعته فلا تحقرن شيئا منها لعل رضاء
 الله فيه وخباء سخطة في معصيته فلا تحقرن شيئا منها صغيرة
 فلعل سخط الله تعالى فيها وخباء ولايته في عبادته فلا تحقرن
 احدا منهم فعمله ولي الله تعالى ﴿ الثالثة ﴾ انه يحول بينه
 وبين جميع الاخلاق المحمودة لان المتكبر لا يقدر ان يحب
 للناس ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع وعلى ترك الانتفة
 والحسد والغضب ولا يقدر على كظم الغيظ وعلى اللطف في
 النصيح وعلى ترك الرياء * وبالجملة فلا يبقى خلق مذموم الا
 ويضطر المتكبر الى ارتكابه * ولا خلق محمود الا ويضطر الى تركه

— ❖ فصل ❖ —

العلاج الجملي لقمع رذيلة الكبر ان يعرف الانسان نفسه وان
 اوله نظفة مذرة و آخره جيفة قذرة * وهو فيما بين ذلك يحمل
 العذرة ويفهم قوله تعالى ﴿ قتل الانسان ما اكفره من أي شيء ﴾

خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره *
 فليعلم انه خلق من كتم العدم وانه لم يك شيئا مذكورا فلا شيء
 اقل من العدم * ثم خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من
 مضغة ليس له سمع ولا بصر ولا حيوة ولا قوة وخلق له ذلك كله
 وهو بعد غاية التقصان يستولى عليه الامراض والعلل ويتضاد
 فيه الطبايع فيهدم بعضها بمضا فيمرض كرها ويجوع كرها
 ويمطش كرها ويريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان ينسى
 الشيء فيذكره ويكره الشيء فينغمه ويشتهي الشيء فيضره
 لا يأمن في لحظة من أن يختلس روحه او عقله او صحته او
 عضو من اعضائه * ثم آخره الموت والتعرض للعقاب والحساب
 فان كان من اهل النار فالخنزير خير منه فمن اين يليق به الكبر
 وهو عبد مملوك ذليل لا يقدر على شيء * قال الحسن البصري
 رحمة الله عليه لبعض من يتبختر في مشيته ماهذه المشية لمن
 في بطنه خراء * فكيف يليق الكبر بمن يغسل العذرة بيده مرتين
 في كل يوم وهو حامل لها على الدوام *

﴿ فصل ﴾

علاج الكبر على التفصيل بالنظر الى مابه التكبر وهو اربع خصال
 ﴿ الاولى ﴾ العلم قال صلى الله عليه وسلم ﴿ آفة العلم الخيلاء ﴾ وقال
 عليه السلام لا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يفي علمكم
 بجهلكم * وقل ما يخلو العالم من آفة الكبر * فانه يرى نفسه
 فوق الناس بالعلم الذي هو اشرف فضيلة عند الله عز وجل
 ﴿ فيتكبر ﴾ تارة بالدين بان يرى نفسه عند الله عز وجل افضل
 من غيره * وتارة في الدنيا بان يرى حقه واجبا على الناس ويتعجب
 منهم ان لم يتواضعوا له — وهذا بان يسمى جاها لاولى لان العلم
 الحقيقي ما يعرف به ربه ونفسه وخطر خاتمته وحجة الله عز
 وجل عليه * ويلاحظ الخاتمة فلا يرى جاها لا الا ويقول انه
 عصى الله تعالى بجهل وانا عصيته بعلم فحجة الله تعالى علي
 أكد * قال ابو الدرداء رضي الله عنه من ازداد علما ازداد
 تواضعا قال الله تعالى لنبية صلى الله عليه وسلم ﴿ واخفض جناحك
 لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ وقال عليه السلام يكون قوم يقرؤن
 القرآن فلا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فن أقرأ

منا ومن أعلم منا * ثم التفت وقال ﴿اولئك منكم ايها الامة﴾
 اولئك هم وقود النار * ومن هذا اشتد حذر السلف حتى انه صلى
 حذيفة مرة رحمه الله بقوم فلما سلم قال لتلمسنُ اماما غيرى
 أو لتصلنُ وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل
 مني * وينبغي ان يتذكر الانسان انه كم من مسلم نظر الى عمر
 رضي الله عنه قبل اسلامه واستحقره ثم كانت خاتمة عمر
 كما كانت وذلك المسلم لعله ارتد بعده فكان المتكبر من اهل
 النار والمتكبر عليه من اهل الجنة * وما من عالم الا ويتصور ان
 يختم له بالسوء ويختم للجاهل بالسعادة * فكيف يكون الكبر مع
 معرفة ذلك * وقد قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعلم يوم القيامة
 فيلقى في النار فتندلق اقبابه^(١) فتدور به كما يدور الحمار بالرحا
 فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت امرأ بالخير
 ولا آتية وانهي عن الشر وآتية * فاي عالم يسلم عن ذلك فلم
 لا يشغله خوفه عن التكبر * وقد قال الله تعالى في بلعم بن باعورا
 وهو من اكابر العلماء ﴿فمثل كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث﴾

(١) اي يخرج من بطنه امعائه *

الآية لأنه اخذ الى الشهوات * وقال بعلماء اليهود ﴿ كمثل الحمار
 يحمل اسفارا ﴾ فلينظر في الاخبار التي وردت في علماء السوء
 حتى يغلب خوفه كبره * وانما يبقى الكبر مع هذا لمن اشتغل
 بعلوم غير نافعة في الدين كالجدل واللغة وغيرهما ولمن اشتغل
 بالعلم وهو خبيث الباطن فازداد خيئه بسببه ﴿ السبب الثاني ﴾
 الورع والعبادة ولا يخلو المتعبد في باطنه عن كبر وقد ينتهي
 الحماقة ببعضهم الى ان يحمل مصائب الناس ومسراتهم على
 كرامته فمن اذاه ومات أو مرض يقول قد رأيتم ما جرى عليه
 الله سبحانه به * وربما يقول عند الايذاء سترون ما يجري عليه
 وليس يدري الاحق ان جماعة من الكفار ضربوا الانبياء
 وآذوهم * ثم متّعوا في الدنيا فلم ينتقم منهم بل ربما اسلم بعضهم
 فسمد في الدنيا والآخرة فكأنه يرى نفسه افضل من الانبياء
 وموذيه اخس من الكفار * وحق العابد اذا نظر الى عالم ان
 يتواضع له لجهله وان نظر الى فاسق ان يقول لعل فيه خلقا
 باطنا يستر معاصيه الظاهرة و لعل في باطني حسدا اورياء او
 خبثا خفيا مقتنى الله سبحانه عليه فلا يقبل اعماله الظاهرة وان

الله سبحانه ينظر الى القلوب لا الى الصور * ومن الخبث
الباطن الكبر اذ روي ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع
بني اسرائيل لكثرة فساده جلس الى عابد بني اسرائيل وقال
لعل الله تعالى يرحمني ببركته * فقال العابد في نفسه كيف يجلس
معي مثل هذا الفاسق * وقال له قم عني فاوحى الله سبحانه
الى نبي زمانه مرهما ليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع
واحبطت عمل العابد * وروي ان رجلا وطى ربة عابد
من بني اسرائيل وهو ساجد * فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله
لك فاوحى الله سبحانه اليه ايها المتألي علي بل لا يغفر الله لك
فالا كياس^(١) يحذرون من ذلك ويقولون ما كان يقول له عطاء
السلمي مع شدة ورعه كان اذا هبت ريح عاصف او صاعقة
يقول ما يصيب الناس ذلك الابسي ولومات عطاء لتخلصوا
وقال بعضهم في عرفات انا ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم
فانظر كم بين من يخلص العمل والورع ثم يخاف على نفسه
ويين من يتكلف اعمالا ظاهرة لملها لا تخلو عن الرياء والافات

(١) جمع كيس وهو ضد الحق ويقال الغلبة بالكياسة

ثم بمن^(١) على الله بعمله (السبب الثالث الكبر بالنسب) وعلاجه
ان ينظر في نسبه فان اباه نطفة مذرة وجده التراب ولا اقدر من
النطفة ولا اذل من التراب * ثم المفتخر بالنسب يفتخر بمخصال
غيره ولو نطق آباؤه لقالوا من انت في نفسك ما انت الا دودة
من بول من له خصلة حسنة — ولذلك قيل (لئن فخرت باآباء
ذوي نسب * لقد صدقت ولكن بش ما ولدوا) وكيف يتكبر
بنسب ذوي الدنيا ولعلمهم صاروا حممة في النار يودون لو كانوا
خنازيرا وكلابا يتخلصون مما هم فيه * وكيف يتكبر بنسب
اهل الدين وهم في انفسهم ما كانوا يتكبرون وكان شرفهم
بالدين * ومن الدين التواضع وكان احدهم يقول ليتني كنت
تبنة وليتني كنت طائرا * كلهم قد شغلهم خوف العاقبة عن الكبر
مع عظم علمهم وعملهم * فكيف يتكبرون بنسبهم من هو عاطل
عن خصالهم (السبب الرابع الكبر بالمال والجمال والاتباع)
والكبر بهم جهل فانها امور خارجة عن الذات اعني المال
والاتباع وكيف يتكبر بمخصلة تمتد اليها يد السارق والناصب

(١) وفي النسخة العراقية ثم يتنى *

وكيف يفتخر بالجمال وحمي شهر تفسده والجدرى يزيله ولو
تفكر الجميل في اقدار باطنه لا دهشه ذلك عن تزويق ظاهره
ولو لم يتعهد الجميلُ بدنه اسبوعا بالغسل والتنظيف لصار اقدر
من الجيفة من تغير النكهة والصنآن ورايحة العذرة وكرامية
الوسخ والمخاط والرمص * فمن اين للمزيلة ان تفتخر بجماله
والانسان بالحقيقة مزيلة فانه منبع الاقدار والنجاسات *

﴿ الاصل التاسع العجب ﴾

قال الله تعالى ﴿ ويوم حنين اذ اعجبتكم كثيرتكم ﴾ الآية وقال عز
وجل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * وقال ولا تزكوا انفسكم
هو أعلم بمن اتقى * وقال عليه السلام ثلاث مهلكات ﴿ شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ﴾ وقال ابن مسعود رضي الله
عنه الهلاك في اثنين ﴿ القنوط والعجب ﴾ وانما جمع بينهما لان
القناط لا يطلب السعادة لقنوطه والعجب لا يطلبها لظنه انه
قد ظفر بها * وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخرقت عليكم
ما هو اعظم من ذلك العجب العجب * وقيل لعائشة رضي الله
عنها متى يكون الرجل مسيئا فقالت اذا ظن انه محسن

﴿ ونظر رجل ﴾ الى بشر بن منصور وهو يطيل الصلاة ويحسن
 العبادة فلما فرغ قال لا يفرنك ما رأيت مني فان ابليس عبد
 الله تعالى وصلى آلاف سنين ثم صار الى ما صار اليه *

﴿ فصل ﴾

حقيقة العجب استعظام النفس وخصالها التي هي من النعم
 والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم والأمن من زوالها
 فان اضاف اليه ان رأى لنفسه عند الله حقا ومكانا سمي ذلك
 ادلالا * وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترتفع فوق رأسه وعلامة
 ادلاله ان يتعجب من رد دعائه ويتعجب من استقامة حال
 من يؤذيه * والعجب هو سبب الكبر ولكن الكبر يستدعي
 متكبرا عليه والعجب مقصور على الانفراد ﴿ اما ﴾ من رأى
 نعمة الله تعالى على نفسه بعمل او علم او غيره وهو خائف
 على زواله وفرح بنعم الله تعالى عليه من حيث انها من الله
 فليس بمعجب * بل العجب ان يأمن وينسى الاضافة الى المنعم

﴿ فصل ﴾

العجب جهل محض فملاجه العلم المحض فانه ان اعجب بقوة

وجمال او أمر مما ليس يتعلق باختياره فهو جهل ايضاً اذ ليس
 ذلك اليه فينبغي ان يعجب بمن اعطاه ذلك من غير استحقاق *
 وينبغي ان يتفكر في زوال ذلك الخوف على القرب بادنى مرض
 وضعف ﴿ وان اعجب ﴾ بعلمه وعمله وما يدخل تحت اختياره
 فينبغي ان يتفكر في تلك الاعمال بماذا تسرت له وانها لا تيسر
 الا بعضو وقدره وارادة ومعرفة وان جميع ذلك من خلق
 الله عز وجل * واذا خلق الله العضو والقدرة وسلط الدواعي
 وصرّف الصوارف كان حصول الفعل ضرورياً وليس للمضطر
 ان يتعجب بما يحصل منه اضطراراً وهو مضطر الى اختياره
 فانه يفعل ان شاء ولكن ان يشاء الله شاء او لم يشأ مهما
 خلقت فيه المشية * قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وما تشاؤون الا
 ان يشاء الله ﴾ ففتاح العمل انحرام المشية وانصراف الدواعي
 الصارفة مع كمال القدرة والاعضاء * وكل ذلك بيد الله تعالى
 ارايت لو كان بيد ملك مفتاح خزانة فاعطاك اياه فاخذت
 منها اموالاً تعجب بمجوده اذا اعطاك المفتاح بغير استحقاق
 او بكمالك في اخذه واي كمال في الاخذ بعد التمكن *

﴿ فصل ﴾

من المعجيب ان يعجب العاقل بعلمه وعقله حتى يتعجب ان
 افقره الله تعالى وأغنى بعض الجهال ويقول كيف وسع النعمة
 على الجاهل وحرمني * فيقال له كيف رزقك العلم والعقل
 وحرمتها الجاهل * فهذه عطية منه أفجملها سبباً لاستحقاق
 عطية اخرى بل لو جمع لك بين العقل والغنى وحرم الجاهل
 عنهما جميعاً كان ذلك اولى بالتعجب وما تعجب العاقل منه
 الا كتعجب من اعطاه الملك فرساً واعطى غيره غلاماً ويقول
 كيف يعطي الغلام لفلان ولا فرس له ويحرمني وانا صاحب
 الفرس وانما صار صاحب الفرس بعطائه فيجمل عطائه سبباً
 لاستحقاق عطاء آخر وهو عين الجهل بل العاقل يكون
 ابداً تعجبه من فضل الله تعالى وجوده من حيث اعطاه
 العلم والعقل ووقفه للعبادة من غير تقدم استحقاق منه
 وحرم غيره ذلك وسلط عليه دواعي الفساد واضطره اليه
 بصرف دواعي الخير عنه وذلك بغير جريمة سابقة منه * واذا
 شاهد ذلك تحقيقاً غلب عليه الخوف اذ قد يقول قد انعم الله

عليّ في الدنيا من غير وسيلة وخصني به دون غيري * ومن
يفعل مثل هذا بغير سبب فيوشك ان يعذب ويسلب النعم
ايضا بغير جناية وسبب فماذا اصنع ان كان ما افاضه عليّ من
النعم مكررا او استدر اجابما فتحه كما قال الله تعالى ﴿ فتحنا عليهم
ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة ﴾
وكما قال تعالى ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾
﴿ الاصل العاشر في الرياء ﴾

قال الله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
الذين هم يراؤن ﴾ وقال تعالى ﴿ انما نطمعكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك ﴾ الآية اراد به الاخلاص *
وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك
الاصغر ﴾ قيل وما هو قال عليه السلام الرياء يقول الله عز
وجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الي الذين
كنتم تراؤن فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء * وقال
عليه السلام في حديث طويل يقال للغازي والعالم والمنفق اذا

قال فعلت يقال كيت وكيت اردت ان يقال فلان عالم او
شجاع او جواد او قارئ فيذهب به الى النار * وقال صلى الله
عليه وسلم استميدوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال عليه
السلام واد في جهنم أعد للقراء المرائين وقد قال تعالى ﴿ من
عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأمانه بريء وأنا
اغني الاغنياء عن الشرك ﴾ وقال عليه السلام لا يقبل الله عملاً
فيه مقدار ذرة من الرياء * وقال عليه السلام ان أدنى الرياء الشرك *
وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن
رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لكيلا يرى الناس انه صائم * واذا
أعطى يمينه فليخف عن شماله * واذا صلى فايرخ ستر بابه فان
الله تعالى يقسم الشاء كما يقسم الرزق * ولهذا قال عمر رضي الله
عنه لرجل طأطأ رقبته يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس
الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب * وقال نبينا صلى
الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء
﴿ يا مرائي يا غاوي يا فاجر يا خاسر ﴾ اذهب فخذ اجرک ممن
عملت له فلا اجرک عندنا * وقال قتادة رحمة الله عليه اذا

رأى العبد يقول الله تعالى انظروا كيف يستهزئ بي *
وقال الحسن رحمة الله عليه صحبت اقواما ان كان احدهم
لتمعرض له الحكمة لو نطق بها نعمته ونفقت اصحابه وما
يمنعه منها الا الشهرة *

﴿ فصل ﴾

حقيقة الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات واعمال
الخير وما يرايا به ستة اصناف ﴿ الاول ﴾ الرياء من جهة البدن
وهو اظهار الذحول والصفار ليظن به السرور والصيام * واظهار
الحزن ليظن به انه شديد الاهتمام بامر الدين واظهار شماتة
الشمر ليظن به انه لشدة استغراقه بالدين ليس يتفرغ لنفسه
واظهار ذُبُولٍ ^(١) الشفتين ليستدل به على صومه * وخفض
الصوت ليستدل به على ضعفه من شدة المجاهدة ﴿ الثاني ﴾ الرياء
بالهيئة كحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدو في
الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه * وتغميض العينين ليظن به
انه في الوجد والمكاشفة او غائص في الفكر ﴿ الثالث ﴾ الرياء

(١) ذبل الشيء ذبولا ذهب ندوته والذبلاء * اليباسة الشفة

في الثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصيره الى قريب
من الساق وتقصير الكمين وترك الثوب مخرقا ووسخا ليظن
انه مستغرق الوقت عن الفراغ له * ولبس المرقعة والسجادة
ليظن انه من الصوفية مع افلاسه عن حقايق التصوف *
ولبس الدراعة والطيلسان^(١) وتوسيع الاكمام ليظن انه عالم
والتفتع فوق العمامة بازار * ولبس الجوارب ليظن انه متكشف^(٢)
لشدة ورعه من غبار الطريق * ثم منهم من يطلب المنزلة
في قلوب اهل الصلاح فيلازم الثوب الخلق ولولبس
ثوبا جديد السكان عنده كالذبح اذ يخاف ان يقول الناس
قد بداله من الزهد * ومنهم من يطلب المنزلة من السلاطين
والتجار * ولو لبس خلقان الثياب لآزدرروه * ولو لبس فاخر
الثياب لم يعتقدوا زهده * فيطلب المرقعة المصبوغة والقوطة
الريقة والاصواف الريقة فيكون ثيابهم في القيمة والنفاسة

(١) الدراعة القميص والطيلسان فارسي معرب لباس العجم

(٢) الكشف محرقة قدر الجلد ورنانة الهية وسوء الحال والمكشف

من لايبالي بما تلتطخ بجسده انتهى مصححه محي الدين صبري

كشياب الأغنياء في اللون والهيئة كشياب الصالحاء ولو كلفوا
 ان يلبسوا الخلق لكان عندهم كالدبج خيفة عن السقوط
 عن اعين الاغنياء * ولو كلفوا لبس الخزو القصي والديقي
 وما يباح لبسه قيمته دون قيمة ثيابهم لاشتد عليهم خوفا عن
 سقوط منزلتهم عن القلوب الصالحاء * اذ يقولون بداله من
 الزهد ﴿ الرابع ﴾ الرياء بالقول كرياء اهل الوعظ والتذكير
 وتحسين الالفاظ وتسجيعها والنطق بالحكمة والاخبار وكلام
 السلف مع ترفيق الصوت واظهار الحزن مع الخلو عن
 حقيقه الصدق والاخلاص في الباطن بل ليظن به ذلك
 وكادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والمبادرة الى الحديث
 انه صحيح أو سقيم ليظن به غزارة العلم وكتحريك الشفتين
 بالذكر والامر بالمعروف بمشهد الناس مع خلوة القلب عن
 التفجع بالمعصية وكاظهار الغضب عن المنكرات والاسف
 عن المعاصي مع خلوة القلب عن التألم به ﴿ الخامس ﴾ الرياء
 بالعمل كتطويل القيام وتحسين الركوع والسجود واطراق
 الرأس وقلة الالتفات والتصديق والصوم والحج والاختبات

في المشي مع ارخاء الجفون مع ان الله تعالى عالم ان باطنه
 لو كان خاليا لما فعل شيئا من ذلك بل تساهل في الصلوة
 وتسرع في المشي * وقد يفعل ذلك في المشي فاذا شعر
 باطلاع غيره عليه عاد الى السكينة كي يظن به الخشوع
 ﴿السادس﴾ الرياء بكثرة التلامذة والاصحاب وكثرة
 ذكر الشيوخ ليظن انه لقي شيوخا كثيرة وكن يجب
 ان يزوره العلماء والسلاطين ليقال انه ممن يتبرك به
 فهذه مجامع مايراثي به في الدين وكل ذلك حرام بل هو من
 الكبار * واما طلب المنزلة في قلوب الناس بافعال ليست من
 العبادات وأعمال الدين فليست بحرام مالم يكن فيه تلبس كما
 ذكرناه في طلب الجاه * فاهل الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة
 المال والعلمان وحسن الثياب الفاخرة وحفظ الاشعار وعلم
 الطب والحساب والنحو واللغة وغير ذلك من الاعمال والاحوال
 ولم يحرم ذلك مالم ينته الى الايذاء بالتكبر والى اخلاق اخرى
 مذمومة وانما استقصينا اقسام الرياء لانه اغلب الاخلاق الذميمة
 على النفوس فمن لا يعرف الشر ومواقفه لا يمكنه ان يتقيه *

﴿ فصل ﴾

الرياء على درجات خبيثة ﴿ احداها ﴾ ان لا يكون بالامور الدينية
 والمبادات كالذي يلبس عند الخروج ثيابا حسنة خلاف ما يلبسه
 في الخلوة ^(١) وكالذي ينفق في الضيافات وعلى الاغنياء اموالا
 ليعتقد انه سخي لا ليعتقد انه ورع صالح * فذلك ليس بحرام
 فان تملك القلوب كتملك الاموال * نعم القليل منه صالح نافع
 والكثير منه يلهي عن ذكر الله كالكثير من المال ومهما
 انصرفت المهمة الى سعة الجاه فيجر ذلك الى الغفلة والمعاصي
 فيكون محذورا بذلك لانفسه * واما اظهار الشمايل التي
 ذكرناها ليعتقد الناس فيه الدين والورع حرام لسيتين
 ﴿ احدهما ﴾ انه تلبس اذا اراد ان يعتقد الناس انه مخلص
 مطيع لله محب وهو بهذه النية فاسق بمقوت عند الله * ولو
 سلم الرجل دراهم الى جماعة يخيل اليهم انه يجود عليهم بها وانما
 هي ديون لازمة عصى لتلبسه وان لم يطلب به ان يعتقد
 صلاحه لان ملك القلوب بالتلبس حرام ﴿ الثاني ﴾ انه اذا

(١) وفي النسخة العراقية منها ان يلبس في الملا غير ما يلبسه في الخلوة

قصد بعبادة الله خالق الله فهو مستهزء * ومن وقف بين يدي ملك في معرض الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك او جارية من جواريه فانظر ماذا يستحقه من النكال لاستهزائه بالملك فكأنه اذا قصد العباد بالعبادة فقد اعتقد ان عباد الله أقدر على تقعه وضره من الله تعالى اذ عظمة العباد في قلبه دعتة الى ان يتجمل عندهم بعبادة الله ولهذا سمي الرياء الشرك الا صغر ثم يزداد الاثم بزيادة فساد القصد والنية ومن المرائين من لا يطلب الا مجرد الجاه * ومنهم من يطلب ان يودع الودائع ويوقف عنده الاوقاف ومال الايتام ليختزل منها وذلك أخبث لا محالة * ومنهم من يراني يقصد اليه النساء والصبيان ليتمكن من الفجور أو ليكثر عنده المال ليصرفه الى الحمر والملاهي * وهذا هو الاعظم اذ جعل عبادة الله تعالى وسيلة الى مخالفته والعياذ بالله *

﴿ فصل ﴾

كما يعظم الرياء ويتغلظ اثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث عليه فيعظم أيضا بمابه المراياة وبقوة قصد الرياء * امامابه المراياة

فهي على ثلاثة درجات اغلظها ان يرأى بأصل الايمان كالمناقض
 يظهر انه مسلم وليس بمسلم بقلبه * وكالمأجد وممتقد الاباحة
 يظهر انه مستديم الايمان وقد انسل منه باطنه ﴿ الثانية ﴾
 الرياء بأصل العبادات كمن يصلي ويخرج الزكاة بين يدي
 الناس والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل ذلك
 ﴿ الثالثة ﴾ وهي ادناها ان لا يرأى بالفريضة ويرأى بالنوافل
 كالذي يكثر النافلة ويحسن هيئة الفريضة ويخرج الزكاة من
 أجود ماله او يتهجد او يصوم يوم عرفة وعاشوراء والله يعلم
 من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئاً من ذلك * وهذا أيضاً
 حرام وان كان لا ينتهي شدة العقوبة فيه الى حد الرياء
 بالاصول * وأما تغليظه بدرجات القصد فهو انه قد يتجرد
 قصد الرياء حتى يصلي مثلاً على غير طهارة لاجل الناس او
 يصوم ولو خلا بنفسه لأفطر وقد يضاف اليه قصد العبادة
 أيضاً وله ثلاثة أحوال ﴿ أحداها ﴾ ان تكون نية العبادة باعثة
 مستقلة لو خلا بنفسه ولكن زاده رؤية غيره ومشاهدته نشاطاً
 وخف عليه العمل بسببه فارجو ان لا يحيط ذلك القدر عمله

بل تصح عبادته ويثاب عليها ويعاقب على قصد الرياء او ينقص
من ثوابه ﴿ الثانية ﴾ ان يكون قصد العبادة ضعيفا بحيث لو
انفرد عن الناس ما استقل بالحمل على العبادة فهذا لا تصح
عبادته والقصد الضعيف لا ينفى عنه شدة المقت ﴿ الثالثة ﴾ ان
يتساويا القصدان بحيث لا يستقل كل واحد بالحمل لو انفرد
أولا ينبعث للفعل باحدهما بل بمجموعهما * فهذا قد اصلاح شيئا
وأفسد مثله فالغالب انه لا يسلم رأسا برأس * ويحتمل ان يقال
اذا تساوى القصدان * فاحدهما كفارة للآخر * وقوله تعالى
﴿ انا أغنى الاغنياء عن الشرك ﴾ يدل على انه لا يقبله ولا يثيبه
عليه * اما انه يعاقبه عليه ففيه نظر فالأغلب عندي والعلم عند
الله انه لا يخلو عن اثم وعقاب *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان بعض الرياء جلي * وبعضه اخفى من ديب النمل ﴿ أما
الجلي ﴾ فما يبعث على العمل حتى لو لاه لم يرغب في العمل واخفى
منه ان لا يستقل بالحمل عليه * ولكن يخفف العمل ويزيد في
نشاطه كالذي يتهدد كل ليلة واذا كان عنده ضيف زاد نشاطه

واخفى منه ان لا يزيد نشاطه ولكن لو اطلع غيره على تهجده
 قبل فراغه او بعده فرح به ووجد في نفسه هزة * وذلك يدل
 على ان الرياء كان مستكنا في باطن القلب استكنا النار تحت
 الرماد حتى ترشح منه السرور عند الاطلاع وقد كان غافلا عنه
 قبله واخفى منه ان لا يسر بالاطلاع لكن يتوقع ان يبدأ بالسلام
 ويوقر ويتعجب ممن يسيء اليه ولا يسامحه في المعاملة ولا يحترمه
 وذلك يدل على انه يمن على الناس بعمله فكانه يتوقع احترامهم
 وتوقيرهم بعبادته مع اخفائه عنهم * وأمثال هذه الخفايا لا يخلو
 عنها الا الصديقون * وجميع ذلك اثم ويخاف منه احباط العمل *
 نعم لا بأس ان يفرح باطلاع غيره عليه اذا كان فرحه بالله تعالى
 من حيث أظهر منه الجميل وستر منه القبيح مع انه قصد سترها
 جميعا فيفرح بلطف صنع الله تعالى وكذلك يفرح لانه يبشره
 بانه حيث أحسن صنعه به في الدنيا فكذلك يصنع به في
 الآخرة * او يفرح ليقتهدي به من يراه أو يطبع الله بحمده له
 عليه * وعلامة هذا ان يفرح أيضا اذا اطلع على غيره ممن
 يرتجى قدوته ومن اجل خفاء ابواب الرياء وشدة استيلائه

على الباطن احترز أولو الحزم فاخفوا عبادتهم وجاهدوا أنفسهم
وقد قال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل يقول للقراء يوم
القيامة ألم يكن يرخص عليكم في السعر . أولم تكونوا تبدؤن
بالسلام . ألم تكن تقضى لكم الحوايج لا اجر لكم فقد
استوفيتم اجوركم * فاجتهد ان أردت الخلاص ان يكون الناس
عندك كالبهايم والصبان فلا تفرق في عبادتك بين وجودهم
وعدمهم وعلمهم بها أو غفلتهم عنها * وتفنع بعلم الله تعالى وحده
وتطلب الاجر منه فانه لا يقبل الا الخالص كي لا تحرم عن
فائدته في أحوج أوقاتك اليه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول ما اقدر على انفكاك الرياء الخفي كما وصفته وان
قدرت على الرياء الجلي فهل تنعقد عبادتي مع ذلك ﴿ فاعلم ﴾
ان وارد الرياء لا يخلو اما ان يرد مع اول العمل او في دوامه
او بعد الفراغ منه اما ما يقارن الابتداء فيبطله ويمنع انعقاده
ان صار باعثا مؤثرا في العمل على العمل بل اول العقد يجب
ان يكون خالصا وانما يبطل بالرياء الباعث على اصل العمل

واما اذا لم يحمل الا على المبادرة في اول الوقت مثلا فأظن
 والعلم عند الله تعالى ان اصل الصلاة يصح وانما تفوته فضيلة
 المبادرة ويعصى بقصد المراياة به ولكن يسقط الفرض عنه
 واما ما يرد في دوام الصلاة ان يبطل باعث الصلاة فتبطل الصلاة
 مثاله ان يحضر في اثناء الصلاة أو طاره أو يتذكر نسيان شيء
 ولو خلا لقطع الصلاة لكنه اتم حياء من الناس * فهذا لا يسقط
 الفرض عنه لان النية قد انقطعت وانقطع باعث العبادة * واما
 اذا لم تنقطع نيته لكن صار مغلوبا مغمورا كما لو حضر قوم
 فغلب على قلبه الفرح باطلاعهم وانغمر باعث العبادة فغالب
 الظن انه ان انقضى ركن ولم يعاوده الباعث الاصيلي فسدت
 صلاته لانا نستصحب نية البداية بشرط ان لا يطرء ما لو قارن
 ابتداءها لمنع وان لم ينغمر باعث العبادة ولكن حصل مجرد
 سرور ولم يؤثر في العمل بل في تحسين الصلاة فقط فغالب
 الظن ان الصلاة لا تفسد ويتأدى الفرض * واما ما يطرء
 بعد الصلاة من ذكر وسرور ومراياة فلا ينهطف على ماضى
 ولكن يعصى به ويأتم ويكون عقابه بقدر قصده واظهاره

ومهما ظهرت له داعية ذكر العبادة اما بالتصريح واما بالتعريض
فذلك يدل على ان الرياء كان خفيا في باطنه *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت حقيقة الرياء وكثرة مداخلته فعليك بالتشمير في
معالجته * وعلاجه في دفع الاسباب الباعثة عليه (وهي ثلاث)
حب المدح وخوف الذم والطمع (أما حب المدح) كمن يهجم
على صف القتال ليقال انه شجاع * او يظهر العبادات ليقال انه
ورع * وعلاجه ما تقدم في علاج حب الجاه وهو ان تعلم انه
كمال وهمي لا حقيقة له * وعلاجه في الرياء خاصة ان يقرر
على نفسه ما فيه من الضرر فان العسل وان كان لذيذا فاذا
علم ان فيه سماً سهل تركه فليقرر على نفسه انه يقال له في يوم
فقره بسبب ريائه (يا فاجر يا غاوي) استهزأت بالله عز وجل
وراقبت العباد وتحييت اليهم^(١) واشتريت حمدهم بدم الله تعالى
وطلبت رضاهم بسخطه * أما كان احد اهون عليك من الله
تعالى فلو لم يكن الا هذا الخزي والخجلة لكان كافيا في المنع

(١) وفي النسخة العراقية وتحييت اليهم *

عنه كيف وقد انضم اليه العقوبة واجباط العبادة وانه ربما
 يترجح به كفة السيئات بعد ان قارنت كفة الحسنات
 فيكون سبب هلاكه وليقرر على نفسه ان رضى الناس غاية
 لا تدرك ومن طلب رضى الناس بسخط الله تعالى اسخطهم
 الله عليه فكيف يترك رضى الله بما لا يطمع في حصوله ﴿واما
 الباعث الثاني﴾ وهو الخوف من ذمهم فيقرر على نفسه ان ذمهم
 لن يضره ان كان محمودا عند الله عز وجل ولم يتعرض لذم الله
 ومقته خوفا من ذم الخلق * ويكفيه ان الناس لو علموا ما في
 باطنه من قصد الرياء لمقتوه وبأبي الله الا ان يكشف سره
 حتى يعرف نفاقه فيمقته الناس ايضا بعد ان يمقته الله عز وجل
 ولو اخلص واعرض بقلبه عنهم وجرّد نظره الى الله تعالى
 لكشف لهم اخلاصه له واحبوه ﴿واما باعث﴾ الطمع فيدفعه
 بان يعلم ان ذلك امر موهوم وفوات رضى الله تعالى ناجز
 ويعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب وان من طمع في الخلق
 لم يخل عن الذل والمهانة والمنة * ومن اعرض عن الطمع في الخلق
 كفاه الله تعالى وسخر له القلوب * فاذا أحضر في قلبه نعيم

الآخرة والدرجات الرفيعة وعلم ان ذلك يفوت بالرياء اعرض
 قلبه عن الخلق واجتمع همه وفاضت عليه انوار الاخلاص
 وأمدته الله سبحانه بمعونته وتوفيقه *

{ فصل }

لعلك تقول اني قررت هذا كله على نفسي * ونفر عن الرياء
 قلبي ولكن ربما هجم عليّ وارد الرياء بغتة في بعض العبادات
 عند اطلاع الخلق فما للعلاج عنه عندهجومه { فاعلم } ان اصل
 هذا العلاج ان تخفي عبادتك كما تخفي فواحشك ففيه
 السلامة * روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا
 واهلها فقال له اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بمد
 هذا * واخفاء العبادة انما يشق في البداية فاذا صار عادة ألف
 الطبع لذة المناجات في الخلوة * ومهما هجم وارد الرياء فملاجه
 ان يجدد على قلبك مارسخ فيه من قبل من المعرفة بالتعرض
 لمقت الله عز وجل مع عجز الناس عن منفعتك ومضرتك
 حتى تنبت منه كراهية لداعية الرياء * ثم الشهوة تدعو الى
 اجابة الرياء بتحسين العمل والفرح به * والكراهية تدعو الى

رده والاعراض عنه وتكون اليد للاقوى * فان قويت الكراهية حتى منعتك من الركون اليه واستصعبت حالتك التي كنت عليها فلم تزد ولم تنقص ولم تتكاف اظهار الفعل وايثاره فقد اندفع عنك الاثم ولم تكلف اكثر من ذلك * واما دفع الخواطر ودفع الطبع عن الميل الى اقوال الناس فلا يدخل تحت التكليف وانما منتهى التكليف الكراهية والاباء عن اجابة الداعية

﴿ فصل ﴾

يجوز اظهار الطاعات لاجل اقتداء الناس وترغيبهم اذا صححت النية ولم يكن معه شهوة خفية * وعلامته ان يقدر ان الناس لو اقتدوا باحد اقرانه وكفي مؤنة الترغيب واخبر بان أجره في الاسرار كاجره في الاظهار فلا يرغب في الاظهار * فان كان ميله الى ان يكون هو المقتدى به اكثر ففيه داعية الرياء لانه ان كان يطلب سعادة الناس وخلصهم فقد حصل ذلك بغيره ولم يفته الاظهار نفسه - وكذلك يجوز كتمان المعاصي والذنوب ولكن بشرط ان يكون غرضه ان لا يُعتقد فيه الورع بل لا يُعتقد فيه الفسق ولا بأس بفرحه باستتار معاصيه وحزنه

بانكشافها اما فرحا بستر الله عليه واما فرحا بموافقة امر الله
 تعالى فانه تعالى يحب كتمان المعاصي وينهى عن المجاهرة بها
 واما لانه يكره ان يذم فيتألم به اذ التألم بذم الناس ليس
 بحرام بل يوجبه الطبع * وانما الحرام الفرح بمدح الناس اياه
 بالعبادة فان ذلك كاجر يأخذه على العبادة * واما لانه يخاف
 ان يقصد بسوء اذا عرفت معصيته * واما لانه يستحي من
 ظهورها والحياء غير الرياء ولكن قد يمتزج به * واما ترك
 الطاعة خوفا من الرياء فلا وجه له * قال الفضيل الرياء ترك
 العمل خوفا من الرياء * اما العمل لاجل الناس فهو شرك بل
 ينبغي ان يعمل ويخلص الا اذا كان العمل في ما يتعلق بالخلق
 كالتقضاء والامامة والوعظ * فاذا علم من نفسه انه بعد الخوض
 فيه لا يملك نفسه بل يميل الى دواعي الهوى فيجب عليه
 الاعراض والمهرب كذلك فعل جماعة من السلف * واما
 الصلوة والصدقة فلا يتركها الا اذا لم تحضره أصلا في العبادة
 بل لو تجردت نية الرياء فلا يصح عمله فليتركه * اما من اعتاد فعله
 فحضر جماعة فيخاف على نفسه الرياء فلا ينبغي ان يتركه بل

ينبغي ان يستمر على عبادته ويجهد في دفع باء الرياء *
 ﴿ خاتمة في مجامع الاخلاق ومواقع الضرور فيها ﴾
 اعلم ان الاخلاق المذمومة كثيرة ولكن ترجع اصولها الى
 ما ذكرناه * ولا يكفيك تركية النفس عن بعضها حتى تنزك
 عن جميعها ولو تركت واحدا منها غالبا عليك فذلك يدعوك
 الى البقية لان بعض هذه يرتبط بالبعض ويتقاضى بعض
 الاخلاق الذميمة بعضا ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم
 والسلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الامراض بل انما تنال
 بالصحة المطلقة كما ان الحسن لا يحصل بحسن بعض الاعضاء
 ما لم يحسن جميع الاطراف والنجاة في حسن الخلق * قال النبي
 صلى الله عليه وسلم ﴿ أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن ﴾
 وقد قال النبي عليه السلام ﴿ بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ﴾
 وقيل له ما الدين قال عليه السلام ﴿ الخلق الحسن ﴾ وقال عليه
 السلام حسن الخلق خلق الله تعالى * وقال عليه السلام أفضل
 المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا * وقد كثرت الاقاويل في حقيقة
 وبيان حده * والا كثرون تعرضوا لبعض ثمراته ولم يحيطوا

بجميع تفصيله والذي يطلعك على حقيقته ان تسلم ان الخلق
 والخلق عبارتان فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق الصورة
 الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد يدرك بالبصر *
 ومن روح ونفس يدرك بالبصيرة لا بالبصر * ولكل واحد منهما
 هيئة إما قيخة وإما حسنة * والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا
 ولذلك اضاف الله عز وجل الى نفسه و اضاف البدن الى الطين
 فقال ﴿ اني خالق بشر من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من
 روحي ﴾ و وصف الروح بأنه أمر رباني فقال ﴿ قل الروح من
 أمر ربي ﴾ واعني بالروح والنفس ههنا معنى واحد وهو الجوهر
 العارف المدرك من الانسان بالهام الله تعالى كما قال ﴿ ونفس
 وما سواها فالهيا فجورها وتقواها نذ أفلح من زكّاهما وقد خاب
 من دساها ﴾ وكما ان للحسن الظاهر اركاناً كالعين والانف
 والشم واليد ولا يوصف الظاهر بالحسن مالم يحسن جميعها *
 فكذلك الصورة الباطنة لها أركان لا بد من حسن جميعها حتى
 يحسن الخلق وهي أربعة معان * قوة العلم وقوة الغضب وقوة
 الشهوة * وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث فاذا استوت

هذه الاركان الاربعة واعتدات وتناسقت حصل حسن الخلق
 ﴿أما قوة العلم﴾ فاعتدالها وحسنها أن تصير بحيث يدرك بها
 الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطن
 في الاعتقادات وبين الجميل والقيح في الاعمال * فاذا انحصرت
 هذه القوة كذلك حصلت منها ثمرة الحكمة وهي رأس
 الفضائل قال الله عز وجل ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
 خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب﴾ واما قوة الغضب
 فاعتدالها ان يحصل انقباضها وانبساطها على موجب اشارة
 الحكمة والشرع — وكذلك قوة الشهوة * وأما قوة العدل فهي
 في ضبط قوة الغضب * وقوة الشهوة تحت اشارة الدين
 والعقل فالعقل منزلة منزلة الناصح * وقوة العدل هي القدرة
 ومنزلتها منزلة المنفذ المضي لا اشارة العقل والغضب والشهوة
 وهما اللذان تنفذ بهما الاشارة وهما كالكلب والفرس للصيد *
 فان حسن بعض هذه دون بعض كان كما لو حسبن بعض
 أعضاء الوجه فلا يطلق اسم الحسن له الا اذا حسن الجميع واعتدل
 فاذا حسنت واعتدلت انشعب منه جميع الاخلاق * وأما قوة

الغضب فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة والله تعالى يحب الشجاعة
وان مالت الى طرف الزيادة سميت تهورا وان مالت الى النقصان
تسمى جينا ويتشعب من اعتدالها خلق الكرم والنجدة
والشهامه والحلم والثبات وكظم الفيظ والوقار والتؤدة^(١) وأما
افراطها فيحصل منه خلق التهور والصلف^(٢) والبذخ
والاستشاطه^(٣) والكبر والعجب * وأما تفریطها فيحصل منه
الجبين والمهانة والذلة والخساسة وعدم الغيرة وضعف الحمية على
الاهل وصغر النفس * وأما الشهوة فيعبر عن اعتدالها بالعفة
وعن افراطها بالشره وعن تفریطها وضعفها بالجمود فيصدر من
العفة السخاء والحياء والصبر والسماحة والقناعة والورع والمساعدة
والظرف وقلة الطمع * ويصدر عن افراطها الحرص والشره
والوقاحة والتبذير والتقتير^(٤) والرياء والهتكه والمجانة والملق
والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك

(١) والتؤدة بفتح الهمزة وسكونها الرزاة والتائي (٢) التكلم بما
يكرهه صاحبك والتمدح بما ليس عندك (٣) واستشاط عليه التهب غضباً
(٤) الوقاحة بالفتح قلة الحياء * وقتر من باب قتل أى ضيق على عياله

﴿وأما قوة العقل﴾ فيصدر من اعتدالها حسن التدبير وجودة
الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال
وخفايا آفات النفس * وأما افراطها فيحصل منه الجربرة والدهاء
والمكر والخداع * ويحصل من تفريطها وضعفها البلبه والحمق
والغمارة^(١) والبلادة والانشداد - فهذه هي روابط الاخلاق *
وانما معنى حسن الخلق في الجميع وسط بين الافراط والتفريط
تخير الامور أوساطها * وكلا طرفي قصد الامور ذميم ولذلك
قال عز وجل ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط﴾ وقال تعالى ﴿والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما﴾ وقال تعالى ﴿اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾
ومهما مال واحد من هذه الجملة الى الافراط والتفريط فبعد
لم يكمل حسن الخلق *

فصل

طريق اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة والرياضة * ومعنى
المجاهدة ان يكلف الصفة المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها

(١) الغمر الحقد وزنا ومعنى * ورجل غمر لم يجرب الامور

فتعمل بنقيض موجبها* فان غلب البخل فلا تزال تتكاف البذل
 بالمجهود وتداوم عليه مرة بعد اخرى حتى يسهل عليك البذل
 في محله فان غلب التبذير فلا تزال تتكاف الامسك حتى يصير
 عادة فيسهل عليك الامسك في محله* وكذلك في خلق الكبر
 وسائر الاخلاق* وقد ذكرناه في كتاب رياضة النفوس على
 التفصيل* وينبغي ان تعلم ان من يبذل تكلفا فليس بسخي*
 وان من يتواضع تكلفا فهو ثقيل على نفسه وهو عاطل عن خلق
 التواضع بل الخلق عبارة عن هيئة للنفس يصدر عنها الفعل
 بسهولة من غير روية وتكلف لكن التكلف هو طريق تحصيل
 الخلق فانه لا يزال يتكاف أولا حتى يصير ذلك طبعا وعادة
 فيفهم من هذا ان البخيل قد يبذل وان السخي قد يمسك* فلا
 تنظر الى الفعل بل الى الهيئة الراسخة التي تصدر منها الافعال
 يسر من غير تكلف ﴿ واعلم ﴾ ان تفاوت الناس في الحسن
 الباطن كتفاوتهم في الحسن الظاهر ولن يسلم الحسن المطلق
 الا على الندور* وانما سلم ذلك لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم حتى اثني الله سبحانه عليه فقال ﴿ وانك لملى خلق

عظيم) وليست النجاة موقوفة على الكمال البالغ لكن على ان يكون الميل الى الحسن أكثر * فان القبيح المطلق في الظاهر ممقوت * والحسن المطلق معشوق وما بينهما درجات فالقريب من الحسن المطلق اسعد في الدنيا من القريب الى القبيح المطلق * وكذلك يتفاوت سعادة الآخرة بحسب تفاوت حسن الصورة الباطنة *

﴿ فصل ﴾

اعلم انك قد تظن بنفسك حسن الخلق وانت عاطل عنه فاياك ان تغتر * وينبغي ان تحم في غيرك فتسئل عنه صديقا بصيرا لا يداهنك * وبالجملة اذا نسبك غيرك الى سوء الخلق او شك ان تكون كذلك لان اكثر الاخلاق يتعلق بالغير فينبغي ان تظهر لهم * ومن مواقع الغرور فيه مثلا ان تغضب فتظن انك تغضب لله تعالى * وتظهر العبادة وتظن انك تظهر للاقتداء او تكف عن الأكل او عن طلب الدنيا او تكظم الغيظ * وانما يهون عليك ذلك ان تعرف به فيكون الرياء الباعث على الجميع * وكذلك يكثر مواقع الغرور

فيه على ما ذكرناه في كتاب الغرور * فان هذا الكتاب
لا يحتمل استقصائه *

﴿ فصل ﴾

ينبغي ان تتفقد هذه الاخلاق من قلبك وتبدأ بالأمم
فالاهم فتقبل على أغلب هذه الصفات فتكسرُها على التدرج
وأظن ان الاغلب عليك حب الدنيا * وسائر المعاصي والاخلاق
المدمومة تتبعها * ولا يمكنك الخلاص من حب الدنيا الا بان
تطلب خلوة خالية وتفكر في سبب اقبالك على الدنيا واعراضك
عن الآخرة * فلا تجد له سبباً الا محض الجهل والغفلة * فان
أقصى عمرك في الدنيا مائة سنة * فهب ان مملكة وجه الارض
تسلم لك من المشرق الى المغرب في مائة سنة اليس يفوتك
بها المملكة في مدة لا آخر لها وهي مملكة الآخرة * فان كان
لا يدخل في خيالك طول الابد * فقدّر الدنيا كلها مملوءة ذرة
فقدّر طايرا يأخذ في كل الف سنة حبة واحدة فنفي
الذرة ولم ينقص من الابد شيء لان الباقي أيضاً لانهاية له
كما كان قبل ذلك * وانت ترى نفسك ترضى بتعب الاسفار إما

في تجارة او طلب رياسة * وهذا التعب الناجز لاجل شيء
 موهوم ربما يدركك الموت قبله وربما لا يصفو لك ان ظفرت
 به وانما ترضى بذلك لانك تستحقر التعب سنة مثلا بالاضافة
 الى بقية العمر * وجملة عمرك بالاضافة الى الابد اقل من سنة
 بالاضافة الى عمرك بل لا اضافة بينهما * فتفكر فيه لينكشف لك
 جهلك على القرب * ولملك تقول انما افضل ذلك على توقع
 العفو فان الله تعالى كريم رحيم * فاقول ولم لا تترك الجراثة
 والتجارة وطلب المال على توقع العثور على كنز في خراب فان
 الله كريم لا ينقص من ملكه شيء لو عرفك في منامك كنزا
 من الكنوز حتى تأخذه ﴿فان قلت﴾ ذلك نادر وان كان داخلا
 في قدرة الله تعالى ﴿فاعلم﴾ ان توقع العفو مع خراب الاعمال
 والاخلاق كتوقع كنز في خراب بل ابعد منه واندر * وقد
 نهيك الله تعالى عليه وقال ﴿وان ليس للانسان الا ما سعى﴾
 وقال الله تعالى ﴿ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 كالمفسدين في الارض﴾ الآية ورتبناك عن طلب المال فقال
 الله تعالى ﴿وما من دابة في الارض الا على الله رزقها﴾ فما

بالك تكذب بكرمه في الدنيا ولا تستكل عليه * ثم تخدع نفسك
بالكرم في الآخرة وأنت تعلم أن رب الدنيا والآخرة واحد

فصل

لعلك تقول عواقب أمور الدنيا قد انكشف لي بالعيان واطمأن
قلبي إليها * وأما أمر الآخرة فلم أشاهده ولست أجد تصديق
الحقيقي في قايي * فلذلك فترت رغبتى في ترك الدنيا قد بما هو
موجود نسية ولست أثق به ﴿فأقول﴾ لو كنت من أرباب
البصائر لانكشف لك أمر الآخرة صريحاً كما انكشف أمر
الدنيا * واذا لم تكن من أهله فتفكر من أقاويل أرباب البصائر
فإن الناس في أمر الآخرة أربعة أصناف ﴿صنف﴾ أثبتوا الجنة
والنار كما ورد به القرآن * وقد سمعت أنواع نعيمها وأنكال
جحيمها ﴿وصنف﴾ لم يثبتوا اللذات والآلام الحسية بل أثبتوها
على سبيل التخيل كما في المنام حتى يكون كل واحد في جنة
أو نار يراها وحده * وزعموا أن تأثير ذلك فيه كتأثير الحقيقة
لان تألم المنام كتألم اليقظان وإنما يخلص عنه بالتنبه * وذلك
في الآخرة دائم لا انقطاع له ﴿وصنف﴾ نالك أثبتوا الآلاما

عقلية ولذات عقلية * وزعموا أن ذلك أعظم من الحسية * ومثلوا
 ذلك باستشعار لذة الملك واستشعار زوالها * فان زوال الملك
 يؤثر آلاما كثيرة بدنية على ما يظفر به عدوه ويأخذ مملكته
 ويستسخره مع ان ظفر العدو لا يولم البدن * وهو لا هم أصناف
 النظر أعني الاصناف الثلاثة وهم الانبياء والاولياء والحكماء
 وكلهم اتفقوا على اثبات سعادة مؤبدة وشقاوة مؤبدة *
 فان السعادة لا تنال الا بترك الدنيا والاقبال على الله عز
 وجل * ولو مرضت ولم تكن من أهل البصيرة في طب
 ورأيت أفاضل الاطباء قد اتفقوا على شيء لم تتوقف في
 اتباعهم ﴿ و صنف رابع ﴾ ليسوا من النظر في الامور
 الالهية بل من الاطباء والمنجمين اقتصر نظرهم على الطبائع
 الاربع ومزاجها * ورأوا قوام الروح موقوفا عليها ولم يتفطنوا
 لحقيقة الروح الالهية الحقيقي الذي هو العارف بالله تعالى بل
 لم يدركوا الا الروح الجسماني الذي هو بخار أنضجته حرارة
 القلب ينتشر في العروق الضوارب الى جميع البدن فيقوم به
 الحس والحركة وهي الروح التي توجد للبهائم أيضا فاما الروح

الخاص الانساني) المنسوب الى الله سبحانه حيث قال ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فلم يتفطنوا لها فظنوا أن الموت عدم * وأنه يرجع الى فساد المزاج وأنت في حق هؤلاء بين أمرين * إما أن تجاوز غلطهم أو تعلم قطما صحة قولهم فان جوزت خطاءهم لزمك الاعراض عن الدنيا بمجرد الاحتمال فانك لو كنت صادق الجوع وظفرت بطعام وهممت بأكله فاخبرك صبي أن فيه سما وأن حية ولغت فيه قاسيت الجوع وتركت الاكل لانك تقول ان كان كاذبا فليس تفوتني الالذة الاكل * وان كان صادقا ففيه الهلاك * وبمثل هذا الاحتمال لا يمكن الهجوم عليه فليت شعري مع احتمال الخلود في النار كيف يستحجر^(١) العاقل المهجوم عليه فكيف لا يكون كاليقين التام في الحذر منه حتى تنبه الشاعر عليه مع ركاكة عقله فقال *

زعم المنجم والطبيب كلاهما * لا تحشر الاموات قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * ان صح قولني فالحسار عليكما
فان قلت اني أعلم ضرورة صدق هؤلاء فان الموت عدم وأنه

(١) وفي النسخة الدمشقية كيف تستحجر العاقل الخ

لا عقاب ولا ثواب فان الانبياء والاولياء مغرورون أو ملبسون
 وانما الذي انكشفت له حقيقة الحق هو هذا الطيب الجاهل
 وزعمت اني أعلم ذلك كما أعلم أن الاثنين أكثر من الواحد
 حتى لا يخالجني فيه ريب * فيدل هذا على فساد المزاج وركاكة
 العقل والبعد عن قبول العلاج * ولكن مع هذا يقال لك ان
 كنت تطلب الراحة في الدنيا فقد يتقاضاك عقلك أيضا
 بجاهدة الشهوات وكسرها * فان الراحة في الحرية والخلاص
 عن كسر الشهوات لا في اتباعها * فانها اذا سلطت على النفس
 فهي آلام ناجزة تحمل النفس على احتمال كل ذل ومشقة
 وما المستريح في الدنيا الا تاركها والزاهد فيها * وأما طالبها فلا
 يزال منها في عناء * فالعطل أيضا ان عقل قليلا ترك الدنيا
 لكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها * فان لم تكن في
 أمر الآخرة على تخمين ولا من مشاهدة آفات الدنيا على
 يقين فما أنت الا من الحق المغرورين ولتعلمن نبأ بعد
 حين ولذلك قال الله تعالى * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
 ويلههم الأمل فسوف يعلمون *

﴿ القسم الرابع في الاخلاق المحمودة وهي ايضا عشرة اصول ﴾

﴿ الاصل الاول ﴾

التوبة فانها مبدأ طريق السالكين ومفتاح سعادة المرئيين
 قال الله تعالى ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾
 وقال الله تعالى ﴿ وتوبوا الى الله جميعا ﴾ وقال النبي عليه
 السلام ﴿ التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب
 له ﴾ وقال عليه السلام لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل
 نزل في أرض فلات دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه
 وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته
 فانفلتت فطلبها حتى اشتد عليه الجوع والمعش أو ما شاء الله
 عز وجل قال ارجع الى مكان الذي كنت فيه فانام حتى
 أموت فوضع رأسه على ساعده لم يمت فاستيقظ فاذا راحلته
 عنده وعليها زاده وشرابه * فأنه أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن
 من هذا براحتة وزاده *

— فصل —

حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الى طريق القرب

ولكن لها ركن ومبدأ وكال ﴿أما مبدءها﴾ فهو الايمان
ومعناه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه أن
الذنوب سموم مهلكة فيشتعل منه نار الخوف والندم وينبعث
من هذه النار صدق الرغبة في التلافي والحذر * اما في الحال
فترك الذنوب * واما في الاستقبال فبالعزم على الترك * واما
في الماضي فبالتلافي على حسب الامكان وبذلك يحصل الكمال

❖ فصل ❖

اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة على كل
أحد وفي كل حال ولذلك قال الله تعالى ﴿وتوبوا الى الله
جميعا﴾ فخطاب الجميع مطلقا * أما وجوبها فلان معناها معرفة كون
الذنوب مهلكة والانبعث لتركها وهو جزء من الايمان أعني
هذه المعرفة فكيف لا تجب * وأما وجوبها على كل واحد فهو
أن الانسان مركب من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية
وربوية حتى يصدر من البهيمية الشهوة والشره والفجور * ومن
السبعية الغضب والحسد والعداوة والبغضاء * ومن الشيطانية
المكر والحيلة والخداع * ومن الربوية الكبر والعز وحب

المدح والاستيلاء * وأصول هذه الاخلاق هذه الاربعة * وقد
 عجنّت في طينة الانسان عجنا محكما لا يكاد يتخلص منها * وانما
 ينجو من ظلماتها بنور الايمان المستفاد من العقل والشرع
 فأول ما يخلق في الآدمي البهيمية فيغلب عليه الشره والشهوة
 في الصبا * ثم يخاق فيه السبعية فيغلب عليه المعادة والمنافسة * ثم
 يخاق فيه الشيطانية فيغلب عليه المكر والخداع اذ تدعوه
 السبعية والبهيمية الى ان يستعمل كيناسته في جيل قضاء الشهوة
 وتنفيذ الغضب * ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية وهو
 الكبر والاستيلاء وطلب العلو * ثم بعد ذلك يخاق العقل الذي
 يظهر فيه نور الايمان وهو من حزب الله وجنود الملائكة
 وتلك الصفات من جنود الشيطان * وجنود العقل يكمل عند
 الاربعة ويبدو أصله عند البلوغ * وأما سائر جنود الشيطان
 يكون قد سبق الى القلب قبل البلوغ واستولى عليه وألفته
 النفس واسترسلت في الشهوات متابعة لها الى أن يرد
 نور العقل فيقوم القتال والتطارد بينهما في معركة القلب *
 فان ضعف جند العقل ونور الايمان لم يقو على ازعاج

جنود الشيطان فتبني جنود الشيطان مستقرة آخرآ كما
سبق الى النزول أولا * وقد سلم للشيطان مملكة القلب
وهذا القتال ضروري في فطرة الآدمي إذ لا يتسع له خلقه
لولد لما لا يتسع له خلقه الاب * وإنما حكي لك حال آدم
صلوات الله عليه لتنبه به أن ذلك كان مكتوباً عليه وهو
مكتوب على جميع أولاده في القضاء الأزلي الذي لا يقبل
التبديل * فإذا لا يستغنى أحد عن التوبة *

فصل

وأما وجوبها في كل حال فلأن الانسان لا يخلو في جميع أحواله
عن ذنب في جوارحه أو في قلبه ولا يخلو عن خلق من
الأخلاق التميمية مما يجب تزكية القلب عنه فقلبه مبعده عن الله
والاشتغال بأماطته توبة لأنه رجوع عن طريق البعد الى
طريق التقرب فان خلا عن جميع ذلك فلا يخلو عن عقلة عن
الله وذلك أيضاً طريق البعد * ويلزمه الرجوع عنه بالله ذكر
ولذلك قال الله تعالى ﴿ واذكر ربك اذا نسيت ﴾ وان كان
حاضراً على السوام * وأنى يتصور ذلك فلا يخلو عن ملازمة

مقام نازل عن المقامات الرفيعة وراءه * وعليه أن يترقى منه الى
 ما فوقه ومهما ترقى منه استغفر عن مقامه الذي خلفه لانه تقصير
 بالاضافة الى ما أدركه وذلك لانهاية له * فلذلك قال عليه السلام
 وانه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم واللييلة
 سبعين مرة * وكل ذلك كان توبة منه الا أن توبة العوام عن
 الذنوب الظاهرة * وتوبة الصالحين عن الاخلاق الذميمة الباطنة
 وتوبة المتقين عن مواقع الريبة * وتوبة المحبين عن الغفلة المنسية
 للذكر * وتوبة العارفين عن الوقوف على مقام يتصور أن
 يكون وراءه مقام * والمقامات في القرب من الله لانهاية لها
 فتوبة العارف لانهاية لها أيضا *

﴿ فصل ﴾

التوبة اذا اجتمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة ولا يخفى عليك
 ذلك ان فهمت معنى القبول * فمعنى القبول أن يحصل في قلبك
 استعداد القبول لتجلي أنوار المعرفة في القلب * وانما قلبك كالمرآة
 يحجبه عن التجلي كدورات الشهوة والرغبة فيها ويرتفع من
 كل ذنب ظلمة اليه * ومن كل حسنة نور اليه * فالحسنات تصقل

النفس * ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ اتَّبِعِ السَّيْئَةَ
 الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ﴾ ونسبة التوبة الى القلب نسبة الصابون الى الثوب
 ولا بد أن يزول منه الوسخ اذا استعمل فيه على وجهه * ومن
 تاب فانما يشك في قبول التوبة لانه ليس يستيقن تمام شروطها
 كما ان من شرب المسهل لا يستيقن حصول الاسهال به لانه
 لا يدري وحوادث تمام الشرائط في أدويتها ولو تصور أن يعلم
 ذلك لتصور أن يعلم القبول في حق الشخص المعين * ولكن
 هذا الشك في الاعيان لا يشكنا في أن التوبة في نفسها
 بطريق القبول لأمالة *

﴿ فصل ﴾

علاج التوبة حل عقدة الاصرار فانه لا مانع منها سوى
 الاصرار * ولا حامل عليه سوى الغفلة والشهوة * وذلك مرض
 في القلب * وعلاجه كملاج أمراض البدن لكن هذا المرض
 أكثر من مرض الأبدان لثلاثة أسباب ﴿ أحدها ﴾ انه من
 مرض لا يعرف صاحبه انه مريض وهو كبرص على وجه
 من لا مرآة له فانه لا يعالجه لانه لا يعرفه ولو أخبره غيره

ربما لم يصدقه ﴿الثاني﴾ أن عاقبة هذا المرض لم يشاهدها الانسان ولم يجربها * فلذلك تراه يتكل على عفو الله ويجتهد في علاج مرض البدن غاية الجهد ﴿الثالث﴾ وهو الداء العضال فقد الاطباء * فان الطيب هو العالم العامل * وقد مرض العلماء في هذه الاعصار مرضا عسر عليهم علاج أنفسهم لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب ذلك على العلماء واضطروا الى الكف عن تحذير الخلق من الدنيا كيلا تنكشف فضيحتهم فافتضحوا لما اصطلحوا على الاقبال على الدنيا والتجاذب لها والتكالب عليها * فهذا السبب عم الداء وانقطع الدواء * واشتغل الاطباء بفنون الانغواء فليتهم اذا لم يصلحوا لم يفسدوا * وليتهم سكتوا وما نطقوا بل صار كل واحد كأنه صخرة في فم الوادي لاهي تشرب ولا تترك الماء ليشربه غيرها * وجملة القول في علاجه أن تنظر في سبب الاصرار وهو يرجع الى خمسة أبواب ﴿أولها﴾ أن العقاب الموعود ليس بنقد والطبع يستهين بما لا يوجد محققا

نعم ما قال بعض الشعراء فيما له مناسبة بهذا البحث

يامعشر القراء ياملح البلد * ما يصلح ائلاح اذا الملاح فسد

في الحال * وعلاجه أن يتفكر لتعلم أن كل ما هو آت قريب
 وأن البعيد ما ليس بآت * وأن الموت أقرب إلى كل أحد من
 شركه لعله فما يدريه لعله في آخر أيامه أو في آخر سنة من عمره
 ثم يتفكر أنه كيف يتعب في الاسفار فيركب الاخطار خوفا
 من الفقر في الاستقبال ﴿ الثاني ﴾ ان اللذات والشهوات
 أخذت بمخنته في الحال فليس يقدر على قلعها * وعلاجه ان
 يتفكر انه لو ذكر له طيب نصراني بان شرب الماء البارد
 يضره ويسوقه الى الموت وهو أذ الاشياء عنده كيف
 يتركه * فليعلم ان الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أصدق
 من الطيب النصراني * والخلود في النار أشد من الموت بالمرض
 وليقرر على نفسه انه اذا كان يشق عليه ترك اللذات أياما
 قلائل فكيف لا يشق عليه ملابسة النار والحرم من الفردوس
 ونعيمه أبد الدهر ﴿ الثالث ﴾ انه يسوف بالتوبة يوما ما
 وعلاجه ان يتفكر ويعلم ان بناء خطر السعادة والشقاوة على
 ما ليس اليه جهل فمن أين يعلم انه يبقى الى ان يتوب * وان
 أكثر صياح أهل النار من التسويف لانهم سوفوا حتى

فاجأهم مرض ساقهم الى الموت كيف وانما يسوف لانه يعجز
 عن قمع الشهوات في الحال فان كان ينتظر يوماً سهلاً فيه قمع
 الشهوات فهذا يوم لم يخلق أصلاً بل مثاله مثال امرئ يريد ان
 يقطع شجرة عجز عنها لضعفه وقوة رسوخ الشجرة فيوخر
 الى السنة القابلة وهو يعلم ان الشجرة تزداد كل يوم رسوخاً
 وقوته تزداد كل يوم قصورا ونقصانا وذلك غاية الجهل
 ﴿الرابع﴾ أن يعد نفسه بالكرم والعفو وذلك غاية الحمق
 اوردها الشيطان في معرض الدين * قال النبي صلى الله عليه
 وسلم ﴿الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من
 أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى﴾ ﴿الخامس﴾ ان يكون
 والعياذ بالله شاكا في أمر الآخرة * وقد ذكر ناعلاجه في
 خاتمة الاخلاق الذميمة *

﴿فصل﴾

التوبة من الذنوب كلها مهمة واجبة وعن الكبار ام
 والاصرار على الصغيرة أيضاً كبيرة فلا صغيرة مع اصرار
 ولا كبيرة مع رجوع واستغفار * وتواتر الصغائر عظيم التأثير

في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء على الحجر فانه يحدث
 فيه حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر * وتعظم الصغيرة
 باسباب ﴿ احدها ﴾ ان يستصغرها العبد ويستبين بها فلا
 ينعم بسببها * قال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت
 كل شيء عملته مثل هذا ﴿ الثاني ﴾ السرور بها والتبجح
 بسببها واعتقاد التمكّن منها نعمة حتى ان المذنب ليفتخر
 فيقول ما رأيتني كيف شتمته وكيف مزقت عرضه وكيف
 خدعته في المعاملة وذلك عظيم التأثير في تسويد القلب
 ﴿ الثالث ﴾ ان يتهاون بستر الله عليه ويظن ان ذلك لكرامة عند
 الله تعالى ولا يدري انه ممقوت * وقد أمهل ليزداد اثما فيكون
 في الدرك الاسفل من النار ﴿ الرابع ﴾ ان يجاهر بالذنب
 ويظهره او يذكره بعد فعله * وفي الخبر كل الناس معافي الا
 المجاهرون ﴿ الخامس ﴾ ان يصدر الصغيرة عن عالم يقتدى
 به فذلك عظيم لانه يبقى بعد موته * فطوبى لمن مات ومات
 معه ذنوبه * ومن سن سنة سيئة فمليه وزرها ووزر من عمل
 بها الى يوم القيمة * وروي ان بعض علماء بني اسرائيل تاب

عن ذنوبه وبدعته فأوحى الله الى نبي زمانه ان ذنبك لو كان
 فيما بيني وبينك لغفرت لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادى
 فادخلتهم النار* وعلى الجملة فلا باعث على التوبة الا الخوف الصادر
 عن البصيرة والمعرفة* فلنذكر فضيلة الخوف *

﴿ الاصل الثاني في الخوف ﴾

وقد جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان
 وناهيك بذلك فضلا فقال تعالى ﴿ هدى ورحمة للذين هم
 لربهم يرهبون ﴾ وقال ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقال
 الله تعالى ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾
 وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ رأس الحكمة مخافة الله ﴾ وقال عليه
 السلام ﴿ من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله
 تعالى خوفه الله من كل شيء ﴾ وقال عليه السلام قال الله تعالى
 وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين
 فاذا أمنتى في الدنيا أخفته يوم القيامة* واذا خافني في الدنيا
 أمنتى يوم القيامة *

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن حقيقة الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال * وقد يكون ذلك الخوف من جريان ذنوب * وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف لاحالة - وهذا أكل وأثم لأن من عرف الله خافه بالضرورة * ولذلك قال الله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ﴿ خفني كما تخاف السبع الضاري ﴾ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أنا أخوفكم لله تعالى ﴾ واعلم أن الواقع في مخالاب السبع انما لا يخافه اذا لم يعرف السبع * فان من علم أن من صفة السبع أنه يهلكه ولا يبالي فان تركه لم يكن لرقته عليه وشفقته فانه أحقر عنده من أن يشفق عليه فلا بد من أن يخاف والله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم * ولكن من عرف انه لو أهلك الاولين والآخرين لم يبالي ولم ينقص شي من ملكه ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً ﴾ وكم

أهلك من عباده في الدنيا * وعرضهم لأنواع العذاب ولم تأخذه رقة ولا شفقة فان ذلك محال عليه فلا بد وان يخاف * فمعرفة الجلال والعزة والاستغناء يورث الهيبة بالضرورة * وهذا أكمل أنواع الخوف وافضلها *

﴿ فصل ﴾

علاج الخوف وتحصيله على رتبين ﴿ احديهما ﴾ معرفة الله تعالى فانها توجب الخوف بالضرورة فان الواقع في مخالاب السبع لا يحتاج الى علاج ليخاف ان كان يعرف السبع * ومن عرف جلال الله تعالى واستغناه وانه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وانه تمت كلمه بالسعادة والشقاوة في حق كل احد صدقا وعدلا وان ذلك لا يتصور تغييره ولا يصرفه * عن تنفيذ قضائه الا زلي صارف وهو لا يدري ما الذي سبق به القضاء في حقه * ولا يدري ما الذي يحتم له به واحتمل عنده ان يكون مقضيا له بشقاوة الابد فهذا لا يتصور ان لا يخاف ﴿ واما من عجز عن حقيقة المعرفة ﴾ فعلاجه النظر الى الخائفين ومشاهدة احوالهم او سماع ذلك * فان اخوف

خلق الله الانبياء والاولياء والعلماء واهل البصيرة * وأعظم
الخلق أمنا العاقلون الاغبياء الذين لا يمتد نظرهم لا الى السابقة
ولا الى الخاتمة ولا الى معرفة جلال الله تعالى - وهذا كما ان
الصبي لا يخاف الحية ما لم ينظر الى ابيه يخافها ويهرب منها
ويرتعد فرائصه اذ اراها فينظر اليه فيقلده ويستشعر خوفه
وان لم يعرف بالحقيقة صفة الحية * وقد قال صلى الله عليه وسلم
ما جاءني جبرائيل عليه السلام قط الا وهو يرتعد فرائصه
فرقاً^(١) من النار * وقيل لما ظهر على ابلis ما ظهر طفق
جبرئيل وميكائيل يبكيان * فاوحى الله سبحانه اليهما مالكما
تبكيان * قالا يارب ما نأمن منك * فقال الله تعالى هكذا
كونا لا نأمننا مكري * ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون *
وقيل لما خلق الله تعالى النار طارت افئدة الملائكة عن
اماكنها فلما خلق بني آدم عادت وكان ازيز^(٢) قلب ابراهيم

(١) فرق فرقاً من باب تعب خاف (٢) أزت القدر تنز
وتؤز أزاً وأزيراً وأزراً بالفتح واثرت واثرت اشتد غليانها أو هو
غليان ليس بالشديد والنار أوقدها والازز حركة امتلاء المجلس

عليه السلام يسمع في الصلاة من مسيرة ميل * وبقي
 داود عليه السلام اربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه
 حتى نبت الرعي^(١) من دموعه * وقال ابو بكر الصديق رضي
 الله عنه لطائر ليتني مثلك ياطر ولم اخلق * وقال ابو ذر
 رضي الله عنه وددت لو اني شجرة تعضد^(٢) وقالت عائشة
 رضي الله عنها وددت لو اني نسيام نسيام * وقد حكينا احوال
 الخائفين في كتاب الخوف فليتأمل القاصر عن ذروة
 المعرفة احوال الانبياء والاولياء والعارفين * ليعلم انه احق
 بالخوف منهم * واذا تأمل ذلك بالحقيقة غلبه خوفه *

﴿ فصل ﴾

الخوف سوط يسوق العبد الى السعادة ولا ينبغي ان يقرط
 بحيث يورث القنوط فذلك مذموم^(٣) * بل اذا غلب ينبغي ان
 يمزج الرجاء به * نعم ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء مادام العبد
 مقارناً للذنوب ﴿ فاما المطيع ﴾ المتجرد لله تعالى فينبغي ان

(١) الرعي بالكسر الكلاً جمعه أرعاء (٢) أى تقطع وعضده قطعه
 (٣) يأنفس لا تقنطي من زلة عظمت * ان الكبائر في القرآن كاللهم

يمتدل خوفه ورجاؤه مثل عمر رضي الله عنه حيث قال لو
 نودي ليدخلن الجنة جميع الخلق الا رجل واحد لخفت ان
 اكون انا ذلك الرجل * ولو نودي ليدخلن النار جميع الخلق الا
 رجل واحد لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل * واما اذا قرب
 الموت فالرجاء وحسن الظن بربه اولى به * قال صلى الله عليه
 وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه ﴿ والرجاء ﴾
 يخالف التمني فان من لا يتعاهد الارض ولا يبث البذر ثم ينتظر
 الذرع فهو متمنى مغرور فليس براج * انما الراجي من تعهد
 الارض وسقاها * وبث البذر وحصل كل سبب يتعلق باختياره
 ثم بقي يرجو ان يدفع الله الصواعق والقواطع وان يمكنه
 من الحصاد بعد الانبات * ولذلك قال عز وجل ﴿ ان الذين امنوا
 والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة
 الله والله غفور رحيم ﴾ وبالجملة فثمره الرجاء الترغيب في
 الطلب * وثمره الخوف الترغيب في الهرب * ومن رجأ شيئاً
 طالبه ومن خاف شيئاً هرب منه * واقل درجات الخوف ما
 يحمل على ترك الذنوب وعلى الاعراض عن الدنيا * وما لا

يحمل على ذلك فهو حديث نفس وخواطر لا وزن لها تشبه
 رقة النساء ولا ثمرة لها * بل الخوف اذا تم أثمر الزهد في
 الدنيا * فلنذكر الزهد ومعناه *

﴿ الاصل الثالث في الزهد ﴾

قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجاً منهم
 زهرة الحياة الدنيا لفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى * وقال
 من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه * ومن كان
 يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب
 وقال الله تعالى في حق قارون * نخرج على قومه في زينته قال
 الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه
 لنوح حظ عظيم * وقال الذين اتوا العلم ويلكم ثواب الله خير
 لمن آمن وعمل صالحاً * فين ان الزهد من ثمرات العلم *
 وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه
 امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من
 الدنيا الا ما كتب له * ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه
 وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة

ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
 يشرح صدره للاسلام * ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
 حرجا وعن معنى الشرح قال عليه السلام * ان النور اذا دخل القلب
 انشرح الصدر وانفسح * قيل وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي
 عن دار النور والالابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
 نزوله * وقال عليه السلام استحيوا من الله حق الحياء * وقيل
 انا نستحي قال عليه السلام تبون مالا تسكنون وتجمعون مالا
 تأكلون * وقال عليه السلام من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة
 قلبه وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها
 سالما الى دار السلام * وقال عليه السلام لا يستكمل العبد حقيقة
 الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى
 يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته * وقال عليه السلام اذا
 اراد الله بعبده خيرا ازهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره
 بعيوب نفسه * وقال عليه السلام ازهدي في الدنيا يحبك الله تعالى
 وازهد في ما في ايدي الناس يحبك الناس * وقال عليه السلام من اراد
 ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا

❖ فصل ❖

للزهد في الدنيا حقيقة واصل وثمره ^(١) ﴿ اما حقيقته ﴾ فهو عزوف النفس ^(٢) عن الدنيا وانزواؤها ^(٣) عنها طوعاً مع القدرة عليها * وأصلها العلم والنور الذي يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر ويتضح به أن الآخرة خير وأبقى وإن نسبة الدنيا إلى الآخرة أقل من نسبة خزفة إلى جوهرة ﴿ وثمرتها ﴾ القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب * فالاصل نور المعرفة فيمحو حال الانزواء * ويظهر على الجوارح بالكف الاعن قدر الضرورة في زاد الطريق ﴿ والضروري ﴾ من زاد الطريق مسكن ومبلس ومطمم وأثاث ﴿ أما المظم ﴾ فله طول وعرض ﴿ أما طوله ﴾ فبالإضافة إلى الزمان ﴿ وأقصر درجاته ﴾ الاقتصار على دفع الجوع في الحال * فاذا دفعه غدوة لم يدخر شيئاً لعشائه

- (١) الزهد في اللغة ترك الميل إلى الشيء * وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو بغض الدنيا والاعراض عنها * وقيل هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة انتهى كتبه مصححه محي الدين الكردي
- (٢) عزفت نفسي عنه تعزف عزوفا زهدت فيه وانصرفت عنه
- (٣) والانزواء بالفارسي كوشه نشستن وازخلق فارغ بودن

﴿ وأوسطه ﴾ أن يدخر لشهر الى أربعين يوماً فقط ﴿ وأدناه ﴾
أن يدخر لسنة * فإن جاوز ذلك خرج عن جميع أبواب الزهد
الا أن لا يكون له كسب ولا يأخذ من الأيدي كداود الطائي
فانه ملك عشرين ديناراً فامسكها ووقع بها عشرين سنة *
فذلك لا يبطل مقام الزهد ودرجته في الآخرة الا عند من
يشرط التوكل في الزهد ﴿ وأما عرضه ﴾ فاقله نصف رطل
وأوسطه رطل وأعله مد * والزيادة عليه تبطل رتبة الزهد *
وأما الجنس فاقله ما يقوت ولو النخالة * وأوسطه خبز الشعير *
وأعله خبز البر غير منخول فان نمخل فهو تنعم لازهد * فاما
الادام فاقله النخل والبقل والملح * وأوسطه الادهان وأعله
اللحم * وذلك في الاسبوع مرة أو مرتين * فاذا دام لم يمكن
صاحبه زاهدا * قالت عائشة رضي الله عنها كان يأتي أربعون
ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح
ولا نار * وقيل ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ
قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر ﴿ وأما اللبس ﴾ فاقله
ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد * وأعله قميص

وسراويل ومنديل من الجنس الخشن * ويكون بحيث
لو غسل ثوبه لم يجد غيره * فان كان صاحب القميصين لم
يكن زاهدا * قال أبو ذر^(١) أخرجت عائشة رضى الله عنها
كساء ملبداً وإزاراً غليظاً * فقالت قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم في هذين * وصلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في خميصة^(٢) لها علم * فلما سلم قال شغني النظر الى
هذه اذهبوا بها الى ابي جهنم الحديث * وكان شرك نعله قد
اخلق فابدل بسير جديد^(٣) * فلما سلم عن صلوته * قال اعيدوا
الشرك الخلق فاني نظرت اليه في الصلاة * وكان عليه السلام
قد احتذى ثلثين جديدين فاعجبه حسنهما فخرسا جدا * فقال
عليه السلام اعجبي حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني
ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين رآه * وقد عد على قميص
عمر رضى الله عنه اثنا عشرة رقعة بعضها من آدم * واشترى
على رضوان الله عليه في خلافته ثوباً بثلاثة دراهم وقطع كفيه

(١) وفي النسخة الكردية قال أبو بردة الخ (٢) الخميصة هي
ثوب خز أو صوف معلم (٣) والسير بالفتح الذى يقدر من الجلد *

من الرّسغين * وقال الحمد لله الذي هذا من ريشه * وقال بعضهم
 قومت ثوب سفيان ونمله بدرهم وذاتين وقال علي رضوان
 الله عليه ان الله عز وجل أخذ على أئمة الهدى ان يكونوا في
 مثل ادنى احوال الناس ليقنّدى بهم الغنى ولا يزري بالفقير
 فقره ﴿ واما المسكن ﴾ فادناه ان تقنع بزواية في مسجد او
 رباط كاهل الصفة * واعلاه ان يطلب لنفسه موضعاً خاصاً
 وهي حجرة اما بشراء او اجارة بشرط ان لا يزيد سعته على
 قدر الحاجة ولا يرفع بناؤه ولا يهتم بتجسيصه * وفي الاثر ان
 من يرفع بناءه فوق ستة اذرع ناداه مناد الى أين يا أفسق
 الفاسقين * ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة
 على لينة ولا قصبه على قصبه * وقال عبد الله بن عمر رضي
 الله عنهما مرّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج
 خصاً^(١) فقال ان الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام
 بيتاً من خص * فقيل له لو شئت لاتخذته من الطين * فقال
 هذا كثير لمن يموت * وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق

(١) الحص بالضم البيت من القصب

ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة * وقال عليه السلام كل بناء
 وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حرّ وبرد (واما)
 اثاث البيت ففيه ايضا درجات * وادناها حال عيسى بن مريم
 عليه السلام اذ لم يكن معه الا مشط وكوز * فرأى انسانا
 يمشط باصابعه فرمى المشط * ورأى آخر يشرب بيده فرمى
 الكوز (واوسطه) ان يستعمل الجنس الحسن واحداً في
 كل غرض * ويجتهد ان يستعمل واحداً في اغراض * وقال عمر
 رضي الله عنه لعير بن سعيد وهو امير حمص مامعك من
 الدنيا * فقال معي عصاي ائوكاً عليها وأقتل بها حية ان لقيتها
 ومعني جرابي احمّل فيها طعامي * ومعني قصعتي آكل فيها وأغسل
 رأسي وثوبي * ومعني مطهرتي احمّل فيها شرابي ووضوئي * فما
 كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال صدقت * وقال
 الحسن ادركت سبعين من الاخير ما لاحد هم الا ثوبه وما
 وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا * وكان فراش رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها
 ليف وعباءة خشنة * فهذه سيرة الزهاد في الدنيا * فمن حرم هذه

الربة فلا اقل من ان يتحسر على فواتها ويجتهد ان يكون
قربه منهم اكثر من قربه من المتنعين في الدنيا *

— ❖ فصل ❖ —

الزهد على درجات ﴿ احداها ﴾ ان يزهد ونفسه مائلة الى
الدنيا ولكن يجاهدها * وهذا تزهد وليس بزاهد ولكن
بداية الزهد الزهد ﴿ الثانية ﴾ ان تنفر نفسه عن الدنيا ولا
تميل اليها لعلها بان الجمع بينها وبين نعيم الآخرة غير ممكن
فتسرح نفسه بتركها كما تسرح نفس من يبذل درهما ليشتري
جوهرة وان كان الدرهم محبوبا عنده وهذا زهد ﴿ الثالثة ﴾
ان لا تميل نفسه الى الدنيا ولا تنفر عنها بل يكون وجودها
وعدمها عنده بمثابة واحدة * ويكون المال عنده كالماء وخزانة
الله تعالى كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه وغبه ونفورا * وهذا هو
الاكمل لان الذي يبغض شيئا فهو مشغول به كالذي يحب
ولذلك ذم الدنيا عند رابعة العدوية * فقالت لولا قدرها في
قلوبكم ما ذمتموها * وحمل الى عايشة رضى الله عنها مائة الف
درهم فلم تنفر عنها ولكن فرقها في يومها * فقالت خادمها لو

اشتريت بدرهم لحمًا تفطرين عليه * فقالت لو ذكرتني لعملت
فهذا هو الغنى وهو اكل من الزهد * ولكنه مظنة غرور الحمقى
اذ كل مغرور يستشعر في نفسه ان لاعلاقة لقلبه مع الدنيا
وعلاوة ذلك ان لا يدرك الفرق بين ان يسرق جميع ماله او
يسرق مال غيره * فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به *

﴿ فصل ﴾

كالمال الزهد هو الزهد في الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منصباً
فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيئاً فقد عظم الدنيا اذ
الدنيا عند ذوي البصائر لاشي * وصاحبها كمن منعه عن دار
الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة خبز وشغله بها ودخل دار
الملك وجلس على سرير الملك فان الشيطان كلب على باب
الله تعالى * والدنيا كلها اقل من لقمة بالاضافة الى الملك
اذ اللقمة لها نسبة الى الملك اذ يفتني بامثالها والآخرة لا يتصور
ان تفتني بامثال الدنيا لانها لا نهاية لها *

﴿ فصل ﴾

الزهد باعتبار الباعث عليه على ثلاث درجات ﴿ احدىها ﴾ ان

يكون باعثة الخوف من النار وهذا زهد الخائفين ﴿ الثانية ﴾ وهي أعلى منه ان يكون باعثة الرغبة في نعيم الآخرة * وهذا زهد الراجين * والعبادة على الرجاء افضل منها على الخوف لان الرجاء يقتضي المحبة ﴿ الثالثة ﴾ وهي أعلاها ان يكون الباعث عليه الترفع عن الالتفات الى ماسوى الحق تنزيها للنفس عنه واستحقاراً لما سوى الله * وهذا زهد العارفين وهو الزهد المحقق وما قبله معاملة اذ ينزل صاحبها عن شيء عاجل ليعتاض عنه اضغاث آجال *

فصل

الزهد باعتبار ما فيه من الزهد على درجات ﴿ وكماله ﴾ الزهد في كل ماسوى الله تعالى في الدنيا والآخرة ﴿ ودونه ﴾ الزهد في الدنيا خاصة دون الآخرة ﴿ ثم يدخل ﴾ فيه كل ما فيه حظ وتمتع في الدنيا من مال وجاه وتمتع ودون ذلك ان يزهد في المال دون الجاه أو في بعض الاشياء دون البعض * وذلك ضعيف لان الجاه ألد وأشهى من المال فالزهد فيه اهم *

(٢٤٣)

﴿فصل﴾

الزهد ان تزوي عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها * أما ان
 انزوت الدنيا عنك وانت راغب فيها * فذلك فقر وليس بزهد
 ولكن للفقر ايضا فضل على الغنى لانه منع عن التمتع بالدنيا
 وهذا هو أفضل من مكن من الدنيا والتمتع بها حتى الفها واطمان
 اليها ولم يتجاف قلبه عنها فيعظم الالم والحسرة عند الموت
 وتكون الدنيا كأنها جنة الغنى * وتكون كأنها سجن الفقير اذ
 يشتهي الخلاص من آلامها والفقر من اسباب الساءة * قال
 النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحمي عبده عن الدنيا وهو
 يحبه كما يحمي احدكم مريضه عن الطعام والشراب * وقال عليه
 السلام يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنياءها بخمس مائة عام
 وقال عليه السلام خير هذه الامة فقراؤها * وقال عليه السلام
 اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين * واذا رأيت
 الغنى مقبلا فقل ذنب عقوبته * وقال موسى عليه السلام
 يارب من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك * فقال كل
 فقير ﴿واعلم﴾ ان الفقير ان كان قائما بما أعطي غير شديد الحرص

على الطلب فدرجته قريب من درجة الزاهد * قال صلى الله عليه
وسلم طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به
وقال صلى الله عليه وسلم الفقراء الصبراء هم جلساء الله تبارك
وتعالى * وقال عليه السلام أحب العباد إلى الله تعالى الفقير
القانع * وأوحى الله تعالى إلى اسماعيل صلوات الله عليه وسلامه
أطلني عند المنكسرة قلوبهم * قال ومن هم قال الفقراء
الصادقون * وعلى الجملة إنما يعظم ثواب الفقير عند القناعة والصبر
والرضى والصبر على الفقر مبدء الزهد * ولا تتم هذه المقامات
إلا بالصبر فلنذكره *

﴿ الاصل الرابع في الصبر ﴾

قال الله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين * وجمع للصابرين
بين امور لم يجمعها لغيرهم * فقال عز من قائل اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون * وقال تعالى
ولنجزي الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون *
وقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا * وقال
تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب * وذكر الله

سبحانه في القرآن الصبر في نيف وسبعين موضعاً * وقال
 صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان * وقال عليه السلام
 من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما
 لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار * وقال عليه السلام
 الصبر كنز من كنوز الجنة * وسئل النبي عليه السلام مرة عن
 الايمان فقال هو الصبر * وقال عيسى عليه السلام انكم لا تدركون
 ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون *

(فصل)

حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وهو
 من خاصية الادمي الذي هو كالركب من شعب ملكية
 وبهيمية لان البهيمية لم يسلط عليها الا دواعي الشهوة والملائكة
 لم يسلط عليهم الشهوة بل جردوا للشوق الى مطالعة جمال
 الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها فهم يسبحون
 الليل والنهار لا يفترون * فليس فيهم داعية الشهوة فلم يتصور
 الصبر لملك ولا بهيمة بل الانسان سُلط عليه جند ان يتطاردان
 (احدهما) من حزب الله وملائكته وهو العقل وبواعثه

﴿ والثاني ﴾ من جنود الشيطان وهي الشهوات ودواعيها بعد
 البلوغ يظهر بواعث الدين والعقل اذ يحمل على النظر الى
 العواقب وتبتدىء بقتال جند الشيطان فان ثبت باعث الدين
 في مقابلة باعث الهوى حتى غلبه فقد حصل مقام الصبر اذ
 لا يتصور الصبر الا عند تعارض الباعثين على التناقض وذلك
 كالصبر على شرب الدواء البشيع اذ يدعو اليه داعي العقل
 ويمنع منه داعي الشهوة * وكل من غلبته شهوته لم يعزم عليه
 ومن غلب عقله شهوته فصبر على مرارته لينال الشفاء * وشطر
 الايمان انما يتم بالصبر * ولذلك قال النبي عليه السلام الصبر
 نصف الايمان لان الايمان يطاق على المعارف والاعمال جميعاً
 وسائر الاعمال في طرفي الكف والاقدام والتزكية والتحلية
 لا يتم الا بالصبر لان جملة اعمال الايمان على خلاف باعث
 الشهوة فلا يتم الا بنبات باعث الدين في مقابله * ولذلك
 قال عليه السلام الصوم نصف الصبر لان الصبر تارة في
 مقابلة داعي الشهوة وتارة في مقابلة داعي الغضب * والصوم
 هو كسر لداعية الشهوة *

﴿ فصل ﴾

الصبر له ثلاث درجات بحسب ضعفه وقوته ﴿الدرجة العليا﴾
 ان تقمع داعية الهوى بالكلية حتى لا يبقى لها قوة للمنازعة
 ويتوصل اليها بدوام الصبر وطول المجاهدة وذلك من الذين
 قيل لهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وايام ينادي
 المنادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
 ﴿الدرجة السفلى﴾ ان تقوى داعية الهوى وتسقط المنازعة
 باعث الدين ويغلب الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان وذلك
 من الذين قيل فيهم ولكن حق القول مني لا ملان جهنم
 من الجنة والناس اجمعين * وعلامته شيان ﴿احدهما﴾ ان
 يقول انا اشتاق الى التوبة ولكن تعذرت علي فلست اطمع
 فيها فهذا هو القانط وهو الهالك ﴿الثاني﴾ ان لا يبقى فيه
 شوق الى التوبة ولكن يقول الله كريم رحيم وهو مستغنى عن
 توبتي فلا تضيق الجنة الواسعة والمغفرة الشاملة عني * وهذا
 المسكين قد صار عقله اسير شهوته ولا يستعمله الا في
 استنباط حيل قضاء الشهوة فصار عقله كالمسلم الا سير بين

الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمر وحملها
على العنق والظهر الى بيوتهم * فانظر كيف يكون حال العبد
اذا اخذ اعز اولاد الملك وسلمه الى اخص اعدائه حتى استرقه
واستسخره ففي مثل حاله يكون قدوم هذا الغافل المنهك
على الله تعالى نعوذ بالله منه ﴿ الدرجة الوسطى ﴾ ان لا يفتقر
على المحاربة ولكن يكون الحرب بينهما سجلا تارة له اليد
وتارة عليه اليد * وهذا من المجاهدين الذين خاطوا عملا صالحا
واخر سيئا الآية * وعلامة هذا ان يترك من الشهوات ما هو
اضعف ويعجز عما هو اغلب * وربما يقبلها في بعض الاوقات
دون بعض وهو في جميع الاحوال متحسر على عجزه ومستمر
المعاودة الى مجاهدته وقتاله * وذلك هو الجهاد الاكبر * ومما
اتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وبالجملة فقد قصر عن
البهيمة النسي لم يقاوم بقوة عقله شهوته وقد ايد بالعقل وحرم
عنه البهيمة * ولذلك قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا

﴿ فصل ﴾

اعلم ان الحاجة الى الصبر عامة في جميع الاحوال لان جميع

ما يلقي العبد في هذه الحيوة لا يخلو عن نوعين * فانه اما ان
 يوافق هواه او يخالفه * فان وافق هواه كالصحة والسلامة
 والثروة والجاه وكثرة العشيرة فما احوجه الى الصبر معها فانه
 ان لم يضبط نفسه طغي واسترسل في التمتع واتباع الهوى
 ونسي المبتدى والمتهى * ولذلك قالت الصحابة رضوان الله
 عليهم اجمعين بلينا بفتنة الضراء فصبرنا * وبلينا بفتنة السراء فلم
 نصبر * ولذلك قيل يصبر على البلاء كل مؤمن ولا يصبر على
 العافية الا صديق * ومعنى الصبر فيها ان لا يركن اليها ويعلم ان
 كل ذلك وديعة عنده ويسترجع على القرب وان لا ينهمك
 في الغفلة والتمتع ويؤدي حق شكر النعمة * وذلك مما يطول
 شرحه ﴿ النوع الثاني ﴾ ما يخالف الهوى وذلك اربعة اقسام
 ﴿ القسم الاول الطاعات ﴾ والنفس تنفر عن بعضها بمجرد
 الكسل كالصلاة * وعن بعضها بالبخل كالزكاة * وعن بعضها
 بهما جميعا كالحج والجهاد والصبر على الطاعة من الشدايد
 ويحتاج المطيع الى الصبر في ثلاثة احوال ﴿ احديها ﴾ اول
 العبادة بتصحيح الاخلاص والصبر عن شوايب الريا ومكاييد

الشيطان ومكاييد النفس وغرورها (الثانية) حالة العمل كيلا
 يتكاسل عن تحقيق أداؤه بفروضه وسننه * ويوقع على
 شرط الادب مع حضور القلب ونفي الوسواس (الثالثة) *
 بعد الفراغ وهو ان يصبر عن ذكره وافشائه للتظاهر به
 رياء وسمعة * وكل ذلك من الصبر الشديد على النفس
 (القسم الثاني المعاصي) وقد قال صلى الله عليه وسلم (المجاهد
 من جاهد هواه والمهاجر من هجر السوء) والصبر عن
 المعاصي اشد لاسيما عن معصية صارت عادة مأوفة اذ
 يتظاهر فيه على بواعث الدين جندان (جند الهوى وجند
 العادة) فان انضم الى ذلك سهولة فعله وخفة المؤنة فيه لم يصبر
 عنها الا الصديق * وذلك كما صي اللسان فانها هيئة سهلة * وذلك
 كالغيبية والكذب والمراء والثناء على النفس ويحتاج في دفع
 ذلك الى اشد انواع الصبر (القسم الثالث) * مما لا يرتبط باختيار
 العبد ولكن له اختيار في دفعه وتداركه كالاذى الذي يناله
 من غيره بيد او لسان * فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة
 يجب وتارة يستحب * قال بعض الصحابة ما كنا نمد ايمان

الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى * قال الله عز وجل ولنصبرن
على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون * وقال الله تعالى ودع
اذا هم وتوكل على الله * وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴿ القسم
الرابع ﴾ سالا يدخل اوله و آخره تحت الاختيار كالمصاب
بموت الاعزة وهلاك الاموال والمرض وذهاب بعض
الاعضاء وسائر انواع البلاء والصبر عليه من اعلى المقامات
قال ابن عباس رضى الله عنه الصبر في القرآن على ثلاث
مقامات * صبر على اداء الفرائض وله ثمانية درجة * وصبر على
محارم الله تعالى وله تسماية درجة * وصبر على المصيبة عند الصدمة
الاولى وله تسماية درجة * وقال صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشتك الى عواده ^(١)
ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه * فان ابرأته ابدلته
ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي * وقال النبي عليه السلام قال
الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة في بدنه او

(١) وفي النسخة الكردية ولم يشكني

في ماله او ولده ثم استقبل بذلك بصبر جميل استحيت منه
يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا * وقال عليه
السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة * وقال عليه السلام من اجلال
الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك * ولا تذكر مصيبتك
فقد عرفت انك لا تستغنى عن الصبر في جميع اوقاتك وبه
يظهر انه شطر الايمان * وشطره الآخر فيما يتعلق بالاعمال
وهو الشكر * فقد قال صلى الله عليه وسلم الايمان ﴿ نصفان
نصف صبر ونصف شكر ﴾ وهذا باعتبار النظر الى الاعمال
والتعبير بالايمان عنها

﴿ الاصل الخامس الشكر ﴾

وقد قال الله تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ وقال لئن
شكرتم لازيدنكم * وقال واشكر والي ولا تكفرون * وقال
وسيجزى الله الشاكرين * وقال ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وآمنتم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم للطعام الشاكر
منزلة الصائم الصابر عند الله * وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبكي في تهجده فقالت عايشة رضى الله عنها

وما يبكيك * وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
 فقال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا * وقال ينادى يوم
 القيمة ليقم الحامدون * فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون
 الجنة * فقيل ومن الحامدون * قال الذين يشكرون الله على
 كل حال * وقال الحمد رداء الرحمن *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان الشكر من المقامات العالية وهو أعلى من الصبر والخوف
 والزهد وجميع المقامات التي سبق ذكرها لانها ليست مقصودة
 في انفسها * وانما تراد غيرها * فالصبر يراد منه قهر الهوى والخوف
 سوط يسوق الخائف الى المقامات المقصودة المحمودة * والزهد
 هرب من العلائق الشاغلة عن الله تعالى * واما الشكر فمقصود
 في نفسه ولذلك لا ينقطع في الجنة وليس فيها توبة ولا خوف
 ولا صبر ولا زهد * والشكر دايم في الجنة — ولذلك قال الله
 تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين * وتعرف ذلك بان
 تعرف حقيقة الشكر وانه ينتظم من علم وحال وعمل * اما العلم
 فالعلم بالنعمة والمنعم بان النعم كلها من الله تعالى وهو المنفرد

بجميعها * والوسائط كلهم مستخرون مقهورون * وهذه المعرفة
 وراء التقديس والتوحيد فانها داخلان فيه بل الرتبة الاولى
 في معارف الايمان التقديس * ثم اذا عرفت ذاتا مقدسة وعرفت
 انه لا مقدس الا واحد فهو التوحيد * ثم اذا علمت ان كل ما في
 العالم فهو موجود من ذلك الواحد والكل نعمة منه خاصة
 فهو الحمد * والى هذا الترتيب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
 من قال ﴿ سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله
 فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة ﴾ وهذا
 لان التقديس والتوحيد داخلان في الحمد وزيادة * وهذه
 الدرجات بازاء هذه المعارف * واما حركة اللسان ففضلها بحسب
 صدورها عن المعرفة او تجديدها للاعتقاد في القلب * فان النعم
 آلة لازالة الغفلة لينمحي اثرها ﴿ واعلم ﴾ انك اذا اعتقدت ان
 لغير الله دخلا في النعمة الواصلة اليك لم يصح حمدك ولم تتم
 معرفتك وشكرك * وكنت كمن يخلع عليه الملك وهو يرى
 ان لعناية الوزير دخلا في خلعة الملك او في ايصالها اليه او في
 تسييرها * وكل ذلك اشترك في النعمة ويتوزع فرحك في

النعمة عليها * نعم لو رأيت الخلعة الواصلة اليك بتوقيع الملك
 بقلمه فذلك لا يقصر من شكرك لانك تعلم ان القلم مسخر
 له لا دخل له في النعمة بنفسه * ولذلك لا يلتفت قلبك الى الفرح
 بالقلم والشكر له * ولذلك قد لا يلتفت الى الخازن والوكيل اذ
 يعلم انهما مضطرا ان الي العطاء بعد الامر مسخران لا مدخل
 لهما بانفسهما في النعمة * فكذلك من انفتحت بصيرته علم ان
 الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر الله تعالى كالقلم
 والكاغذ والحبر في التوقيع * وان قلوب الخلق خزائن الله تعالى
 ومفاتيحها بيد الله عز وجل فيفتحها بان يسلط عليها دواعي
 جازمة حتى يعتقد ان خيرها في البذل مثلا * وعند ذلك لا يستطيع
 ترك البذل فيكون مضطرا الى الاختيار لما سلط عليه من
 دواعي الاختيار فانه لا يعطيك احد شيئا الا لغرض نفسه
 ليستفيد به في الآجل ثوابا او في العاجل ثناء وذكر او غير
 ذلك * وما لم يعلم ان منفعته في منفعتك فلا يعطيك * فاذا ليس هو
 منما عليك اذ يسمى لنفسه * انما المنعم عليك من سخره وسلط
 هذه الدواعي عليه * وقرر في نفسه ان غرضه منوط بالاداء

والانعام * فان عرفت الامور كذلك كنت موحدا وتصور
منك الشكر بل هذه المعرفة هي عين الشكر * قال موسى عليه
السلام في مناجاته الهى خلقت آدم بيديك وفعلت وفعلت فكيف
شكرك * قال علم ان ذلك منى فكان معرفة ذلك شكرا *
﴿الركن الثانى﴾ الحال المستثمرة من المعرفة وهى الفرح
بالمنعم مع هيئة الخضوع والاجلال * ومن يرسل اليه
بعض الملوك فرسا فيتصور ان يفرح به من ثلاثة اوجه
﴿احدها﴾ من حيث انه يتتفع بالفرس او من حيث يستدل
به على عناية الملك بشأه وانه سينعم عليه بما هو اعظم منه
او من حيث ان الفرس يكون مركباله حتى يسافر الى
حضرة الملك ويخدمه * والاول ليس من الشكر فى شىء فانه
فرح بالنعمة لا بالمنعم ﴿والثانى﴾ داخل فى الشكر شيئا لكنه ضعيف
بالاضافة الى الثالث * فكمال الشكر ان يكون الفرح بما يفتح
الله تعالى من نعمه لا بالنعمة من حيث هى نعمة بل بها من
حيث انها وسيلة اليه اذ بنعمته تم الصالحات * وعلامة هذا ان
لا يفرح بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى بل ينعم بها ويفرح

بما زوى الله تعالى عنه من شغل الدنيا وفضولها * وهذا
 اكمل الشكر * فن لم يستطع فعله بالثاني ﴿ واما الاول ﴾
 ففرح بالنعمة لا بالمنعم وليس ذلك من الشكر في شيء ﴿ الركن
 الثالث ﴾ العمل وذلك بان يستعمل نعمه في محابه لا في
 معاصيه * وهذا لا يقوم به الا من يعرف حكمة الله تعالى
 في جميع خلقه وانه لماذا خلق كل شيء * وشرح ذلك
 يطول * وقد ذكرنا منه طرفا في الاحياء * وجملته ان تعلم
 مثلا ان عينه نعمة منه * فشكرها ان يستعملها في مطالعة
 كتاب الله وكتب العلم ومطالعة السموات والارض
 ليعتبر بها ويعظم خالقها وان يستر كل عورة يراها من المسلمين
 ويستعمل اذنه في سماع الذكر وما ينفعه في الآخرة ويعرض
 عن الاصغاء الى الهجو والفضول * ويستعمل اللسان في ذكر
 الله تعالى والحمد له في اظهار الشكر منه دون الشكوى * ومن
 سئل عن حاله فشكى فهو عاص لانه شكى ملك الملوك الى
 عبد ذليل لا يقدر على شيء فان شكر فهو مطيع * واما شكر
 القلب فاستعماله في الفكر والذكر والمعرفة واضمار الخير للخلق

وحسن النية * وكذلك في اليد والرجل وسائر الاعضاء
والاموال وغير ذلك مما لا ينحصر *

{ فصل }

اعلم انه انما يتمكن في كمال الشكر من شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه يرى في كل شيء حكمته وسره
ومحبوب الله فيه * ومن لم ينكشف له ذلك فعليه باتباع السنة
وحدود الشرع فتحتمها اسرار الشكر * وليعلم انه لو نظر الى غير
محرم مثلا فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس وكل نعمة لا يتم
النظر اليها الا بها فان الابصار انما يتم بالعين ونور الشمس
والشمس انما تتم بالسموات فكانه كفر انعم الله تعالى في
السموات والارض * وقس على هذا كل موصية فانها انما يتمكن
باسباب تستدعي وجود جميعها خلق السموات والارض * ولهذا
غور عميق اشرنا اليه في كتاب الشكر من كتاب الاحياء
ويكفيك ههنا مثال واحد وهو ان الله تعالى خلق الدراهم
والدنانير لتكون حاكمة في الاحوال كلها بقدرتها القيم ولولاها
لتعذرت المعاملات اذ لا يدري كيف يشتري الثياب بالزعران

والدواب بالاطعمة فانها لا مناسبة بينهما * وانما يشتركان
 في روح المالية * ومعيار مقدار ارواحهما هو النقدان فمن
 كنزهما كان كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت
 الاحكام * ومن اتخذ منها آنية كان كمن استعمل حاكما من
 حكام المسلمين في الحياكة والفلاحة التي يقدر عليها كل احد
 حتى يتعطل الحكم وذلك اشد من الحبس * ومن اربى فيهما
 وجعلهما مقصد تجارته بالمصارفة بين جيدهما ورديهما كان
 كمن شغل الحاكم عن الحكم فاتخذه سخرة لنفسه ليحطب
 له ويكنس له ويكتسب له القوت * وكل ذلك ظلم وتغيير
 لحكم الله عز وجل في خلقه وعباده ومعادات الله تعالى في
 محابه * ومن لا ينكشف له بنور البصيرة هذه الاسرار عرف
 على لسان الشرع صورته دون معناه * وقيل له ﴿الذين يكتزون
 الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب
 اليم﴾ الى قوله تعالى يكتزون * وقيل من شرب في اناء من
 ذهب او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم * وقيل الذين
 يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان

من المس الآيه * فالصالحون يقفون على الحدود ولا يعرفون
 أسرارها * والعارفون اذا اطلعوا على الاسرار بانفسهم
 وشاهدوا شواهد الشرع ازدادوا نوراً على نور * والعميان
 الجاهلون يحرمون الوقوف على الحدود والعثور على
 الاسرار جميعا فلاهم كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام *
 وهم الذين قال فيهم ولكن حق القول مني الآيه * وقال
 تعالى ﴿ أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾
 الآيه * وقال ﴿ ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة
 ضنكا ﴾ الى قوله ﴿ فسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ وآيات الله
 حكمته في خلقه * وقد أقيمت الى الخلق على لسان الانبياء
 صلوات الله عليهم كما فصلت في جملة الشريعة من أولها الى
 آخرها * وما من حد من حدود الشرع الا وفيه سر
 وخاصة وحكمة يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهلها *
 وشرح ذلك طويل فيطلب من كتاب الشكر * ولا يتصور
 تمام الشكر الا ممن قام لله تعالى وحده مخلصا لارغبة
 فيه لغيره * فلنذكر الاخلاص والصدق *

﴿ الاصل السادس الاخلاص والصدق ﴾

اعلم ان للاخلاص حقيقة وأصلا وكالا * فهذه ثلاثة أركان *
وأصله النية اذ فيها الاخلاص * وحقيقته نفي الشوب عن النية
وكاله الصدق ﴿ الركن الاول النية ﴾ وقد قال الله تعالى
﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾
ومعنى النية ارادة وجهه * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ انما
الاعمال بالنيات ﴾ الحديث وقال ان الملائكة ترفع صحيفة عمل
العبد فيقول الله تعالى ألقوها فانه لم يرد بها وجهي * واكتبوا
له كذا وكذا * فيقول الملائكة انه لم يعمل منها شيئا
فيقول الله عز وجل انه نواه انه نواه * وقال صلى الله عليه
وسلم الناس أربعة * رجل أتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه
في ماله * فيقول رجل لو أتاني الله ما أتاه لعملت كما يعمل فهما
في الاجر سواء * ورجل أتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو
يخبط بجمله في ماله * فيقول رجل لو أتاني الله تعالى ما أتاه
لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء * فقال عليه السلام من
غزى ولا ينوي الا عقلا فله مانوي * ويقال ان رجلا في

بنى اسرائيل مرّ بكشبان رمل في أيام حط * فقال في نفسه لو
 كان لي هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى
 الي نبيهم * قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وشكر حسن
 نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به * وقال
 عليه السلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
 فقيل ما بال المقتول * فقال أراد قتل صاحبه * وقال عليه السلام
 من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان
 ومن أدان ديناً وهو لا ينوي قضاؤه فهو سارق *

{ فصل }

حقيقة النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبثثة عن المعرفة
 وبيانه ان جميع أعمالك لا تصح الا بقدره و ارادة وعلم * والعلم
 يهيج الارادة * والارادة باعثة للقدرة * والقدرة خادمة الارادة
 بتحريك الاعضاء * مثاله انه خلق فيك شهوة الطعام الا انها
 قد تكون فيك راكدة كأنها نائمة * واذا وقع بصرك على طعام
 حصلت المعرفة بالطعام فانتفضت الشهوة للطعام فامتدت اليه
 اليد وانما امتدت اليد بالقوة التي فيها المطيعة لاشارة الشهوة

وانتهزت الشهوة بحصول المعرفة المستفادة من طليعة الحس
وكما خلق فيك شهوة الى الاشياء الحاضرة خلق فيك أيضا
ميل الى اللذات الآجلة ينتهض ذلك الميل بإشارة المعرفة
الحاصلة من العقل ﴿والقدرة﴾ أيضا تخدم هذا الميل بتحريك
الاعضاء * فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة والذي
ينزو قد يكون الباعث له ميل الى المال فذلك نيته * وقد يكون
الباعث ميل الى ثواب الآخرة فذلك نيته * فاذا النية عبارة
عن الارادة الباعثة * ومعنى اخلاصها تصفية الباعث عن الشوب

﴿ فضل ﴾

اذا حصل العمل بباعث النية فالنية والعمل بهما تمام العبادة
فالنية أحد جزئي العبادة لكنها خير الجزئين لان الاعمال
بالجوارح ليست مرادة الا لتأثيرها في القلب لميل الى الخير
وينفر عن الشر فيتفرغ للفكر والذكر الموصولين له الى
الانس والمعرفة اللذين هما سبب سعادته في الآخرة * فليس
المقصود من وضع الجبهة على الارض وضع الجبهة على الارض
بل خضوع القلب ولكن القلب يتأثر بأعمال الجوارح * وليس

المقصود من الزكاة ازالة الملك بل ازالة رذيلة البخل وهو قطع
علاقة القلب من المال * وليس المقصود من الضحية لحومها ولا
دماؤها ولكن استشعار القلب للتقوى بتعظيم شعائر الله تعالى
والنية عبارة عن نفس ميل القلب الى الخير فهو متمكن من حدقة
المقصود فهو خير من عمل الجوارح الذي انما يراد منه سرابة
أثره الى محل المقصود وهو القلب * ولذلك يورث جميع أعمال
القلب دون الجوارح فيه اثراما * وعمل الجارحة دون حضور
القلب هباء ولا اثرله * ومهما قصد معالجة المعدة بما يصل من
الادوية بالشرب اليها انفع لاحالة مما يطل به ظاهر المعدة
ليسرى اليها اثره * وكذلك اذا لم يسر اثر الطلاء الى المعدة كان
باطلا * وبهذا التحقيق يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم
﴿ نية المؤمن خير من عمله ﴾

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت فضل النية وانها تحل حدقة المقصود فيؤثر فيها
فاجتهد ان تستكثر من النية في جميع اعمالك حتى تنوي بعمل
واحد نيات كثيرة * ولو صدقت رغبتك هديت لطريقه

ويكفيك مثال واحد وهو ان الدخول في المسجد والقعود فيه عبادة * ويمكن ان تنوي فيه ثمانية امور ﴿اولها﴾ ان يعتقد انه بيت الله عز وجل وان داخله زائرا لله تعالى فتنوي ذلك * قال عليه السلام من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى * وحق على المزور اكرام زائره ﴿وثانيها﴾ نية المراقبة لقول الله تعالى وصابروا وربطوا * وقيل معناه انتظار الصلاة بعد الصلاة ﴿وثالثها﴾ الاعتكاف * ومعناه كف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات المعتادة فانه نوع صوم * قال صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد * ﴿ورابعها﴾ الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر للفكر في الآخرة وكيفية الاستعداد لها ﴿وخامسها﴾ التجرد للذكر وسماعه او اسماعه لقوله صلى الله عليه وسلم * من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى ﴿وسادسها﴾ ان يقصد افادة علم وتبنيه من يسئ الصلاة ونهيا عن منكر وامرا بمعروف حتى يتيسر بسببه خيرات ويكون شريكا فيها ﴿وسابعها﴾ ان تترك الذنوب حياء

من الله عز وجل بان يحسن نيته في نفسه وقوله وعمله حتى
 يستحي منه من رآه ان يقارف ذنبا ﴿وثامنها﴾ ان تستفيد أخا
 في الله فان ذلك غنية وذخيرة لدار الآخرة * والمسجد
 يمشش أهل الدين المحيين لله وفي الله * وقس على هذا ساير
 الاعمال فباجتماع هذه النيات تزكو الاعمال وتلتحق باعمال
 المقربين كما انه بتقيضها يلتحق باعمال الشياطين كمن يقصد
 من القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكه باعراض
 الناس ومجالسة اخذ ان اللهو واللعب وملاحظة من يجتاز به
 من النسوان والصبيان ومناظرة من ينازعه من الاقران
 على سبيل المباحات والمرايات باقتناص قلوب المستمعين لكلامه
 وما يجري مجراه * وكذلك لا ينبغي ان يغفل في المباحات عن
 حسن النية * ففي الخبر ان العبد يسئل يوم القيامة عن كل شيء
 حتى عن كحل عينيه وعن فئات الطين باصبعيه وعن لمسه
 ثوب اخيه ﴿ومثال النية﴾ في المباحات ان من يتطيب يوم الجمعة
 يمكنه ان يقصد التعم بلذته والتفاخر باظهار ثروته او التزويق
 للنساء واخذ ان الفساد * ويتصور ان ينوي اتباع السنة وتعميم

بيت الله تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع الاذى عن غيره
 بدفع الريح الكريهة وايصال الراحة اليهم بالريحة الطيبة
 وحسم باب النية اذا شمو منه رايحة كريهة * والى الفريقين
 الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من تطيب في الله جاء يوم
 القيامة وريحه أطيب من ريح المسك * ومن تطيب لغير الله
 جاء يوم القيامة وريحه أتق من الجيفة *

{ فصل }

اعلم ان النية لا تدخل تحت الاختيار فلا ينبغي ان تعترفققول
 بلسانك وقلبك نويت من القعود في المسجد كذا وكذا * وتظن
 انك قد نويت اذ عرفت من قبل ان النية هي الباعث المتحرك
 الذي لولاه لم يتصور وجود العمل * والنية المتكافئة كقول
 القائل نويت ان احب فلانا واعشقه واعظمه او نويت ان
 اعطش او اجوع او اشبع فان لكل هذه دواعي وصوراف
 وتحققها اسبابها اذلا يتصور حصولها دون اسبابها * وقول
 القائل نويتا قبل تحققها حديث نفس لانية * فمن وطئ لغلبة
 شهوة الوقاع من اين ينفعه قوله نويت الوطئ لحرارة الولد

وتكثير عدد من به المباهات بل لا تظفر بانبعث هذه النيات
من قلبك الا اذا قوى ايمانك وتمت معرفتك بمحاربة الحظوظ
الماجلة وعظم ثواب الآخرة حتى اذا غلب ذلك عليك انبعث
منك الرغبة ضرورة في كل ما هو وسيلة الى ثواب الآخرة
وان لم ينبعث فلانية لك * ولمثل هذا توقف السلف في جملة
من الخيرات حتى روي ان محمد بن سيرين لم يصل على جنازة
الحسن البصري * وقال ليس تحضرني النية * وقيل لطاوس ادع
لنا فقال حتى اجده نية * وقال بعضهم انا في طلب نية لقيادة
رجل منذ شهر فما صحت لي نية بعد * ومن عرف حقيقة النية
وعلم انها روح العمل فلا يتعب نفسه بعمل لارواح له ويحقق
ذلك ان المباح قد يصير افضل من العبادة اذا حضرت فيه نية
فمن له نية في الاكل والشرب ليقوى على العبادة وليس تنبعث
له نية الصوم في الحال فالاكل اولى له * ومن مله العبادة وعلم
انه لو نام لعاد نشاطه فالنوم افضل له * بل لو علم مثلا ان
الترفة بدعابة وحديث مزاح في ساعة يرد نشاطه فذلك افضل
له من الصلوة مع الملل * قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعمل

حتى تملاوا وقال ابو الدرداء اني لاستجيم نفسي بشيء من اللهو
 فيكون ذلك عوناً لي على الحق * وقال علي رضي الله عنه رَوَّحُوا
 النفوس فانها اذا اكرهت عيت * وهذه دقائق يستثقلها
 الظاهريون من الفقهاء كما يستثقل الطبيب الضعيف من الاطباء
 معالجة المحرور وباللحم * والحاذق منهم قدياً أمر به ليعود قوة المريض
 حتى يحتمل الدواء النافع بعده ﴿الركن الثاني﴾ في اخلاص النية
 وقد قال الله تعالى ﴿وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
 حنفاء﴾ وقال الله تعالى ﴿الا لله الدين الخالص﴾ وقال الا الذين
 تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله * وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ﴿الاخلاص سرٌّ من سرّي
 استودعته قلب من احببت من عبادي﴾ وقال عليه السلام ﴿ما من
 عبد يخلص العمل اربعين يوماً الا ظهرت يتابع الحكمة من
 قلبه على لسانه﴾ *

﴿فصل﴾

حقيقة الاخلاص مجرد الباعث الواحد ويزادُه الاشراك

وهو ان يشترك الباعثان وهو كل ما يتصور ان يمازجه غيره
 فان صفا من كل شوب منه يسمى خالصاً * وقد عرفت ان النية
 هي الباعث * فمن لا يعمل الا للرياء فهو مخلص * ومن لا يعمل
 الا لله فهو مخلص ولكن خصص الاسم باحد الجانبين بالعادة
 كالاتحاد فانه ميل ولكن خصص بالميل الى الباطل وزوال
 الاخلاص بشوائب الرياء قد ذكرناه ولكن قد يزول ايضا
 باغراض آخر فان الصائم قد يقصد مع العبادة ان ينتفع بالحمية
 الصالحة الحاصلة بالصوم * وقد يقصد المعتق ان يتخلص بالمعتق
 من مؤنة العبد وسوء خلقه * والحاج * يحج ليصح من اجبه بحركة
 السفر او يهرب من مشقة تعهد العيال او من اذى الاعداء
 او من التبرم ^(١) بالمقام مع الاهل * والمتعلم يتعلم العلم ليسهل عليه
 طلب المعاش او يكون محرر وسابغ العلم عن الظنم او يكتب مصحفا
 ليجود خطه او يحج ماشياً ليخفف مؤنة الكراء او يتوضأ
 ليتنظف او يتبرد او يقتسل لتطيب رائحته او يمتكف ليخفف
 عليه كراء المسكن او يصوم ليخفف عن نفسه تعب الطبخ

(١) التبرم من برم مثل ضجر ضجرا وزنا ومعنى ويتعدى بالهزمة

وشراء الطعام او يتصدق ليدفع عن نفسه ابرام السائل او
 يعود مريضاً ليعاد اذا مرض * فهذه الاغراض قد يتجرد
 وقد يشوب قصد العبادة شوباً خفياً * فاذا خطر شيء من
 هذه الاغراض في الفعل فقد ذهب الاخلاص وذلك عسير
 جداً * ولذلك قال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن
 ذلك عزيز * وقال ابو سليمان الداراني طوبى لمن صحته له خطوة
 واحدة لا يريد بها الا الله عز وجل * وكان معروف الكرخي
 يضرب نفسه * ويقول يا نفسي اخلصي تتخلصي *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان امتزاج هذه الشوائب على مراتب فانها قد تغلب
 وقد تكون مغمورة * وقد تكون مساوية لقصد العبادة ولا
 تمحو اصل الثواب في المباحات ومهما بقي شوب من ارادة
 الله عز وجل فله ثواب بقدر ذلك الشوب والباقي لا ثواب
 عليه * فاما اذا كان في العبادة أمر بان يخلصها لله تعالى فان كان
 الشوب غالباً بطلت العبادة وان كان مساوياً او مغلوباً بطل
 الاخلاص ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وحصول اصلها

على انتفاء الشوائب كلها فيه نظر اشرفنا اليه في الرياء* ويطلب
 استقصاؤه من كتاب الاحياء ﴿الركن الثالث الصدق﴾
 وهو كمال الاخلاص قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
 الله عليه الآية* وقال النبي عليه السلام ان الرجل ليصدق
 ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا* وقال الله تعالى
 واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا* ويكفي بفضيلة
 الصدق ان يدرك به فضيلة الصديقين ﴿واعلم﴾ ان للصدق مراتب
 ستا من بلغ في جميعها بلغ رتبة الكمال استحق اسم الصدق
 ﴿اولها الصدق في القول﴾ في جميع الاحوال ما يتعلق بالماضي
 والمستقبل والحال* ولهذا الصدق كما لان ﴿احدهما﴾ المحذور عن
 المعارض ايضا فانه وان كان صدقا في نفسه فيفهم خلاف
 الحق* والمحذور من الكذب تفهيم خلاف الحق اذ يكتسب
 القلب صورة معوجة كاذبة بازاء كذب اللسان* واذامال وجه
 القلب من الصحة الى الاعوجاج لم يتجلى الحق له على الصحة
 حتى لا يصدق رؤياه ايضا* والمعارض لا توقع في هذا المحذور
 لانه صدق في نفسه لكن توقع في المحذور ﴿الثاني﴾ وهو تجهيل

المعنى فلا ينبغي ان يفعل ذلك الا لغرض صحيح ﴿وكالمه الثاني﴾
 ان يرعى الصدق في أقواله مع الله تعالى فاذا قال ﴿وجهت
 وجهي﴾ وفي قلبه في تلك الحالة شيء سوى الله عز وجل فهو
 كاذب واذا قال ﴿اياك نعبد﴾ وهو مع ذلك عبد الدنيا او لنفسه
 او لغيره لم يمكنه تحقيق صدق هذه الكرامة في القيامة ولذلك
 قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا * وقال نبينا صلى الله عليه
 وسلم تعس عبد الدرهم والدينار ﴿الصدق الثاني﴾ في النية وهو
 ان يتمحض فيه داعية الخير فان كان فيه شوب فقد فات
 الصدق لله يقال هذا صادق المحوضة وصادق الخلاوة اذا كان
 محضا * فيرجع هذا الى نفس الاخلاص ﴿والصدق الثالث﴾
 في العزم فان العبد قد يزم على التصديق ان رزق مالا وعلى
 العدل ان رزق ولاية وعزمه تارة يكون مع ضعف وتردد
 وتارة يكون جزما قويا لا يتردد فيه * فالجزم القوي يسمى قويا
 صادقا كما وجدته عمر من نفسه رضى الله عنه حيث قال لان
 اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتأمر على قوم فيهم
 ابو بكر رضى الله عنه * ودرجات عزم الصديقين في القوة

قد تفاوتوا وأقصاها ان يتهي الى الرضا بضرب الرقبة دون
 الحقيقة ﴿والصدق الرابع﴾ الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو
 بالعزم اولا ولكن عند الوفاء ربما تتوانا عن كمال التحقيق
 لان المؤنة في العزم هين* وانما الشدة في التحقيق - ولذلك قال
 تعالى ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ وقال ومنهم من عاهد
 الله اثن آتانا من فضله لنصدقن الى قوله فاعتقبتهم نفاقا في قلوبهم
 الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعده وبما كانوا يكذبون
 ﴿الصدق الخامس﴾ في الاعمال بان يكون بحيث لا يدل على
 شئ من الباطن الا والباطن متصف به * ومعناه استواء السريرة
 والعلاية فالماشي على هدوء يدل بحكمه على انه ذو وقار في باطنه
 فان لم يكن كذلك في الباطن والتفت قلبه الى ان يخيل الى
 الناس انه ذو وقار في باطنه فذلك الرياء وان لم يلتفت الى
 الخلق قلبه ولكنه غافل فليس ذلك برباء ولكن يفوت به
 الصدق - ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ﴿اللهم اجعل سريري
 خيرا من علانيتي واجعل لي علانية صالحة﴾ وقال عبد الواحد
 كان الحسن البصري اذا امر بشئ كان من اعلم الناس به

واذا نهي عن شيء كان من اترك الناس له ولم ارقط احدآ
 أشبه سريره بعلايته منه ﴿الصدق السادس﴾ وهو أعلى ابوابه
 الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجاء والحب والرضاء
 والتوكل وغيرها فان لهذه المقامات اوابل ينطلق الاسم بها
 ولها حقايق وغايات اذ يقال هذا هو الخوف الصادق وهي
 الشهوة الصادقة - ولذلك قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا
 بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون * وقال
 تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك
 الذين صدقوا الآية * فهذه درجات الصدق فن تحقق في جميعها
 فهو صديق ومن لم يصب بعضها فربته بقدر صدقه ومن جملة
 الصدق تحقيق القلب بان الله هو الرزاق والتوكل عليه فلنذكره

﴿ الاصل السابع في التوكل ﴾

قال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون * وقال الله تعالى
 وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين * وقال ان الله يحب المتوكلين
 وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه * وقال اليس الله بكاف
 عبده * وقال ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لهم

رزقا فابتغوا عند الله الرزق * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو
انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تعذو
خماصا وتروح بطانا^(١) وقال من انقطع الى الله كفاه الله تعالى
كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب * ومن انقطع الى الدنيا
وكله الله اليها * وكان رسول الله اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا
الى الصلوة ويقول بهذا أمرني ربي فقال وامر أهلك بالصلوة
واصبر عليها لانسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى *

﴿ فصل ﴾

حقيقة التوكل عبارة عن حالة يصدر عن التوحيد * ويظهر اثرها
على الاعمال فهي ثلاثة اركان * المعرفة والحال والعمل ﴿ الركن
الاول المعرفة ﴾ وهي الاصل واعني بها التوحيد فانها انما يتوكل على
الله من لا يرى فاعلا سوى الله * وكما هذه المعرفة يترجمه قولك
﴿ لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير ﴾ اذ فيه ايمان بالتوحيد وكما القدرة والجود والحكمة التي
يستحق بها الحمد فن قال ذلك صادقا مخلصا فقد تم توحيدهم وثبت

[١] والبطنة الامتلاء الشديد من الطعام والحمية الجوع

في قلبه الاصل الذي منه ينبعث حال التوكل واعنى بالصدق فيه ان
يصير معنى القول وصفا لازما لذاته غالباً على قلبه لا يتسع لتقدير غيره

﴿ فصل ﴾

هذا التوحيد له لبان وقشران وطبافه اربع كاللوز له لب ثم
الدهن لب له * والقشرة العليا قشره ﴿ فالقشرة العليا ﴾ القول
باللسان المجرد ﴿ الثانية ﴾ الاعتقاد بالقلب جزماً وهو درجة عوام
الخلق ودرجة المتكلمين اذ لا يتميزون عن العوام الا بمعرفة
الحيلة في دفع تشويش المبتدعة عن هذه الاعتقادات ﴿ الثالثة ﴾
وهي اللب ان ينكشف بنور الله عز وجل حقيقة هذا التوحيد
وسره بالحقيقة * وذلك بان يرى الاشياء الكثيرة ويعلم انها
بمحملها صادرة عن فاعل واحد على الترتيب * وذلك بان يعرف
سلسلة الاسباب وكيفية تسلسلها وارتباط اول السلسلة بمسبب
الاسباب * وصاحب هذا المقام بعد في تفرقة لانه يرى
الافعال وكثرتها وارتباطها بالفاعل ﴿ الرابعة ﴾ وهو لب اللب ان
لا يرى في الوجود الا واحد او يعلم ان الوجود بالحقيقة
واحد وانما الكثرة فيه في حق من تفرق نظره كالذي يرى

من الانسان مثلاً رجله ثم يده ثم وجهه ثم رأسه فيقلب عليه
 كثرة فان رأى الانسان جملة واحدة لم يخطر بباله الآحاد
 بل كان كمدرك الشيء الواحد * فكذلك الواحد لا يفرق نظره
 بين السماء والارض وسائر الموجودات بل يرى الكل في
 حكم الشيء الواحد * وهذا له غور ويستدعي كشفه تطويلاً
 فاطلبه من كتاب التوحيد والشكر من كتب الاحياء لتقف
 على تلويحات منه * والفناء في التوحيد انما يقع في هذا التوحيد
 وذلك بان يصير مستغرقاً بالواحد الحق حتى لا يلتفت قلبه
 الى غيره ولا الى نفسه فان نفسه من حيث هي نفسه غير
 الله وان لم يتحقق له معنى الغيرية بنظر آخر واعتبار على وجه آخر

﴿ فصل ﴾

حقيقة التوكل انما يستدعي توحيد الفعل ولا يستدعي الفناء
 في توحيد الذات بل المتوكل يجوز ان يرى الكثرة والاسباب
 والمسببات ولكن ينبغي ان يشاهد ارتباط السلسلة بمسببها
 وما عندي ان ذلك يخفى عليك فيما يدخل فيه اختيار الادميين
 فانك ان رأيت المطر سبباً في النبات فتعلم ان المطر مسخر بواسطة

النعيم * والنعيم مسخر بواسطة الريح وانبجزة الجبال * وكذلك
 الجبال جمادات مسخرة الى ان ينتهي الى الاول لاحالة * وان
 كنت لا تعرف عدد الوسائط فلا يضرك ذلك وانما الذي
 يخفى عليك افعال الادميين فانك تقول من اطعمني طعاما
 فانما يطعمني باختياره ان شاء اعطى وان شاء منع فكيف
 لا اراه فاعلا * وانما مثلك في الالتفات اليه مثل النملة ترى سواد
 الخط على البياض يحصل من حركة القلم فتضيف ذلك الى
 القلم اذ حدقتها الصغيرة الضعيفة لا تمد الى الاصبع * ومنها الى
 اليد * ومنها الى القدرة المحركة لليد * ومنها الى الارادة التي القدرة
 مسخرة لها * ومنها الى المعرفة التي يتوقف انبعاث الارادة
 وانجزامها عليها * ومنها الى صاحب القدرة والعلم والارادة
 فكذلك انت تضيف افعال العباد الى ارادتهم ومعرفتهم وقدرتهم
 اذ ليس يمتد نظرك الى القلم الذي ينسطر المعرفة به في الواح
 القلوب * ومنه الى الاصابع التي ينتهي الى قلوب العباد * ومنها
 الى اليد التي بها خمرت طينة آدم * ومنها الى القدرة التي
 بها يتحرك اليد لتخمير الطينة * ومنها الى القادر الذي منه

يدوا واليه يعود * وذلك لانك لاتعرف معنى قول النبي صلى
 الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته * ولا معنى قوله
 تعالى خمرت طينة آدم بيدي * ولا معنى قوله تعالى علم بالقلم
 علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى * فانك لاتعلم قلما الا من
 قصب ولا يدا ولا اصابع الامن لحوم وعظام ولا صورة الالوان
 والاشكال * فان انكشف لك ذلك علمت انك اذارميت مارميت
 ولكن الله رمى * حيث سلاط عليك دواعي جازمة ومعرفة
 حاكمة على القطع بان نجاتك في الرمي مثلا حتى انبعثت القدرة
 التي انفرد بخلقها خادمة للارادة * والمعرفة خادمة بالتسخير
 والاضطرار علمت انك مضطر الى عين الاختيار فتفعل ان
 شئت ذلك وتشاء اذا شاء الله شئت ام ابيت * وهذا الان فيه
 سر محرّك قاعدة الجبر والاختيار ويوهم تناقض التوحيد
 وتكليف الشرع * وقد شرحتاه في كتاب التوحيد والتوكل
 والشكر من كتب الاحياء * فاطلبه منه ان كنت من اهله *

(فصل)

لا يكفي الايمان بتوحيد الفعل والذات في ائارة حالة التوكل

حتى ينضاف اليه الايمان بالرحمة والجلود والحكمة اذ به تحصل
 الثقة بالوكيل الحق وهو ان يمتقد جزما او ينكشف لك
 بالبصيرة ان الله تعالى لو خلق الخلايق كلهم على عقل أعقلهم
 بل على أكمل ما يتصور ان يكون عليه حال العقل * ثم زادهم
 اضعاف ذلك علما وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور واطلهم
 على اسرار الملائكوت ولطائف الحكمة ودقائق الخير والشر * ثم
 امرهم ان يدبروا الملك والملائكوت لما دبروه باحسن مما هو
 عليه ولم يمكنهم ان يزيدوا عليه او ينقصوا منه جناح بموضه
 ولم يستصوبوا البتة دفع مرض وعيب ونقص وفقير وضر
 وجهل وكفر ولا ان يغيروا قسمة الله تعالى من رزق واجل
 وقدرة وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلا
 محض لا جور فيه * وحقا صرفا لا تقص فيه * واستقامة تامة
 لا قصور فيها ولا تفاوت بل كل ما يرون نقصا فيرتبط به كمال
 آخر أعظم منه وما ظنوه ضررا فتحت نفع اعظم منه لا يتوصل
 الى ذلك النفع الا به * وعلما قطعا ان الله تعالى حكيم جواد
 رحيم لم يخل على الخلق اصلا ولم يدخر في اصلاحهم امرا

وهذا الآن بحر آخر في المعرفة يحرك امواجه سرّ القدر
الذي منع من ذكره المكاشفون * وتخير فيه الاكثرون ولا
يعقله الا العالمون * ولا يدرك تأويله الا الراسخون * وان حظ
العوام ان يعتقدوا ان كل ما يصيبهم لم يكن ليخطئهم وما
يخطئهم لم يكن ليصيبهم وان ذلك واجب الحصول بحكم المشية
الازلية وانه لا اراد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير
وكبير مستطر * وحصوله بقدر معلوم منتظر وما امرنا الا
واحدة كلعج بالبصر (الركن الثاني) حال التوكل ومعناه ان تكل
امرنا الى الله عز وجل ويثق به قلبك وتطمئن بالتفويض
اليه نفسك ولا تلتفت الى غير الله اصلا * ويكون مثالك مثال
من وكل في خصومته في مجلس القاضي من علم انه اشفق
الناس عليه واقواهم في كشف الباطل واعرفهم به واحرصهم
عليه فانه يكون ساكنا في بيته مطمئن القلب غير متفكر في
كل الخصومة غير مستهين باحد الناس لعلمه بان وكيله حسبه
وكافيه في غرضه وانه لا يقاومه غيره * فمن تحققت معرفته بان
الرزق والاجل والخلق والامر بيد الله تعالى وهو منفرد به

لاشريك له وان وجوده وحكمته ورحمته لانهاية لها ولا
 يوازيها رحمة غيره وجوده اتكل قلبه بالضرورة عليه وانقطع
 نظره عن غيره فان لم ينقطع فلا يكون ذلك الا لاحد امرين
 ﴿أحدهما﴾ ضعف اليقين بما ذكرناه * وضعف اليقين انما يكون
 لتطرق شك اليه او لعدم استيلائه على القلب * فان الموت
 يقين لاشك فيه ولكنه اذ لا يستولي على القلب فهو كشك
 لا يقين فيه ﴿الامر الثاني﴾ ان يكون القلب في الفطرة جباناً
 ضعيفاً * فالجبن والجرأة فطرتان والجبن يوجب كون النفس
 مطيعة لا وهام لاشك في بطلانها حتى قد يخاف الانسان
 ان يبيت مع الميت في فراش او في بيت مع علمه بان الله
 لا يحياه وان قدرته عليه كقدرته على ان يقب في يده العصا
 حية وهو لا يخاف ذلك بل قد يشبه العسل بالمذرة فيتعذر
 عليه تناوله مع علمه بانه تشبيه كاذب * وذلك لخور النفس وطاعة
 الاوهام * فكما لا يخلو الانسان عن شئ منه وان ضعف فكذلك
 لا يبعد ان يحصل اليقين بالتوحيد بحيث لا يخالجه ريب
 ومع ذلك فيفرغ القلب الى الاسباب *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت أن التوكل عبارة عن حالة القلب في الثقة بالوكيل
 الحق وقطع الالتفات الى غيره ﴿ فاعلم ﴾ أن فيه ثلاث درجات
 ﴿ احداها ﴾ ما ذكرناه وهو كالثقة بالوكيل في الخصومة بعد
 اعتقاد كماله في الهداية والقدرة والشفقة ﴿ الثانية ﴾ وهي أقوى
 منها تضاهي حالة الصبي في ثقته بامه وفزعه اليها في كل ما يصيبه
 وذلك لثقته بشفقتها وكفالتها ولكنه في توكله فان عن توكله
 فانه ليس يحصله بفكر وكسب وان كان لا يخلو توكله عن نوع
 ادراك * وأما التوكل على الوكيل بالخصومة فكالمتسبب
 بالفكر والنظر ﴿ والثالثة ﴾ وهي الاعلى أن يكون بين يدي الله
 تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فانه يزعم بامه ويتعلق
 بذيلها بل هذا كالصبي علم انه وان لم يزعم بامه فانها تطلبه
 وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان لم يسألها اللبن فهي تبتدي
 بارضاعه فيكون هذا الشخص في حق الله عز وجل ساقط
 الاختيار لعلمه بانه مجرى القدر فلا يبقى فيه توسع لغير الانتظار
 لما يجري عليه * وهذا المقام يأبى الدعاء والسؤال ولا يمتنع الدعاء

في المقام الثاني والاول * ويمتنع التدبير في المقام الاخير ويمتنع
في الثاني أيضاً الا في التعلق بالوكيل فقط * وفي الاول يمتنع
التدبير بالتعلق بغيره ولا يمتنع بالطريق الذي رسمه الوكيل
وسنه له وأمره به *

﴿ الركن الثالث في الاعمال ﴾

وقد يظن الجهال ان شرط التوكل ترك الكسب وترك التداوي
والاستيلاء للمساكين - وذلك خطأ لان ذلك حرام في الشرع
والشرع قد أثبت على التوكل وندب اليه فكيف ينال ذلك
بمحظوره * وتحقيقه ان سعى العبد لا يعدو أربعة أوجه وهو
جلب ما ليس بموجود من المنفعة أو حفظ الموجود أو دفع
الضرر كيلا يحصل أو قطعه كي يزول ﴿ الاول ﴾ جلب النافع
وأسبابه ثلاثة * اما مقطوع به واما مظنون ظاهراً غالباً ظاهراً
يوثق به أو موهوم * اما المقطوع به فمثاله أن لا تمتد اليد الى
الطعام وهو جائع ويقول هذا سعي وأنا متوكل أو يريد
الولد ولا يواقع أهله أو يريد الزرع ولا يبيت البذر - وهذا
جهل لان سنة الله تعالى لا يتغير * وقد عرفك ان ارتباط هذه

المسببات بهذه الاسباب من السنة التي لا تجدها تبديلاً * وانما
 التوكل فيه بامرين ﴿ أحدهما ﴾ ان تعلم أن اليد والطعام والبذر
 وقدرة تناول وجميع ذلك من قدرة الله تعالى ﴿ والثاني ﴾ أن
 لا يتكل عليها بقلبه بل على خالقها وكيف يتكل على اليد * وربما
 يفلج في الحال أو يهلك الطعام * وذلك تحقيق قولك لا حول
 ولا قوة الا بالله * فالحول هي الحركة * والقوة هي القدرة * فاذا
 كان هذا حالك فانت متوكل وان سميت * وأما المظنون
 فكاستصحاب الزاد في البوادي والاسفار فليس تركه شرطاً
 في التوكل بل هي سنة الاولين بل يكون الاعتماد على فضل
 الله تعالى بدفع السراق وابقاء الزاد والحياة والقدرة على تناول
 وأما الموهومات فكالاتقضاء في حيل المعيشة واستنباط
 دقائق الامور فيها * وذلك ثمرة الحرص * وقد يحمل على أخذ
 الشبهة فكل ذلك يناقض التوكل * والدليل عليه ان النبي صلى
 الله عليه وسلم وصف المتوكلين بانهم لا يكتنون ولا يسترقون
 ولم يصفهم بانهم لا يسكنون الامصار * ولا يكتسبون فانسبته
 الى السبب كنسبة الرقية والسكي فتركها من شروط التوكل

﴿ الفن الثاني ﴾ من تدبير الاسباب الادخار * فالتوكل اذا ورث
 مالا وادخر لسنة فما فوقه ابطال توكله وان قنع بقوت يومه
 وفرق الباقي فهو تمام التوكل وان ادخر لاربعين يوماً * قال
 سهل التستري بطل توكله ولا ينال المقام المحمود الذي وعد
 للمتوكلين * وقال الخواص لا يبطل * واتفقوا على أن الزيادة
 عليه يبطل التوكل الا اذا كان معيلاً فله أن يدخر قوت عياله
 لسنة كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق عياله
 وفي حق نفسه كان لا يدخر من غدائه لعشائه ولا شك أن
 طول الامل يناقض التوكل * ومهما قلت مدة الادخار كانت
 الرتبة أعظم * ولكن سنة الله تعالى جارية بتكرر الارزاق
 عند تكرار السنة * فالادخار لاكثر من سنة غاية الضعف
 وليس من التوكل في شيء ﴿ فاما ﴾ ادخار الكوز وأثاث البيت
 فذلك جائز لان سنة الله تعالى لم تجر بتكررها كتكرير
 الارزاق ويحتاج اليها في كل وقت وليس كثوب الشتاء فانه
 لا يحتاج اليه في الصيف وادخاره على خلاف التوكل قال
 النبي صلى الله عليه وسلم في فقير دفن انه يحشر يوم القيامة

ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كان كالشمس الضاحية
 كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه ﴿ الفن الثالث ﴾
 في مباشرة الاسباب الدافعة كالفرار من السبع ومن الجدار المائل
 ومجرى السيل ودفع الامراض بالادوية وذلك ايضا له درجات
 فاستنبطها بالقياس الى ما ذكرناه وقد فسرناه في الاحياء *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه وقوى قلبه واما
 الضعيف الذي يضطرب قلبه لو لم يدخر لم يتفرغ للعبادة
 فالافضل له ان يدع طريق المتوكلين ولا يحمل نفسه مالا
 يطيقه اذ فساد ذلك في حقه اكثر من صلاحه بل يعالج كل
 واحد على حسب حاله وقوته * وقد تنتهي القوة الى ان يجوز
 السفر في البوادي من غير زاد وذلك لمن يصبر عن الطعام
 اسبوعا ويقنع بالحشيش فان ذلك لا يعوزُه غالبًا في البادية
 فاما الضعيف اذا فعل ذلك فهو عاص ملق نفسه في التهلكة
 والقوى ان حبس نفسه في كهف جبل ليس فيه حشيش ولا
 يجتاز به انسان فذلك ايضا حرام لانه خالف سنة الله تعالى

في خلقه وانما جاز له ذلك في البوادي لان سنة الله جارية
بانها لا تخلو عن الحشيش وقد يجتاز بها الادميون فاذا قوى
كان هلاكه نادراً فلم يكن بذلك عاصياً فله ان يسافر في البادية
متكلاً على لطيف صنع الله تعالى وغير قاصر التفاته على
الاسباب الجليلة الواضحة *

﴿ الاصل الثامن في المحبة ﴾

قال الله تعالى يحبهم ويحبونه * وقال قل ان كان آباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترتموها وتجارة
تخشون كسادها ومسكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله
الآية * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون
الله ورسوله أحب اليه مما سواهما * وقال عليه السلام أحبوا
الله لما ينفذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله عز وجل * وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله عز وجل
منعه ذلك من طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر * وقال الحسن
البصري رحمة الله عليه من عرف الله تعالى أحبه ومن عرف
الدنيا زهد فيها * والمؤمن لا يلهو حتى ينقل واذا فكر حزن

﴿ فصل ﴾

اعلم ان اكثر المتكلمين انكروا محبة الله تعالى واولوها وقالوا
لا معنى لها الا لامتثال أو امره والا فما لا يشبهه شيء ولا يشبه
شيئا ولا يناسب طباعا فكيف نجبه وانما يتصور منا ان نجب
من هو من جنسنا وهو لاء محرومون بجهلهم بحقايق الامور
وقد كشف الغطاء عن هذا في كتاب المحبة من كتب الاحياء
فظالها لتصادف منها اسراراً تخلو الكتب عنها * فاقنع في هذا
المختصر بتلويحات و اشارات *

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان كل لذيد محبوب ومعنى كونه محبوبا ميل النفس اليه
فان قوي الميل سمي عشقا * ومعنى كونه مبغوضاً نفرة النفس
عنه لكونه مؤلماً * فان قوي البغض والنفرة سمي مقتاً ﴿ واعلم ﴾
ان الاشياء التي تدركها بحواسك وجميع مشاعرك اما
ان يكون موافقة لك ملائمة وهو اللذيد او تكون منافية
مخالفة وهو المولم اولا موافقة ولا مخالفة وهو الذي لا ألم
فيها ولا لذة * وكل لذيد محبوب اي للنفس الملتذة به ميل

لا محالة اليه ﴿واعلم﴾ ان اللذة تتبع الادراك والادراك
ادراك ظاهر وباطن * اما الظاهر فبا الحواس الخمس فلا
جرم لذة العين في الصور الجميلة * ولذة الاذن في النفحات الموزونة
الطيبة * ولذة الذوق والشم في الطعوم والروائح الملايمة الموافقة
ولذة جملة البدن في ملايسة الناعم اللين * وجملة ذلك محبوبة
للنفس اي للنفس ميل اليها * واما الادراك الباطن فهو اللطيفة
التي محلها القلب تارة يعبر عنها بالعقل وتارة بالنور وتارة
بالحس السادس * ولا تنظر الى العبارات فتغلط بل قال النبي
صلى الله عليه وسلم ﴿حب الي من دنيا كم ثلاث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلوة﴾ فتعلم ان الطيب والنساء فيها حظ الشم
واللمس والبصر * والصلوة لاحظ فيها للحواس الخمس بل
للاذراك السادس الذي محله القلب ولا يدركها من لاقب
له وان الله يحول بين المرء وقلبه * ومن اقتصر من لذته على
الحواس الخمس فهو بهيمة لان البهيمة تشاركه فيها * وانما خاصية
الانسان التميز بالبصيرة الباطنة * ولذة البصر الظاهر في الصور
الجميلة الظاهرة * ولذة البصيرة الباطنة في الصور الجميلة الباطنة *

﴿ فصل ﴾

لملك تقول ما معنى الصور الجميلة الباطنة ﴿ فاقول ﴾ ما عندي
 انك لا تحس من نفسك حب الانبياء والعلماء والصحابة ولا
 تدرك من نفسك تفرقة بين الملك العادل العالم الشجاع الكريم
 العطوف على الخلق وبين الظالم الجاهل البخيل الفظ الغليظ
 وما عندي انك اذا حكى لك صدق ابي بكر وسياسة عمر
 وسخاوة عثمان وشجاعة علي رضوان الله عليهم لا تجدي نفسك
 هزة وارتياحاً وميلاً الى هؤلاء والى كل موصوف بخلال
 الكمال من نبي وصديق وعالم * وكيف تنكر هذا وفي الناس
 من يقتدي بنفسه ارباب المذاهب ويحمله جبه لهم على البذل
 بالمال والنفس في الذب عنهم وتجاوز ذلك حد العشق وانت
 تعلم ان حبيك لهؤلاء ليس لصورهم الظاهرة فانك لم تشاهدها
 ولو شاهدتها ربما لم تستحسنها وان استحسننت * فلو تشوهدت
 صورهم الظاهرة وبقيت صفاتهم المعنوية الباطنة لبقى حبههم
 واذا فتشت عن محبوبك منهم رجع بعد التفصيل الطويل
 الذي لا يحتمله هذا الكتاب الى ثلاث صفات ﴿ العلم والقدرة

والنزاهة عن العيوب ﴿ اما العلم فكلمهم بالله وملائكته وكتبه
 ورسله وعجايب ملكوته ودقائق شريعته انبيائه * واما القدرة
 فكقدرتهم على انفسهم بكسر شهوتها وحملها على الصراط
 المستقيم وقدرتهم على العباداة بسياستهم وارشادهم الى الحق
 واما النزاهة فكسلامة باطنهم من عيب الجهل والبخل والحسد
 وخبائث الاخلاق واجتماع كمال العلم والقدرة مع حسن
 الاخلاق وهو حسن الباطن وهي الصورة الباطنة التي لا تدركها
 البهيمة ومن في مثل حالها بالبصر الظاهر * ثم اذا احببت هؤلاء
 بهذه الصفات وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اجمع
 منهم لهذه الخصال كان حبك له اشد بالضرورة فارتفع نظرك
 الآن من النبي الى مرسل النبي وخالفه والمتفضل على الخلق
 يبعثه لتعلم ان بعثه الانبياء حسنة من حسناته * ثم انسب قدرة
 الانبياء وعلمهم وطهارتهم الى علم الله سبحانه وقدرته وقده
 لتعلم انه لا قدوس سوى الواحد الحق وان غيره لا يخلو من
 عيب ونقص بل العبودية اعظم انواع النقص فأي كمال لمن
 لا قوام له بنفسه ولا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا رزقا

ولا أجلا واي علم لمن يشكل عليه صفات باطنه في مرضه
وصحته بل لا يعلم جميع جوارحه الباطنة وتفصيلها وحكمها
بالتحقيق فضلا عن ملكوت السموات والارض * وانسب هذا
الى العلم الازلي المحيط بجميع الموجودات ومعلومات لانهايه
لها الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
والى قدرة خالق السموات والارض الذي لا يخرج موجود
عن قبضة قدرته في وجوده وبقائه وعدمه * وانسب نزاهته
من العيوب الى قدسه لتعلم انه لا قدس ولا قدرة ولا علم الا
لواحد الحق * وانما لغيره القدرة التي اعطاه ولا يحيطون بشيء
من علمه الا بما شاء وما أوتيتم من العلم الا قليلا * فانظر الآن
هل يمكنك ان تنكر ان هذه الصفات والمحامد محبوبة أو
تنكر ان الموصوف بكمال الجلال هو الله تعالى وانظر كيف
تنكر حبه بعد ذلك *

(فصل)

ان قصرت بصيرتك عن ادراك الجلال والكمال والميل الى
مطالته والفرح به والعشق له * فلا تقصر عن الميل الى المنعم

المحسن اليك * ولا تكونن اقل من الكلب فانه يجب صاحبه
 الذي يحسن اليه * وتأمل هذا في العالم هل لاحد احسان اليك
 سوى الله تعالى وهل لك حظ ولذة وتنعم في شيء وحرص
 على نعمه الا والله سبحانه خالقها ومبديها ومبقيها وخالق
 الشهوة اليها والتلذذ بها * وتفكر في اعضائك ولطف صنع الله
 تعالى بك فيها لتجبه باحسانه اليك فتكون من عوام الخلق
 ان لم تقدر ان تجبه لجماله وجلاله وكماله كما تجبه الملائكة لذلك
 وامثال قوله عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه
 واحبوني لحب الله * وعند هذا تكون كالعبد السوء يجب
 ويعمل للزجرة والنفقة فلا جرم يزيد حبك وينقص زيادة
 الاحسان ونقصانه - وذلك ضعيف جدا بل الكامل من يجب
 الله لجلاله وجماله ومحامد صفاته التي لا يتصور ان يشارك فيها
 ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان اود الوداء
 الي من عبدني بغير نوال لكن يعطى الربوية حقها * وفي الزبور
 من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا ناراً ألم
 اكن أهلاً ان اطاع * ومر عيسى عليه السلام بطائفة من العباد

وقد تخلوا للعبادة * وقالوا نخاف النار ورجو الجنة * فقال مخلوقا
خفتم ومخلوقا رجوتم * ومر بقوم آخر كذلك فقالوا انعبده حبا
له وتعظيما لجلاله * فقال انتم اولياء الله حقا ومعكم امرت ان اقيم

﴿ فصل ﴾

العارف لا يحب الا الله تعالى فان احب غيره فيحبه الله عز
وجل اذ قد يحبُّ المحبُّ عبد المحبوب واقاربه وبلده وثيابه
وضيعته وتصنيفه وكل ما هو منه واليه نسبه * وكل ما في الوجود
صنع الله عز وجل وتصنيفه * وكل الخلق عباد الله تعالى فان
احب الرسول احبه لانه رسول محبوبه وحيده وان احب
الصحابة فلانهم محبوبو رسوله ولانهم محبوبه وعبيده والمواظبون
على طاعته * وان احب طعاما فلانه يقوى مركبه الذي به يصل
الى محبوبه اعنى البدن * وان احب الدنيا فلانها زاده الى محبوبه
وان احب النظر الى الازهار والانبهار والانوار والصور الجميلة
فلانها صنعة محبوبه وهي دلالات على جماله وجلاله ومذكرات
لصفات المحامد التي هي المحبوبة في ذاتها وان احب المحسن
اليه والمعلم اياه علوم الدين فيحبه لانه واسطة بينه وبين محبوبه

في ايصال علمه وحكمه اليه ويعلم انه الذي قيضه لتعليمه
 وارشاده والانفاق عليه من ماله وانه لولا تسليط الدواعي
 اليه واضطراره بسلسلة البواعث والاغراض الى ارشاده
 والانفاق عليه لما فعله * واعظم الخلق احسانا علينا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والله المنة والفضل بخلقه وبمشيه كما قال هو
 الذي يمت في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم
 ويعلمهم الكتاب والحكمة * فما الرسول الا عبد مسخر مبعوث
 محمول على تبليغ الرسالة بالاضطرار— ولذلك قال الله تعالى انك
 لاتهدى من احببت ولكن الله يهدي من يشاء * وتأمل سورة
 الفتح وقوله تعالى ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا
 فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا * فقد انزله منزلة النظارة
 وقال اذا رأيت عباد الله يدخلون في دين الله فقل بحمد الله
 لا بحمدى وهو معنى التسييح بحمد ربه * فان التفت قلبك الى
 نفسك وسمعتك فاستغفره ليتوب عليك ﴿ واعلم ﴾ انه ليس
 لك من الامر شيء * ومن ههنا نظر عمر رضى الله عنه حيث
 وصل كتاب خالد بعد فتح مكة من خالد سيف الله المسلول على

المشركين الى ابي بكر امير المؤمنين * فقال ان نصر الله المسلمين
 نظر خالد الى نفسه ويسمها سيفاً مسلولا على المشركين * ولو
 لاحظ الحق كما هو لعلم ان ليس ذلك بسيفه ولكن لله تعالى
 سر في ارادته بنصرة الاسلام فينصره بخطر واحدة وهو
 خاطر رعب يلقيه في قلب كافر فينهزم * وينظر اليه غيره فينهزم
 وتم الهزيمة فينظر خالد ومن هو في مثل حاله انه علا كلمة الاسلام
 بصرامته وحده سيفه * ويطلع عمر رضى الله عنه ومن هو في
 مثل حاله من الصديقين والاولياء على حقيقة الحال ويعلم حاجة
 خالد الى الاستغفار وان يسبح بحمد ربه اذا رأى ذلك كما أمر
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لا موجب للمحبة الا
 أمران ﴿أحدهما﴾ الاحسان ﴿والآخر﴾ غاية الجلال والجمال
 بكمال الجود والحكمة والعلو والقدرة والتقدير من العيب
 والنقص ولا احسان الا منه ولا جلال ولا جمال ولا قدس
 الا له * فكل ما في العالم من حسن واحسان فهو حسنة من
 حسنات جوده * يسوقها الى عباده بخطر واحدة يخلقها في
 قلب المحسن فكل ما في العالم من صورة مليحة وهيئة جميلة

يدرك بعين أو سمع أو شم فائر من آثار قدرته وهي بعض
معاني جماله * فليت شعري لمن عرف بالمشاهدة المحققة
والبرهان القاطع جميع هذا كيف يتصور ان يلتفت الى غير
الله تعالى أو يحب غير الله عز وجل *

(فصل)

اعلم أن لذة العارف في الدنيا من مطالعة جمال الحضرة
الربوبية أعظم من كل لذة يتصور أن يكون في الدنيا سواها
وذلك لأن اللذة على قدر الشهوة * وقوة الشهوة على قدر
الملائمة والموافقة مع المشتهى * وكما ان اوفق الاشياء للابدان
الاغذية فاوفق الاشياء للقلوب المعرفة * فالمعرفة غذاء القلب
وأعنى بالقلب الروح الرباني الذي قال الله تعالى فيه ﴿ قل الروح
من أمر ربي ﴾ وقال تعالى ونفخت فيه من روحي فاضافه الى
نفسه * وهذا الروح لا يكون للبهائم ولمن هو في مثل حالها من
الانس بل يختص به الانبياء والاولياء — ولذلك قال تعالى
وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما
الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء

المشركين الى ابي بكر امير المؤمنين * فقال ان نصر الله المسلمين
 نظر خالد الى نفسه ويسميا سيفاً مسلولا على المشركين * ولو
 لاحظ الحق كما هو لعلم ان ليس ذلك بسيفه ولكن لله تعالى
 سر في ارادته بنصرة الاسلام فينصره بخطرته واحدة وهو
 خاطر رعب يلقيه في قلب كافر فينهزم * وينظر اليه غيره فينهزم
 وتم الهزيمة فينظر خالد ومن هو في مثل حاله انه علا كلمة الاسلام
 بصرامته وحاده سيفه * ويطلع عمر رضى الله عنه ومن هو في
 مثل حاله من الصديقين والاولياء على حقيقة الحال ويعلم حاجة
 خالد الى الاستغفار وان يسبح بحمد ربه اذا رأى ذلك كما أمر
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لا موجب للمحبة الا
 أمران (أحدهما) الاحسان (والآخر) غاية الجلال والجمال
 بكمال الجود والحكمة والعلو والقدرة والتقديس من العيب
 والنقص ولا احسان الا منه ولا جلال ولا جمال ولا قدس
 الا له * فكل ما في العالم من حسن واحسان فهو حسنة من
 حسنات جوده * يسوقها الى عباده بخطرته واحدة يخلقها في
 قلب المحسن فكل ما في العالم من صورة مليحة وهيئة جميلة

يدرك بمعين أو سمع أو شم فأثر من آثار قدرته وهي بعض
معاني جماله * فليت شعري لمن عرف بالمشاهدة المحققة
والبرهان القاطع جميع هذا كيف يتصور ان يلتفت الى غير
الله تعالى أو يجب غير الله عز وجل *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن لذة العارف في الدنيا من مطالعة جمال الحضرة
الربوبية أعظم من كل لذة يتصور أن يكون في الدنيا سواها
وذلك لان اللذة على قدر الشهوة * وقوة الشهوة على قدر
الملائمة والمواقفة مع المشتهى * وكما ان اوفق الاشياء للابدان
الاغذية فافوق الاشياء للقلوب المعرفة * فالمعرفة غذاء القلب
وأعنى بالقلب الروح الرباني الذي قال الله تعالى فيه ﴿ قل الروح
من أمر ربي ﴾ وقال تعالى ونفخت فيه من روحي فاضافه الى
نفسه * وهذا الروح لا يكون للبهائم ولمن هو في مثل حالها من
الانس بل يختص به الانبياء والاولياء — ولذلك قال تعالى
وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما
الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء

من عبادنا* فالمعرفة أوفق الاشياء لهذه الروح لان أوفق
 لكل شئ خاصة* فالصوت الطيب لا يوافق البصر لانه ليس
 من خاصيته* وخاصة روح الانساني معرفة الحقايق وكلما كان
 المعلوم أشرف كان العلم به الذ* ولا أشرف من الله تعالى ولا أجل
 منه* فمعرفة ومعرفة صفاته وذاته وعجائب ملكه وملاكوته
 الذالاشياء عند القلب لان شهوة ذلك أشد الشهوات— ولذلك
 يخلق آخرا بعد سائر الشهوات* وكل شهوة تأخرت فهي
 أقوى مما قبلها* فاول ما يخلق شهوة الطعام* ثم يخلق له شهوة
 الوقاع فيترك شهوة الطعام لاجله ويستحققر فيه* ثم يخلق له
 شهوة الرياسة والجاه والغلبة* ويستحققر فيها شهوة المنكح والمطم
 ثم يخلق له شهوة المعرفة التي هي استيلاء على كل الموجودات
 فيستحققر فيها الجاه والرياسة وهي آخر شهوات الدنيا وأقواها
 وكما ان الصبي ينكر شهوة الوقاع ويتعجب ممن يتحمل مؤنة
 النكاح لاجلها* فاذا بلغ شهوة الوقاع اكب عليها وانكر شهوة
 الجاه والرياسة ولم يبال بفواتها في قضاء شهوة الفرج— فكذلك
 المشعوف بشهوة الجاه* والرياسة ينكر لذة المعرفة اذ لم

يخاق فيه بعد شهوتها * وقد ينتهي شهوة شرهه على الجاه
الى مرض قلبه حتى لا يقبل شهوة معرفة الله عز وجل
اصلا كما يفسد مزاج المريض فيسقط شهوته للغذاء حتى
يموت * وقد ينعكس طبعه فيشتهي الطين والاشياء المضرّة
المهلكة وهي مقدمات الموت — فكذلك مرض القلب قد
ينتهي الى حد ينكر المعرفة ويبغضها ويبغض أهلها والقبيلين
عليها ولا يدرك الالذة الرياسة أو المظم والمنكح * وذلك
هو الميت الذي لا يقبل العلاج وفي مثله قيل ﴿ انا جعلنا على
قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى
الهدى فلن يهتدوا اذا ابدأ ﴾ وفيهم قيل أموات غير احياء
وما يشعرون ايان يبغثون *

﴿ فصل ﴾

هذه المعرفة وان عظمت لذتها فلانسبة لها الى لذة النظر الى وجه
الله الكريم في الدار الآخرة — وذلك لا يتصور في الدنيا لسر لا
يمكن الآن كشفه ولا ينبغي ان تفهم من النظر ما يفهمه العوام
والمتكلمون فيحتاج في تقديره الى جهة ومقابلة — فذلك من

نظر من اقدمه القصور في مجبوحه عالم الشهادة حتي لم يجاوز
 المحسوسات التي هي مدركات البهايم لكن ينبغي ان تفهم
 ان الحضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجيب على ما هو
 عليه من البهاء والعظمة والجلال والمجد في قلب العارف كما
 ينطبع مثلا صورة العالم المحسوس في حواسك فكانك تنظر
 اليه وان غمضت عينيك * فان فحنت العين ووجدت الصورة
 المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لا تخالفها في شيء
 الا ان الابصار في غاية الوضوح بالنسبة الى التخيل - وكذلك
 ينبغي ان تعلم ان في ادراك ما لا يدخل في الخيال والحس أيضا
 في درجتين متفاوتتين في الوضوح غاية التفاوت * ونسبة الثانية
 الى الاولى كنسبة الابصار الي التخيل فيكون الثانية غاية
 الكشف فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية * والرؤية لم تسم رؤية لانها
 في العين اذ لو خلقت في الجهة لكانت رؤية بل لانها غاية
 الكشف وكما ان تمييز الاجفان حجاب من غاية الكشف
 في المبصر * فكدورة الشهوات وشواغل هذا القالب المظلم
 حجاب عن غاية المشاهدة * ولذلك قال الله تعالى لن تراني

وقال تعالى لا تدركه الابصار * فاذا ارتفع هذا الحجاب بعد
الموت انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة * ويكون مشاهدة كل
واحد على قدر معرفته — ولذلك تزيد لذة اولياء الله سبحانه
في النظر على لذة غيرهم ويتجلى الله تعالى لابي بكر رضي الله
عنه خاصة ويتجلى للناس عامة * وكذلك لا يراه الا العارفون
لان المعرفة بدو النظر بل هي التي تنقلب مشاهدة كما ينقلب
التخيل ابصارا * فلذلك لا يقتضي مقابلة وجهة * وسر هذا
طويل فاطلبه من كتاب المحبة في الاحياء *

(فصل)

لو كان معشوقك وانت تراه من وراء ستر رقيق في وقت
الاسفار وفي حالة ضعف الضوء وفي حالة اجتمع عليك تحت
نوبك عقارب وزناير تلدغك وتسغلك فلا يخفى ان لذتك من
مشاهدة مشوقك تضعف فلو اشرقت الشمس دفعة فارفع الستر
الرقيق وانصرفت عنك العقارب والزناير وهجم عليك العشق
المفرط البليغ فلا نسبة لهذه اللذة العظيمة التي تحصل الان الى
ما كان قبل ذلك — وكذلك فافهم انه لا يشبه لذة النظر الى لذة

المعرفة بل هي أعظم منها كثيرا * والستر الرقيق قلبك *
 والمقارب شواغل الدنيا وغموها وشهواتها * وهجوم المشق
 شدة الشهوة لا تقطع المضعفات والمنقصات عنها * واشراق
 الشمس هو استمداد حدقة القلب لاحتمال تمام التجلي فانها
 في هذه الحيوة لا يحتمل بصر الخفاش نور الشمس *

﴿ فصل ﴾

انما ضعفت شهوة معرفة الله تعالى لرحمة ساير الشهوات وانما
 خفيت معرفة الله تعالى مع جلائها لشدة ظهورها * ومثاله انك
 تعلم ان اظهر الاشياء المحسوسات * ومنها البصرات * ومنها
 النور الذي به يظهر لك الاشياء * ثم لو كانت الشمس دائمة لا
 تغيب ولا يقع لها ظل لكنك لا تعرف وجود النور وكنت تنظر
 الى الالوان فلا ترى الا الحمرة والسواد واليباض * فاما النور
 فلا تدركه الا بان تغيب الشمس او يقع لها حجاب بما له ظل
 فتدرك باختلاف الاحوال بين الظلمة والضياء ان النور شيء
 آخر يعرض للالوان فتصير مبصرة ولو تصور الله سبحانه
 غيبة او لانوار قدرته حجاب عن بعض الاشياء لا دركت

من التفاوت ما يضطر معه الى المعرفة ولكن الموجودات كلها لما تساوت في الشهادة لخالقها بالوحدانية من غير تفاوت خفي الامر لشدة جلالة* ولو تصور انقطاع انوار قدرته عن السموات والارض لانهدمت وانمحقت وادرك في الحال من التفاوت ما يضطر الى المعرفة بالقدرة والقادر* وهذا مثال ما ذكرناه وفتحته اسرار* وفيه مواقع غلط* فاجتهد لملك تقف على اسراره ولا ترتبك في مواقع غلظه فنه غلط من قال انه في كل مكان وكل من نسبه الي مكان او جهة فقد ذل فضل ورجع غاية نظره الى التصرف في محسوسات البهائم ولم يجاوز الاجسام وعلايقها* واول درجات الايمان مجاوزتها فيه يصير الانسان انسانا فضلا عن ان يصير مؤمنا

(فصل)

(اعلم) ان للمحبة علامات كثيرة يطول احصاؤها ومن علاماتها تقديم اوامر الله تعالى على هوى النفس والتوقي بالورع ورعاية حدود الشرع* ومن علاماتها الشوق الي لقاء الله والخلو عن كراهية الموت الا من حيث يتشوق الى زيادة المعرفة

فان لذة المشاهدة بقدر كمال المعرفة فانها بدو المشاهدة فتختلف
لا محالة باختلافها * ومن علاماتها الرضاء بالقضاء بمواقع قدر
الله عز وجل فلندكر معنى الرضاء حتى لا يفتقر الانسان بما
يصادف في نفسه من خطرات تخطر فيظن انها حقيقة
الحب لله تعالى فان ذلك عزيز جداً *

﴿ الاصل التاسع الرضاء بالقضاء ﴾

قال الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه * وقال صلى الله عليه
وسلم اذا احب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى
اصطفاه * وقال عليه السلام اعبده الله تعالى بالرضاء فان لم تستطع
ففي الصبر على ما تكره خير كثير * وقال عليه السلام لطائفة
ما اثمتم فقالوا مؤمنون فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نصبر
على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء * فقال
مؤمنون ورب الكعبة وفي رواية انه قال حكماء علماء كادوا
من فقهم ان يكونوا انبياء * ومما اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام ما لا ولياى والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة
مناجاتي من قلوبهم ان محبتي من اولياى ان يكونوا روحانيين

لا يفتنون * وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى * انا الله لا اله الا انا فمن لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي * وقال عليه السلام قال الله تعالى خلقت الخير وخلقته له اهلا * وخلقته الشر وخلقته له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسرته على يديه * وويل لمن خلقته للشر ويسرته الشر على يديه * وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف * واوحى الله سبحانه الى داود عليه السلام يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلّمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلّم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد *

﴿ فصل ﴾

قد انكر الرضا جماعة * وقالوا لا يتصور الرضا بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر فقط وانما اتوا من انكار المحبة ونحن نحققها وعلامتها الرضا بالبلاء وبما يخالف الطبع والهوى وذلك يتصور من ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يدهشه مشاهدة الحب وافراطها عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد في حب المخلوقين وفي غلبة الشهوة والغضب حتى ان الغضبان تصيبه الجراحة فلا

يحس بها في الوقت وحتى ان الحريص تصيبه شوكة في رجله
 فلا يحس بها * ثم اذا سكن غضبه وظفر بمراده عظم ألمه * واذا
 تصور ان ينغمر الم يسير بحب يسير تصور ان ينغمر الم كثير
 بحب قوي بالغ فان كل واحد من الحب والالم يقبل الزيادة
 والشدة ومهما تصور مثل هذا في عشق يرجع الى الميل الى
 صورة مركبة من لحم ودم مشحون بالاقدار والحيات * وانما
 يدرك بعين ظاهرة يغلب الغلط عليها حتى ترى الكبير
 صغيرا والبعيد قريبا والقيح جميلا فكيف لا يتصور بالادراك
 جمال الحضرة الربوية والجلال الازلي الابددي الذي لا يتصور
 انقطاعه ونقصانه المدرك بالبصيرة الباطنة التي هي اصدق
 واوضح عند اهلها من البصر الظاهر * ومن هذا الاصل قال
 الجنيد رحمه الله قلت لسرى السقطي رحمه الله هل يجد المحب
 ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال لا وان ضرب
 بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة * وقال بعضهم احييت
 كل شيء لحيه حتى لو احب النار احييت الدخول في النار
 وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما بقي لي فرح الا في موقع

قدر الله تعالى * وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام
 فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك * فقال اعتراض عليه
 فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي ﴿ الوجه الثاني ﴾ من
 الرضا ان يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى به بعقله
 وايمانه لمعرفةه بجزالة الثواب على البلاء كما يرضى المريض بالأم
 القصد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح
 بمن يهدى اليه الدواء وان كان بشعا * وكذلك يرضى التاجر
 بمشقة السفر وهو خلاف طبعه * وهذا ايضا يشاهد مثله في
 الاغراض الدنيوية فكيف ينكر في السعادة الاخرية * وروي
 ان امرأة فتح الموصلية الانصارى عثرت فانقطع ظفرها
 فضحكت فقيل لها اما مجدين ألم الوجع فقالت ان لذة ثوابه
 أزالته عن قلبي مرارة وجمعه فاذا من اتقن ان ثواب البلاء
 أعظم مما يقاسيه لم يبعد ان يرضى به ﴿ الوجه الثالث ﴾ ان
 تمتد ان لله تعالى تحت كل أعجوبة لطيفة بل لطائف - وذلك
 يخرج عن قلبه (لم وكيف) حتى لا يتعجب مما يجري على العالم
 مما يظنه الجاهل تشويشا واضطرابا وميلا عن الاستقامة

ويعلم ان تعجبه كتعجب موسى من الخضر عليه السلام لما
 خرق سفينة اليتام وقتل الغلام وأعاد بناء الجدار كما في سورة
 الكهف * فلما كشف الخضر عن السر الذي اطلع عليه سقط
 تعجبه وكان تعجبه بناء على ما اخفى عنه من تلك الاسرار
 وكذلك افعال الله تعالى مثاله ما حكى عن رجل من الراضين
 انه كان يقول في كل ما يصيبه (الخيرة فيما قدره الله تعالى) وكان
 في بادية ومعه اهله وليس له الا حمار يحمل عليه خبائه وكلب
 يحرسهم وديك يوقظهم * فجاء ثعلب واخذ الديك فقال خيرة
 وجاء ذيب وقتل الحمار فخرن اهله فقال خيرة * ثم اصيب الكلب
 فمات فقال خيرة فتمعجت اهله من ذلك حتى اصبحوا وقد
 سبي من حولهم واسترق اولادهم وكان قد عرف مكانهم
 بصوت الديك ومكان بعضهم بنبيح الكلب ومكان بعضهم بنبيح
 الحمار * فقال قد رأيت ان الخيرة فيما قدره الله سبحانه فلو لم
 يهلكهم الله عز وجل لهلكتم وهلكنا * وروى ان نبيا كان يتعبد
 في جبل وكان بالقرب منه عين فاجتاز بها فارس وشرب ونسي
 عندها صرة فيها الف دينار وجاء آخر فاخذ الصرة ثم جاء

رجل فقير على ظهره حزمة حطب فشرب واستلقى ليستريح
 فرجع الفارس في طلب الصرة فلم يرها فاخذ الفقير فطالبه
 وعذبه فلم يجد عنده فقتله * فقال النبي الهى ﴿ ما هذا ﴾ أخذ
 الصرة ظالم آخر وسلطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى
 قتله فاوحى الله تعالى اليه اشتغل بمبادتك فليس معرفة
 أسرار الملك من شأنك ان هذا الفقير كان قد قتل ابا الفارس
 فمكنته من القصاص وان ابا الفارس كان قد اخذ الف دينار
 من مال أخذ الصرة فرددته اليه من تركته * فمن ايقن
 بامثال هذه الاسرار لم يتعجب من افعال الله تعالى وتعجب
 من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف فرضى بما دبره الله في
 ملكوته * وههنا وجوه اربع تتشعب عن محض المعرفة
 بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة
 الى المسببات ومعرفة القضاء الاول الذى هو كالمح البصر
 ومعرفة القدر الذى هو سبب ظهور تفاصيل القضاء * وانها
 رتب على اكمل الوجوه واحسنها * وليس في الامكان
 احسن منها واكمل ولو كان واذاً كان لكان بخلا لا جوداً

وعجزا يناقض القدرة وينطوي تحت ذلك معرفة سرّ
 القدر وكما ان من أيقن ذلك لم ينطو ضميره الا على
 الرضا بكل ما يجري من الله * وشرح ذلك بطول ولا رخصة
 فيه أيضاً فلتجاوزه *

{ فصل }

لعلك تقول كيف أجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى وبين بغض
 أهل الكفر والعصيان وقد تعبدت به شرعا وذلك مراد الله
 تعالى فيهم { فاعلم } أن طائفة من الضعفاء ظنوا أن ترك
 الامر بالمعروف من جملة الرضا بالقضاء وسموه حسن الخلق
 وهو جهل محض بل عليك أن ترضى وأن تكره جميعا
 والرضا والكراهية يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من
 وجه واحد ولا يتناقض أن يقتل عدوك الذي هو عدو
 عدوك أيضا فترضاه من حيث أنه عدوك وتكرهه من
 حيث أنه عدو عدوك * فكذلك للمعصية وجهان وجه الى
 الله تعالى من حيث أنها بقضائه ومشيته فهو من هذا الوجه
 مرضي به * ووجه الى العاصي من حيث أنه صفتة وكسبه

وعلاوة كونه ممقوتا من الله تعالى فهو من هذا الوجه
مكروه * وقد تعبدك الله تعالى ببغض من يبغضه من المخالفين
لامره فعليك بما تعبدك به والامتثال له * ولو قال لك محبوبك
اني أريد أن أمتحن حبك بان أضرب عدي وارهبه الى أن
يشتمني فمن أبغضه فهو محبي ومن أحبه فهو عدوي فيمكنك
أن تبغض عبده اذا شتمه مع أنك تعلم أنه الذي اضطره الى
الشتم وكان ذلك مراد منه * فيقول أما فعله في الشتم فاني أَرْضِي
به من حيث أنه تديرك في عبدك ومرادك ممن أردت
إبعاده * وأما شتمه من حيث هو صفة وعلامة عداوته فاني
أبغضه لاني أحبك فابغض لا محالة من عليه علامة عداوتك
وهذه دقيقة زل فيها الضعفاء فلذلك يتهافتون فيها *

(فصل)

كذلك ينبغي أن لا تظن أن معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء
بل ترك السهم الذي أرسل اليك حتى يصيبك مع قدرتك على
دفعه بالترس بل تعبدك الله عز وجل بالدعاء ليستخرج به
من قلبك صفاء الذكر وخشوع القلب ورقته لتستعده لقبول

الالطاف والانوار فمن جملة الرضا بقضائه أن يتوصل الى
 محبوباته بمباشرة ما جعله سبباً له بل ترك الاسباب مخالفة لمحبوبه
 ومناقضة لرضاه فليس من الرضاء للعطشان أن لا يمد اليد الى
 الماء البارد زاعماً أنه رضى بالعطش الذي هو من قضاء الله
 تعالى بل من قضاء الله تعالى ومحبه أن يزال العطش بالماء
 فليس في الرضا بالقضاء ما يوجب الخروج عن حدود الشرع
 ورعاية سنة الله تعالى أصلاً بل معناه ترك الاعتراض على الله
 عز وجل اظهاراً واضماراً مع بذل الجهد في التوصل الى محاب
 الله تعالى من عباده* وذلك بحفظ الاوامر وترك النواهي *

﴿ الاصل العاشر ذكر الموت ﴾

وحقيقته وأصناف العقوبات الروحانية ﴿ اعلم ﴾ أن المقامات التسع
 التي ذكرناها ليست هي على رتبة واحدة بل بعضها مقصودة لذاتها
 كالمحبة والرضا فانهما على المقامات* وبعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة
 والزهد والخوف والصبر اذ التوبة رجوع عن طريق البعد
 للاقبال على طريق القرب* والزهد ترك الشواغل عن القرب
 والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل* والصبر جهاد مع

الشهوات القاطعة لطريق القرب * وكل ذلك غير مطلوب لذاته بل المطلوب القرب^(١) وذلك بالمعرفة والمحبة فانها مطلوبة لذاتها لا لغيرها ولو كن لا يتم ذلك الا بقطع حب غير الله تعالى عن القلب فاحتيج الى الخوف والصبر والزهد لذلك * ومن الامور العظيمة النفع فيه ذكر الموت فلذلك اوردناه ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره اذ به يتنصص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها قال الله تعالى ﴿ قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات * وقال عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه^(٢) وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة * ومرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس وقد

(١) نعم ما قال قدوة العرفاء الشيخ سعدى الشيرازي في كتابه (بندنامه)

خوش اندل که شيد است بر روی دوست

خوش اندل که شد منزلش کوي دوست

(٢) ونعم ما قال صاحب المتوي حضرة مولانا جلال الدين البلخي

أي لقاءى تو جواب هر سؤال * مشکل از تو حل شود بی قبل وقال

استعلاء الضحك* فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شوبوا
 مجلسكم بذكر مكدر اللذات* قيل وما هو قال عليه السلام الموت
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت
 ما يعلم ابن آدم لما أكلتم منها لحما سميناً* وقال عليه السلام كفى
 بالموت واعظاً* وقال عليه السلام ﴿تركت فيكم واعظين صامتا
 وناطقا فالصامت الموت والناطق القرآن﴾ وذكروا رجل عند
 النبي عليه السلام وأحسن الثناء عليه فقال عليه السلام كيف
 كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر
 الموت قال إن صاحبكم ليس هناك وقال رجل من الانصار
 يا رسول الله من أكرس الناس وأكرم الناس* فقال أكثرهم
 للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا أولئك هم الأكياس ذهبوا
 براحة الدنيا وكرامة الآخرة (١)*

﴿فصل﴾

﴿اعلم﴾ أن الموت عظيم هائل وما بعده أعظم منه وفي ذكره
 منفعة عظيمة فإنه ينقص الدنيا وينفضها إلى القلب وينفضها

(١) وفي النسخة المراقبة بشرف الدنيا الخ

رأس كل حسنة كما ان جبهارأس كل خطيئة وللعارف في ذكره
فائدتان ﴿ احدهما ﴾ النفرة من الدنيا ﴿ والاخرى ﴾ الشوق
الى الآخرة فان الحب لا محالة مشتاق ومعنى الشوق في
المحسوسات استكمال الخيال بالترقي الى المشاهدة فان
المشتاق اليه مدرك لا محالة بالخيال وغايب عن الابصار وأحوال
الآخرة ونعيمها وجمال الحضرة الربوبية مدرك كل ذلك
للعارف يعرفه ^(١) كأنه نظر من وراء ستر رقيق في وقت
الاسفار وضعف النور فهو مشتاق الى استكمال ذلك بالتجلي
والمشاهدة ويعلم ان ذلك لا يكون الا بالموت * فلذلك لا يكره
الموت لانه لا يكره لقاء الله تعالى ولا سبب لاقبال الخلق
على الدنيا الا قلة التفكر في الموت وطريق التفكير فيه ان يفرغ
الانسان قلبه عن كل فكر سواه * ويجلس في خلوة ^(٢) ويباشر

(١) وفي النسخة الكردية للعارف معرفة كأنها الخ (٢) الخلوة
محادثة السر مع الحق * ونعم ما قال حضرة مولانا جلال الدين البانجي
في كتابه المسمى (بمشوي)

كرشي تور استانه خم شوي * وارهي أز اختران محرم شوي
چون شوي محرم كشاييم باتولب * تا بيني آفتابي نيم شب

ذكر الموت بصميم قلبه ويتفكر أولاً في أخذانه وأشكاله^(١)
الذين مضوا فيتذكرهم واحداً واحداً ويتذكر حرصهم وأملهم
وركونهم إلى الجاه والمال * ثم يتذكر مصارعهم عند الموت
وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه * ثم يتفكر في أجسادهم
كيف تمزقت في التراب وصارت جيفة يأكلها الديدان * ثم
يرجع إلى نفسه ويعلم أنه كواحد منهم أمله كاملهم ومصرعه
كمصرعهم * ثم ينظر في أعضائه وينظر كيف تتفتت * وإلى
حدقته كيف يأكلها الدود وإلى لسانه كيف يهرى ويصير
جيفة في فيه * فإذا فعلت ذلك تتغص عليك الدنيا وكنت
سميداً إذا السعيد من وعظ بغيره * فلذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم * أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب
وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذين نشيع من
الأموات سفر عن قريب النار اجمعون نبوتهم أجسادهم ونأكل
تراثهم كأننا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة

﴿ فصل ﴾

أصل الغفلة عن الموت طول الأمل وذلك عين الجهل ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ إذا أصبحت
فلا تحدث نفسك بالمساء * وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح وخذ من حياتك لموتك * ومن صحتهك لسقمك * فانك
يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم
﴿ ان أخوف ما أخاف على أمتي خصلتان اتباع الهوى وطول
الأمل ﴾ واشترى أسامة وليدة الى شهرين بمائة فقال عليه
السلام ﴿ ألا تعجبون من أسامة المشتري الى شهرين ان أسامة
لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيني الا ظننت
أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله عز وجل روعي * ولا
رفعت طرفي وظننت أني واضعها حتى أقبض * ولا لقمتم
لقمة الا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بهما من الموت
ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى
والذي نفسي بيده انما توعدون لا توما أنتم بمجزين ﴾ وقال
صلى الله عليه وسلم ﴿ نجأ أول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك

آخر هذه الامة بالبخل والامل ﴿ وقال عليه السلام ﴾ اكلكم
 يجب أن يدخل الجنة ﴿ قالوا نعم قال عليه السلام ﴾ قصرُوا
 آمالكم واجعلوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله
 حق الحياء ﴿

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن
 عن ذكر الموت بل حاله الفناء في التوحيد لا التفات له الي
 ماضي ولا الى مستقبل ولا الى حال من حيث أنه حال بل
 هو ابن وقته يعني انه كالتحد بمذكوره لست أقول ^(١) متحد
 بالذات فلا تعقل فتغلط وتسىء الظن * وكذلك يفارقه الخوف
 والرجاء لانهما سوطان يسوقان العبد الى هذه الحالة التي
 هو ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر
 الموت لينقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت * والعارف قد مات
 مرة في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت فانه قد ترفع
 وتنزه عن الالتفات الى الآخرة ايضا فضلا عن الدنيا * وقد

(١) وفي النسخة الكردية كالتحد لمذكور لست

تنقص عليه ماسوى الله تعالى ولم يبق له من الموت الاكشف
الغطاء ليزداد به وضوحا لا يزداد يقينا وهو معنى قول على
رضي الله عنه ﴿ لو كشف الغطاء ما زددت يقينا ﴾ فان الناظر الى
غيره من وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقينا بل وضوحا
فقط * فاذا ذكر الموت يحتاج اليه من لقلبه التفات الى الدنيا
ليعلم انه سيفارقها فلا يمتكف بهمة عليها ولذلك قال عليه السلام
ان روح القدس نفث في روعي احب ما احببت فانك مفارقة
وعش ماشئت فانك ميت * واعمل ماشئت فانك مجزي به *

﴿ فصل ﴾

لعلك تستهي ان تعرف حقيقة الموت وماهيته ولن تعرف
ذلك مالم تعرف حقيقة الحياة ولن تعرف حقيقة الحياة مالم
تعرف حقيقة الروح وهي نفسك وحقيقتك وهي اخفى
الاشياء عنك ولا تطمع في ان تعرف ربك قبل ان تعرف
نفسك واعني بنفسك روحك التي هي خاصة الامر المضافة الى
الله تعالى في قوله ﴿ قل الروح من امر ربي ﴾ وفي قوله ﴿ ونفخت
فيه من روحي ﴾ دون الروح الجسماني اللطيف الذي هو حامل

قوة الحسن والحركة التي تنبعث من القلب وتنتشر في جملة
 البدن في تجاوير العروق الصوارب فيفيض منها نور حس
 البصر على العين ونور السمع على الاذن - وكذا ساير القوى
 والحواس كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا
 ادير في جوانبه فان هذه الروح تشارك البهائم فيها وتنشق
 بالموت لانه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الاخلاط
 فاذا انحل المزاج بطل كما يبطل النور الفايض من السراج
 عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه او بالنفخ فيه وبانقطاع
 الغذاء عن الحيوان تفسد هذه الروح لان الغذاء له كالدهن للسراج
 والقتل له كالنفخ في السراج وهذه هي الروح التي يتصرف
 في تعديلها وتقويتها علم الطب * ولا تحمل هذه الروح المعرفة
 والامانة بل الحمل للامانة الروح الخاصة للانسان * ونعني بالامانة
 تقلد عهدة التكليف بان يتعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة
 والمعصية * وهذه الروح لا تموت ولا تقنى بل تبقى بعد الموت
 اما في نعيم وسعادة او جحيم وشقاوة فانه محل المعرفة والتراب
 لا يأكل محل الايمان والمعرفة اصلا كما نطقت به الاخبار

وشهدت له شواهد الاستبصار ولم يأذن الشرع في ذكر تحقيق
 صفته اذ لا يحتمله الا الراسخون في العلم وكيف يذكر * وله
 من عجائب الاوصاف ما لم يحتمله اكثر عقول الخلق في حق
 الله تعالى فلا تطمع في ذكر حقيقته * وانتظر تلويحا يسيراً
 في ذكر صفته بعد الموت *

﴿ فصل ﴾

هذه الروح لا تنفى البتة ولا تموت بل تتبدل بالموت حالها
 فقط ويتبدل منزلها فتترقى من منزل الى منزل والقبر في
 حقها اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
 اذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها البدن واقتناصها
 اوائل المعرفة به بواسطة شبكة الحواس * فالبدن آتيا ومركبها
 وشبكته * وبطلان الآلة والمركب والشبكة لا توجب بطلان
 الصايد * نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فيبطلانه
 غنيمة اذ يتخلص من ثقله وحمله * ولذلك قال عليه السلام ﴿ الموت
 تحفة المؤمن ﴾ وان بطلت الشبكة قبل الصيد عظمت فيه
 الحسرة والندامة والالام * فلذلك يقول المقصر * رب ارجعوني

لعلي اعمل صالحا فيما تركت * بل ان كان ألف الشبكة واحبها
وتعلق قلبه بها وحسن صورتها وصنعتها وما يتعلق بها كان له
من العذاب ضعفان ﴿ احدهما ﴾ حسرة فوات الصيد الذي
لا يقتنص الابشبكة البدن ﴿ والثاني ﴾ زوال الشبكة مع تعلق
القلب بها وألفه لها * وهذا مبداء من مبادي معرفة عذاب
القبر ان استقصيته تحفته قطعا *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهي الاستقصاء المفضى الى التحقيق ﴿ فاعلم ﴾ ان هذا
الكتاب لا يحتمله فاقنع منه بانموذج يسير * وافهم ان معنى
الموت زمانة البدن وانت تعرف ان زمانة اليد ^(١) خروجه عن
طاعتك مع وجود شخصها ببطان القوة التي بواسطتها
تستعمل اليد * فافهم ان الموت زمانة مطلقة في جميع الاعضاء
ببطان قواها فيسلب الموت منك يدك ورجلك وعينك وساير
حواسك وانت باق اعنى حقيقتك التي أنت بها انت ^(٢) فانك
الآن الانسان الذي كنت في الصبي ولعله لم يبق فيك من

(١) وفي نسخة زمانة البدن (٢) وفي النسخة الكردية حقيقتك التي بها أنت

تلك الاجسام شيء بل انجل كلها وحصل بالغذاء بدلها وانت
انت وجسدك غير ذلك الجسد * فان كان لك معشوق تفتقر
فيه الى حواسك عظم عذابك بفراق معشوقك * وجميع ملاذ
الدنيا معشوق ولا تنال الا بالحواس * ولا فرق في عذاب
العاشق بين ان يحجب عنه معشوقه وبين ان يفقأ عينه او
يسلب هو عنه بان يحمل الى موضع حتى لا يراه فان ألمه من
عدم الرؤية ومن احب اهله وماله وعقاره وفرسه وجاريتيه
وثيابه يألم بفراقها سواء سلبت هذه الاشياء عنه أو سلب هو
عنها بان حمل الى موضع آخر وحيل بينه وبينها * فالموت
يسلبك هذه الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون عذابك
بقدر عشقك لها * والموت يخلى بينك وبين الله تعالى ويقطع
عنك هذه الحواس الشاغلة المشوشة فتكون لذتك في القدم
على الله تعالى بقدر حبك له وانسك بذكره * ولاجل هذا
نبهك * وقال الله تعالى ﴿ انا بذكرك اللازم فالزم بذكرك ﴾ واجمع العبارات
عن نعيم الجنة ان لهم فيها ما يشتهون * واجمع العبارات لعذاب
الآخرة قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون * ولا ملذ الا الشهوة

ولكن عند مصادمة المشتهى ولا مولى الا الشهوة ولكن
عند مفارقة المشتهى * ولا ينبغي ان تغتر الآن وتقول ان كان
هذا سبب عذاب القبر فان في امان منه اذ لا علاقة بين قلبي
وبين متاع الدنيا فان هذا لا تدركه بالحقيقة ما لم تطرح الدنيا
وتخرج عنها بالسكينة * فكم من رجل باع جارية على ظن انه
لا علاقة بينه وبينها * فلما اخذها المشتري اشتعل في قلبه من
نيران الفراق واحترق بها احتراقا ربما ألقى نفسه في الماء
والنار ليقتل نفسه ويتخلص منها * فكذلك يكون حالك في
القبر في كل ما يتعلق به قلبك من الدنيا * ولذلك قال لمصطفى
عليه السلام ^(١) احب ما احببت فانك مفارقة ووراء هذا
عذاب اعظم منه وهو حسرة الحرمان عن القرب من الله
تعالى والنظر الى وجهه الكريم * وينكشف بالموت عظم قدر
ماقات منه وان كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت لان الموت
سبب الانكشاف ما لم تكن المكاشفة قبله كما ان النوم سبب
انكشاف الغيب بمثال أو غير مثال * والنوم أخ الموت ولكنه

(١) قوله قال لمصطفى (أي جبريل) وفي نسخة قال مصطفى

دونه يكبر^(١) فهذان عذابان يتضاعفان على كل ميت كان غير الله تعالى احب اليه من الله تعالى * وكان أنسه بغير الله تعالى اكثر من أنسه بالله وهما ضروريان^(٢) ان عرفت بالحقيقة الروح وبقاءه بعد الموت وعلايقه وما يضادّه بالطبع وما يوافقّه بالطبع *

﴿ فصل ﴾

لعمرك تقول المشهور عند اهل العلم ان الانسان يعدم بالموت ثم يعاد وان عذاب القبر يكون بنيران وعقارب وحيات وما ذكرته بخلاف ذلك ﴿ فاعلم ﴾ ان من قال ان الموت معناه العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد ويقاع الاستبصار جميعا * اما حرمانه عن ذرورة الاستبصار فلا تدرکه ما لم تستبصر واما حرمانه عن التقليد فتعريفه بتلاوة الآيات والاخبار * قال الله تعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين ﴾ الآية هذا في السعداء * واما في الاشقياء فقد ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر

(١) وفي النسخة المصرية يكتر (٢) وفي نسخة ضروريان بعرفهما

لما قتلوا فكان يقول يا فلان يا فلان يذكر واحداً واحداً من
صناديدهم * فقد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات * فقال عليه
السلام والذي نفسى بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم لكنهم
لا يقدرون على الجواب * وقال عليه السلام الموت هو القيامة
ومن مات فقد قامت قيامته * واراد بهذه القيمة الصغرى
والقيمة الكبرى يكون بعده * وشرح قيامة الصغرى ان
اردته فاطلبه من كتاب الصبر من كتب الاحياء * والاعخبار
في الدلالة على بقاء ارواح الموتى وشعورهم مما يجرى في هذا
العالم ايضا كثيرة *

﴿ فصل ﴾

اما قولك ان المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران والمقارب
والحيات فهذا صحيح وهو كذلك ولكني اراك عاجزا عن
فهمه ودرك سره وحقيقته الا اني انبهك على انموذج منه
تشويها لك الى معرفة الحقايق والتشمر الاستعداد لامر الآخرة
فانه نبأ عظيم انتم عنه معرضون * فقد قال عليه السلام المؤمن

في قبره في روضة خضراء قد فرّج له قبره سبعين ذراعا ويضيء
 وجهه حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت
 فان له معيشة ضنكا * قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر
 في قبره يسלט عليه تسعة وتسعون تينا هل تدرون ما التين
 تسع وتسعون حبة لكل حبة تسعة رؤس ينهشونه ويلحسونه
 وينفخون في جسمه الي يوم يبعثون^(١) فانظر الى هذا الحديث
 واعلم ان هذا حق على الوجه الذي شاهده ارباب البصائر
 ببصيرة اوضح من البصر الظاهر * والجاهل ينكره اذ يقول
 اني انظر في قبره فلا ارى ذلك اصلا * فليعلم الجاهل ان هذا
 التين ليس خارجا عن ذات الميت اعنى ذات روحه لا ذات
 جسده فان الروح هي التي تتألم وتنعم بل كان منه قبل موته
 متمكنا من باطنه لـكنه لم يكن يحس بلدغه لـحدر كان فيه لـغلبة
 الشهوات فاحس بلدغه بعد الموت * وليتحقق ان هذا التين
 مركب من صفاته وعدد رؤسه بقدر عدد اخلاقه الذميمة
 وشهواته لمتاع الدنيا واصل هذا التين حب الدنيا * وتشعب

(١) وفي النسخة العراقية ينحشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه

عنه رؤس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيا من الحسد والحقد والرياء
 والكبر والثروة والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة
 والبغضاء * وأصل ذلك معلوم بالبصيرة * وكذلك كثرة
 رؤسه اللداعة أما انحصار عدد هاهنا في تسعة وتسعين انما يوقف عليه
 بنور النبوة فقط * فهذا التنين متمكن في صميم فؤاد الكافر
 لا بمجرد دجهه بالكفر بل لما يدعو اليه الكفر كما قال الله تعالى
 ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة * وقال الله تعالى
 اذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها الآية * وهذا
 التنين لو كان كما تظنه خارجا من ذات الميت لكان أهون
 اذ ربما يتصور ان ينحرف عنه التنين أو ينحرف هو عنه لابل
 هو متمكن من صميم فؤاده تلدغه التنين لدغاً أعظم مما تفهمه
 من لدغ التنين وهو بعينه صفاته التي كانت معه في حياته كما
 ان التنين التي تلدغ قلب العاشق اذا باع جاريته هو بعينه
 العشق الذي كان مستكناً في قلبه استكناً النار في الحجر وهو
 غافل عنه فقد انقلب ما كان سبب لذته سبب الله * وهذا
 سر قوليه عليه السلام انما هي اعمالكم ترد عليكم وقوله تعالى

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من
سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه
والله رؤوف بالعباد) بل سر قوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين
لتزورن الجحيم) أى ان الجحيم فى باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين
لتزورها قبل أن تدركوها بعين اليقين بل هو سر قوله
تعالى (ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطه بالكافرين) ولم
يقبل انها ستحيط بل قال هى محيطه * وقوله تعالى (انا اعتدنا
للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها) ولم يقل يحيط بهم وهو معنى
قول من قال ان الجنة والنار مخلوقتان * وقد انطق الله لسانه
بالحق ولعله لا يطلع على سر ما يقوله فان لم تفهم بعض معاني
القرآن كذلك فليس لك نصيب من القرآن الا فى قشوره كما
ليس للبهيمة نصيب من البر الا فى قشوره الذى هو التبن
والقرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف اصنافهم ولكن
اغتداؤهم به على قدر درجاتهم * وفي كل غذاء نخ ونخاله وتبن
وحرص الحمار على التبن اشد منه من الخبز المتخذ من اللب
وانت شديد الحرص على أن لا تفارق درجة البهيمة ولا تترقى

الى رتبة الانسانية بل الى الملكية فدونك والانسراح في
رياض القرآن ففيه متاع لكم ولا نعامكم *

﴿فصل﴾

فان قلت فهل يتمثل هذا التين تمثلا تشاهده مشاهدة تضاهي
ادراك البصر أم هو تألم محض في ذاته كتألم العاشق اذا
حيل بينه وبين معشوقه ﴿فاقول﴾ لا بل يتمثل لك حتى تشاهده
ولكن تمثلا روحانيا لاعلى وجه يدركه من هو بعد في عالم
الشهادة اذا نظر في قبره فان ذلك من عالم الملكوت * نعم
العاشق أيضا قد ينام فيتمثل له حاله في المنام فربما يرى حية
تلدغ صميم فؤاده لانه بعد بالنوم من عالم الشهادة قليلا فيتمثل
له حقائق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة منكشفا له من عالم
الملكوت والموت أبلغ في الكشف من النوم لانه أعمق
لنوازع الحس والخيال وأبلغ في تجريد الروح عن غشاوة هذا
العالم فلذلك يكون ذلك التمثل تاما متحققا دائما لا يزول فانه
نوم لا ينتبه منه الا يوم القيامة (لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ﴿واعلم﴾ ان المتيقظ

بجنب النائم ان كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النائم فذلك غير
مانع من وجود الحية في حقه وحصول الالم به * فكذلك
حال الميت في القبر *

﴿ فصل ﴾

لملك تقول قد أبدعت قولا مخالفا للمشهور منكر عند الجمهور
اذ زعمت أن أنواع عذاب الآخرة يدرك بنور البصيرة
والمشاهدة ادراكا مجاوزا حد تقليد الشرائع فهل يمكنك ان
كان كذلك حصر اصناف العذاب وتفاصيله * ﴿ فاعلم ﴾ أن
مخالفتي للجمهور لا أنكره وكيف تنكر مخالفة المسافر للجمهور
فإن الجمهور يستقرون في البلد الذي هو مسقط رؤسهم ومحل
ولادتهم وهو المنزل الاول من منازل وجودهم * وانما يسافر
منهم الآحاد ﴿ واعلم ﴾ أن البلد منزل البدن والقالب * وانما منازل
الروح الانسانية عوالم الادراكات * والمحسوسات منزله الاول
والتخييلات منزله الثاني * والموهومات منزله الثالث * وما
دام الانسان في المنزل الاول فهو دود وفراش * فان فراش
النار ليس له الا الاحساس ولو كان له تخيل وحفظ للتخيل

بعد الاحساس لما تهافت على النار مرة بعد اخرى * وقد تأذى
 بها أولا فان الطير وسائر الحيوان اذا تأذى في موضع بالضرب
 يفر منه ولم يعاوده لانه بلغ المنزل الثاني وهو حفظ المتخيلات
 بعد غيوبتها عن الحس * وما دام الانسان في المنزل الثاني
 بعد فهو بهيمة ناقصة انما حده أن يحذر عن شيء تأذى به مرة
 وما لم يتأذى بشيء فلا يدري انه يحذر منه وما دام في المنزل
 الثالث وهو الموهومات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلا فانه قد
 يحذر من الاسد اذا رآه أولا وان لم يتأذى به قط فلا يكون
 حذره موقفا على ان يتأذى به مرة بل الشاة ترى الذيب أولا
 فتحذره * وترى الجمل والبقر وهما أعظم منه شكلا وأهول منه
 صورة ولا تحذرهما اذ ليس من طبيعها ابداء * وهوؤلاء الى الآن
 تشاركهم البهائم ^(١) فبعد هذا يترقى الانسان الى عالم الانسانية
 فتدرك أشياء لا يدخل في حس ولا تخيل ولا وهم ويحذر به
 الامور المستقبلية ولا يقتصر حذره على العاجلة اقتصار حذر
 الشاة على ما يشاهده في الحال من الذيب ومن ههنا يصير الى

(١) وفي النسخة الدمشقية تشاركه البهائم

حقيقة الانسانية^(١) الحقيقة هي الروح المنسوبة الى الله تعالى في قوله ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ وفي هذا العالم يفتح له باب الملكوت فيشاهد الارواح المجردة عن كسوة التليس وغشاوة الاشكال وهذا العالم لا نهاية له * أما عوالم المحسوسات والتمخيلات والموهومات فمتناهية لانها مجاورة للاجسام وملتصقة بها * والاجسام لا يتصور ان يكون غير متناهية والسير في هذا العالم مثاله المشي الى الخيال على الماء ثم يترقى منه الى المشي في الهواء ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى صلوات الله عليه وسلامه مشى على الماء فقال عليه السلام ﴿ نعم ولو ازداد يقيناً لمشي في الهواء ﴾ وأما التردد على المحسوسات فهو كالمشي على الارض وبينها وبين الماء عالم يجري مجرى السفينة وفيها يتولد درجات الشياطين حتى يجاوز الانسان عوالم البهائم فيذهب الى عالم الشياطين * ومنه يسافر الى عالم الملائكة وقد ينزل فيه ويستقر - وشرح ذلك يطول وهذه العوالم كلها منازل الهدى ولكن الهدى المنسوب الى

(١) وفي النسخة الدمشقية من حقيقة الانسانية

الله تعالى يوجد في هذا العالم الرابع وهو عالم الارواح وهو قوله تعالى ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ ومقام كل انسان ومحلته ومنزله في العلو والسفل ^(١) بقدر ادراكه وهو معنى قول علي رضي الله عنه ﴿ الناس أبناء ما يحسنون ﴾ فالانسان بين أن يكون دوداً أو حماراً أو فرساً أو شيطاناً ثم يجاوز ذلك فيصير ملكاً * وللملائكة درجات * فمنهم الارضية * ومنهم السماوية ومنهم المقربون المترفعون عن الالتفات الى السماء والارض القاصرون نظرهم على جمال الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه خاصة وهم أبداً في دار البقاء اذ ملحوظهم على الوجه الباقي وما عدا ذلك فالى الفناء مصيره اعني السماء والارض وما يتعلق بهما من المحسوسات والمتخيلات والموهومات وهو معنى قوله ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ وهذه العوالم منازل سفر الانسانية يترقى من حضيض درجة البهائم الى يفاع رتبة الملائكة * ثم يترقى من ربتهم الى رتبة العشاق منهم وهم العاكفون على ملاحظة

(١) وفي النسخة الكردية والتسفل

جمال الوجه * يسبحون للوجه ويقدمونه بالليل والنهار لا يفترون
فانظر الآن الى خسة الانسان وشرفه والى بعد مراقبه
في معارجه * والى انحطاط درجاته في تسفله وكل الآدميين
مردودون الى أسفل السافلين * ثم الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يتزقون منها فلهم اجر غير ممنون وهو جمال الوجه - وبهذا يفهم
معنى قوله تعالى ﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ﴾ الآية
لان معنى الامانة التعرض للعهدة والخطرة ولا خطر على سكان
الارض وهم البهائم اذ ليس لهم امكان الترقى من المنزل الثالث
ولا خطر على الملائكة اذ ليس لهم خوف الانحطاط الى
حضيض عالم البهائم * وانظر الى الانسان وعجائب عوالمه كيف
يعرج الى السماء العلو رقا ويهوي الى ارض الحقارة هويا
متقلدا هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلده في الوجود غيره
فيا مسكين كيف تهددني بالعاقبة وتخوفني مجاوزة الجمهور
ومخالفة المشهور وبذلك فرحى وسروري * ابن الذين
يكروهون منى ذلك الذي يشتيه قلبى * فاطو طومار الهزيان

ولا تقعنى بعد هذا بالشنان (١)

{ فصل }

وأما مطالبتك اياي بتفصيل عذاب الآخرة و ذكر أصنافه
فلا تطمع بالتفصيل فذلك داعية الى الملل والتطويل * واقنع
بذكر الاصناف فقد ظهر لي بالمشاهدة ظهورا أوضح من
البيان ان أصناف عذاب الآخرة ثلاثة أعنى الروحاني منها
حرقة المشتريات وخزى خجلة المفضحات * وحسرة فوات
المحوبات * فهذه ثلاثة أنواع من النيران الروحانية يتعاقب على
روح من آثر الحياة الدنيا الى أن ينتهي الى مقاسات النار
الجسمانية فان ذلك يكون في آخر الامر * فخذ الآن شرح
هذه الاوصاف { الصنف الاول } حرقة فرقة المشتريات
فصورته المستعارة من عالم الحس والتخيل التبين الذي
وصفه الشرع * وعدد رؤسه وهى بعدد الشهوات * ورتائل

(١) في القاموس وما يقع له بالشنان بفتح القافين يضرب لمن لا يتضح لحوادث
الدهر ولا يروعه مالا حقيقة له والقمايع تتابع أصوات الرعد والشنان
كسحاب لغة في الشنان وكغراب الماء البارد وككتاب وادبالشام انتهى

الصفات تلدغ صميم الفؤاد لدغاً مولماً وان كان البدن بمعزل عنه * فقدر في عالمك هذا ملكاً مستولياً على جميع الارض متمكناً من جميع الملاذ متمتعا بها مستهترا بالوجوه الحسان متهاكاً عليها مشعوقاً بالامارة واستعباد الخلق بالطاعة مطاعاً فيهم غافسه عدوه ^(١) واسترقه واستعمله على ملائ من رعيته في تعهد الكلاب وصار يتمتع بنعمه ويتمتع باهله وجواريه بين يديه ويتصرف في خزائنه وذخائره أمواله فيفرقها على أعدائه ومعانديه * وانظر الآن هل ترى على قلبه تيناً ذار رؤس كثيرة تلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه وهو يريد ان يبتلي بدنه بامراض وآلام ليتخلص منه فتوهم هذا فربما تشم به قليلاً من رائحة الحطمة التي فيها نار الله الموقدة التي لا تطلع الا على الافئدة اعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخذه ﴿ واعلم ﴾ ان عذاب كل ميت بقدر رؤس هذا التين * وعدد الرؤس بقدر المشتهيات فلماذا من كان افقر وتمتعه بالدنيا اقل كان العذاب عليه اخف

(١) قوله غافسه أي فاجأه وأخذه على غرة

ومن لآعلاقة له مع الدنيا اصلا فلا عقاب عليه اصلا (الصف
 الثاني) خزى خجلة المفضحات * فقدّر رجلا خسيسا رذيلا
 فقيرا عاجزا قرّبه ملك من الملوك ورفعه وقواه وخلع عليه
 وسلم اليه نيابة ملكه ومكنه من دخول حريمه وجملته خزائنه
 اعتمادا على أمانته فلما عظمت عليه النعمة طغى وبني وصار
 يخون في خزائنه ويفجر باهل الملك وبناته وسريانه وهو في
 جميع ذلك يظهر الامانة للملك ويعتقد انه غير مطلع على
 خيائنه فينما هو في غمرة فجوره وخيائنه اذ لاحظ روزنة
 فرأى فيها الملك مطالعا عليه منها* وعلم ان الملك كان يطلع عليه
 كل يوم وليلة ولكنه كان يفض عنه ويمهله حتى يزداد خبثا
 وفجورا ويزداد استحقاقا للنكال ليصب عليه في الآخرة
 انواع العذاب صبا* فانظر الآن الى قلبه كيف يحترق بنار
 الخزي والحجلة وبدنه بمعزل منه* وكيف يود أن يعذب بدنه
 بكل عذاب وينكتم خزيه فكذلك انت تتعاطى في الدنيا اعمالا
 هي مشهياتك* وتلك الاعمال ارواح وحقايق خبيثة قبيحة
 وانت جاهل بها معتقد حسنها* فيتكشف لك في الآخرة

حقايقها في صورها القبيحة فتخزي وتمجّل خجلة تؤثر عليها
 آلاماً بدنية * فان قلت كيف ينكشف الى ارواحها وحقايقها
 (فاعلم) ان ذلك لا تفهمه الا بمثال فمن جملته مثلاً ان يؤذن المؤذن
 في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام ان ييده خاتماً يختم به افواه
 الرجال وفروج النساء * فيقول له ابن سيرين هذا رأيت له لا ذاك
 قبل الصبح * فتأمل الآن انه لما بعد بالنوم قليلاً عن عالم الحس
 الجسماني انكشف له روح عمله لكن لما كان بعد في عالم التخيل
 لان النائم لا يزول تخيله غشاء الخيال بمثال متخيل وهو الخاتم
 والختم ولكنه مثال ادل على روح العمل من نفس الاذان
 لان عالم المنام اقرب الى عالم الآخرة * فالتليس فيه اضعف
 قليلاً وليس مخلو عن تليس ولا جله يحتاج الى التعبير * ولو قال
 قائل لهذا المؤذن اما تستحيى ان تختم افواه الرجال وفروج
 النساء لقال معاذ الله ان افعل هذا فلان اقدم ويضرب
 عنقني احب الي من ان افعل ذلك فهو ينكره لانه يجمله مع
 انه فعله لان روحه قاصرة عن ادراك ارواح الاشياء * وكذلك
 لو اكلت لحماً طيباً على اعتقاد انه لحم طير * فقال قائل أما

تستحي ان تأكل لحم اخيك الميت فلان لقلت معاذ الله ان
افعل ذلك ولان اموت جوعا اهون علي من ذلك فنظرت
فاذا هو لحم اخيك الميت قد طبخ وقدّم اليك ولبس عليك
فانظر كيف تختزي وتفتضح به وبدنك في معزل من ألمه
فكذلك يرى المغتاب نفسه في الآخرة ولان روح الغيبة
تمزيق اعراض الاخوان والتفكه بها * وفي عالم الآخرة ينكشف
ارواح الاشياء وحقايقها — وكذلك لو كنت ترمي حجارة الى
حائط * فقال لك قائل أما تستحي ان تفعل ذلك والحجارة ترتد
من الحائط وتقع في دارك وتصيب حدنة اولادك فقد غيبت
احداقهم كلهم قلت معاذ الله ان افعل ذلك * فقال ادخل دارك
فدخلت فاذا هو كذلك * فانظر كيف تفتضح ويحترق قلبك
تحسرا على عمالك الذي ظننته هينا وهو عند الله عظيم * وهذا
روح حسدك ل اخيك فانك تحسده ولا تضره وتنعكس
عليك ويهلك دينك وينقل حسناتك الى ديوانه وهي قرّة
عينك لانها سبب سعادة الابد فهي اعز من حدقة الولد * فاذا
انكشف لك هذه الروح * فانظر كيف تحترق بيران الفضيحة

وبدنك بمزل عنه فالقرآن كثير ما يعبر عن الارواح ولذلك قال
 تعالى في الغيبة ﴿ ائحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه ﴾
 وقال الله تعالى في الحسد ﴿ يا أيها الناس انما بعثناكم على انفسكم ﴾
 فيكفيك من الامثلة مثال الاذان والغيبة والحسد * فقس عليه
 كل فعل نهك الشرع عنه فذلك لقبح روح الفعل وحقيقته
 وحسن ظاهره اي ظاهره حسن للبصر الظاهر * وباطنه قبيح
 للبصيرة الناظرة من مشكاة نور الله تعالى * وعن هذا عبر
 الشرع حيث قال تعرض الدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شوها
 زرقاء صفتها كيت وكيت لا يراها احد الا ويقول اعوذ بالله
 منها * فيقال هذه دنياكم التي كنتم تنها لكون عليها فيصادون
 في نفوسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثرون النار عليه * وان
 اردت ان تفهم كيفية هذه الخجلة ﴿ فاسمع ﴾ حكاية رجل
 من ابناء الملوك زوج باجمل امرأة من بنات الملوك * فشرب
 تلك الليلة فسكر واخطأ باب الحجرة فخرج من الدار وضل
 فرأى ضوء سراج فقصدته على ظن انها حجرته * فدخل
 الموضوع فرأى جماعة نياما فصاح بهم فلم يجيبوه فظن انهم

نيام فطلب العروس فرأى واحدا نائما في ثياب جديد فظن انها
 العروس فضاجمها واخذ يقلبها ويفشاها ويجعل لسانه في فيها
 ويمتص ريقها متلذذاً بذلك في سكره غاية التلذذ ويتمسح
 بالرطوبات التي تصيبه من جميع بدنها على ظن ان ذلك عطر
 ادخرته له * فلما اصبح افاق فاذا هو في ناووس المجوس *
 واذا النيام موتى * وهذه عجوز شوها قريبة العهد بالموت
 عليها الخنوط وكفنها الجديد فصادف في فمه وانقه من
 رطوبات ريقها ومخاطها وعلى بدنه من قاذورات اسافلها *
 فاذا هو من قرنه الى قدمه ممتلى في قاذوراتها * ثم تفكر في
 غشيانه اياها وابتلاعه ريقها فهجم على قلبه من الخزي ماتمى
 ان يحسف الله به الارض حتى ينسى ماجرى عليه ولا يزال
 يماود ذكره ولا ينساه اصلا بل تجد نفسه ماعمله من سوء
 محضرا يودلو ان بينها وبينه امدا بعيدا * وبدنه بمعزل من هذه
 المخازى والآلام وهو في عذاب دائم في الغشيان والقيء وتذكر
 تلك المخازى ويحذر ان يطلع عليه أحد فيتضاعف حزنه فاذا
 هو باييه وجميع حشمة قد جاؤا في طلبه واطلعوا على جميع

مخازيه فهذه حال من تمتع بالدينا ينكشف له كذلك في الآخرة
 روحه وحقيقته وهي معنى قوله تعالى ﴿ وحصل ما في الصدور ﴾
 أي يمرض عليها حاصلها أي روحها وحقيقتها وهي معنى قوله تعالى
 ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ أي يكشف عن أسرار الأعمال وأرواحها
 القبيحة أو الحسنة وكما أن ألد الأطعمة رجيعة أقدروا اتن فالذ
 نعمات الدنيا وحاصلها وسرها في الآخرة أقبح وأفضح ولذلك
 شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا بالطعام وعاقبته بالرجيع
 ﴿ الصنف الثالث حسرة فوات المحبوبات ﴾ فقدّر نفسك مع
 جماعة من اقرا نك دخلتم في ظلمة فكان فيها حجارة لا يرى
 ألوانها فقال اقرا نك احمّل من هذا ما تطيق فلعله يكون فيها
 ما ينتفع بها اذا خرجنا من الظلمة فقلت فاذا أصنع بها أحمّل
 في الحال نقلها واكّد بنفسى فيها وأنا لا أدري عاقبتها ما هذا
 الا جهل عظيم فان العاقل لا يترك الراحة نقداً بما يتوقعه نسيئة
 ولا يستيقنه فأخذ كل واحد من اقرا نك ما أطلق أخذه
 وأعرضت عن ذلك تستحمقهم وتسخر بهم لأنهم ينوءون
 تحت اعبائه وثقله وأنت مره في الطريق تمدو وتضحك

منهم فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا هي جواهر و يوافيت يساوي
 كل واحد الف دينار فاقبلوا على بيعها وتوصلوا بها الى الجاه
 والنعمة وأصبحوا ملوك الارض فأخذوك فاستسخررك لتعهد
 دوابهم لينفقوا عليك في كل يوم قدرا يسيرا من فضلات
 الطعام فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة في قلبك وبدنك
 بمعزل منه وكم تقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله
 وياليتنا نرد ونعمل غير الذي كنا نعمل * فتقول لهم أفيضوا علينا
 من الماء مما أفيض عليكم * فيقولون لك هذا حرام عليك ألم
 تكن تسخر منا وتضحك علينا فلا بد وان تسخر اليوم منك
 كما سخرت منا فلا يزال ينقطع نياط قلبك من التحسر ولا
 ينفعك التحسر ولكن تتسلي وتقول الموت يخلصني من هذا
 ﴿فاعلم﴾ أن حال تارك الطاعات في الآخرة كذلك ينكشف له
 ولكن لا مطعم في الموت المخلص بل هي حسرة أبدية دائمة
 والألم يتضاعف كل يوم وان كان البدن بمعزل عنه وعنه العبارة
 بقوله تعالى أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله
 حرمها على الكافرين وكذلك يفيض على أهل المعرفة

والطاعة من أنوار جمال الوجه ما تحصل به من اللذة مبلغ
 لا يوازيه نعيم الدنيا بل يعطي آخر من يخرج من النار مثل الدنيا
 عشر مرات كما ورد به الخبر لا بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة
 بل بتضاعف الارواح كما أن الجواهر يكون عشرة أمثال
 الفرس لا بالوزن والمقدار بل بروح المالية اذ قيمته عشرة أمثاله
 ﴿واعلم﴾ ان محريم تلك اللذات وافاضتها عليهم ليس من جنس
 محريم لرجل نعمه على عبده بغضب أو باختيار حتى يتصور تغييره
 بل هو كتحريم الله تعالى على الابيض ان يكون أسود في حالة
 البياض وعلى الحار أن يكون باردا في حالة الحرارة وذلك
 لا يتصور فيه التبديل بل مثال ذلك أن يقول للعالم الكامل
 رجل شيخ هرم من الجهال الذي كان بليدا في أصل الفطرة
 ولم يمارس قط علما ولم يتعلم لغة * أفض على قلبي من دقائق
 علومك فيقول ان الله حرمه على الجاهلين معناه ان الاستعداد
 لقبوله انما يكتسب بذكاء فطري وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم
 اللغة والعربية وأمور آخر كثيرة واذا بطل الاستعداد وفات
 استحالة الافاضة كما يستحيل افاضة الحرارة على البرودة مع

بقاء البرودة فلا تظن ان الله تعالى يغضب عليك فيعاقبك
 انتقاما ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول لم يعذبي ولم يضره
 معصيتي بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم
 ﴿واعلم﴾ ان هذه الحسرة دائمة لان منشأها تضاد صفتين
 لا يزول تضادهما أبدا * مثاله ان الذي يعلق بجبل في عنقه أو
 رجله انما يتألم لتضاد الصفتين لا لصورة الجبل والتعلق لكن
 صفة الطبيعية تطلب الهوي الى أسفل والمنع القهري بالجبل
 يمانع الصفة الطبيعية فيتولد الألم فيه من تمانعهما فكذلك
 روح الانساني من الروح الروحاني الآلهي باصل فطرته فله
 بحكم الطبع حنين وشوق الى عالم العلو عالم الارواح والى
 مرافقة الملائكة الاعلى ولكن أغلال الشهوات وسلاسلها يجذبها
 الى أسفل السافلين وهي شهوات الدنيا وهي صفة عارضة قهرت
 الصفة الطبيعية ومنعتها عن نيل مقتضاها والألم يتولد من بينهما
 والنار أيضا انما تؤلم للمضادة فان الملائكة للتركيب بقاء الاتصال
 والنار تضاد الاتصال بالتفريق بين الاجزاء ولو لم يكن قد
 رأيت النار وسمعت بان شيئا لطيفا لنا يماس بدنك فيؤلمك

لاستذكرته وقلت شي لا صلاحية فيه كيف يؤلم باللمس ﴿واعلم﴾ أن
التضاد مؤلم سواء كان بسبب خارج أو داخل فان سم العقرب
في العضو يؤلم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن فلا تظن أن
الآلام كلها تدخل من خارج ﴿فان قلت﴾ أن العقرب انما
لدغت من خارج ﴿فاعلم﴾ ان ألم السن وألم العين لا يقصر عنه
وانما سببه انصباب خلط داخل مضاد لمزاج العين والسن
وليس ذلك باهون من لدغ العقرب والحية ﴿واعلم﴾ ان تضاد
الصفات في القلب يؤلم القلب ايلاًماً لا ينقص عما يؤلم السن
والعين ومثاله في أضعف الصفات ان البخيل المرأى اذا طلب
منه عطية على ملاء من الناس عند من يريد ان يعرفوه
بالسخاء يتألم قلبه لتضاد صفتين اذ البخل يتقاضاه ان لا يعطى
وحب الجاه يتقاضاه ان يعطى وقلبه بين هاتين الصفتين
كشخص ينشر بمنشار بنصفين فهذا مثال حسرة القوت
وعظما بقدر ما ينكشف من جلالة قدر الغايت ولا تعلمه
بالحقيقة في هذا العالم بل في عالم الكشف وهو نبأ عظيم
أتم عنه معرضون ﴿واعلم﴾ ان هذه الاصناف الثلاثة لها ترتيب

﴿ فالصنف الاول ﴾ الذي يلقاه الميت المذب هو حرقة فرقة
المستهيات وذلك تين حب الدنيا - ولذلك أضيف ذلك الى القبر
وانما سبق هذا لان أغلب الاشياء على قلب الميت في الحال
فراق ما يقوته في الدنيا من جاد ومال ومنصب ونعمة - ثم بعد
ذلك ينكشف له أرواح الاعمال وحقائقها القبيحة وذلك عند
الانتماء التام في الموت وبعد العهد بنشأوة صفات الدنيا * وكل
ما كان اعقابه في الموت أشد فهو للكشف أقبل فيفيض عند
ذلك عليه الخزي والفضيحة * ولذلك أضيف هذا الى القيامة لانه
وسط بين منزل القبر وبين دار القرار * ولذلك قال الله تعالى
﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ أى يوم القيامة
﴿ وأما حسرة فوت المحبوبات ﴾ فيستولى عليه آخرها عند القرار
في النار * ففيها يقول أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله
وذلك أن بعد العهد عن الدنيا بما يخفف عنه عذاب النزوع اليها *
وطول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزي الافتضاح
قان سورة عذاب الخزي تكون عند هجوم الافتضاح *
ثم يألف الفضيحة والخزي إقاما * ثم عند فتورها قليلا

تبعث حسرة الفوت اذ يظهر جلاله الفوايت ثم تبقى حسرة
الفوت آخره ويشبه ان يكون ذلك لا آخره * وهذا كله تعرفه
قطعا اذا عرفت نفسك وعرفت انك لا تموت لكن تعمي
عينك وتصم اذنك وتفلج * أعضائك فأما الحقيقة التي أنت بها
أنت فلا تفني بالموت أصلا بل يتغير حالك فقط فيبقى معك جميع
معارفك وادراكاتك الباطنة وشهواتك وانما تمذهبك بفراق
ما أحببت * وافتضاحك بظهور ما ينكشف في تلك الحال
وتحسرك على فوات ما تعرف عظم قدره بعد الموت لاقبله
وهذا كله مقدمات العذاب الحسي البدني - وذلك أيضا حق
وله ميعاد معلوم كما ورد به الآتي والخبار * فاقنع الآن بهذا
القدر فان هذا الكلام يكاد يجاوز حد مثل هذا الكتاب
ولا بد وان يحرك سلسلة الحق الجاهلين ولكنهم أحسن من
أن يلتفت اليهم * قال الله تعالى ﴿ فَأعرض عمن تولى عن
ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ فلنقتصر
على هذا ولنختم به ﴿ أصول الاربعين ﴾ لنختم به كتاب جواهر
القرآن ومن طلب مزيدا على هذا فليطلبه من كتاب ذكر

الموت من كتب الاحياء * فالغرض الاظهر من هذا الكتاب
التلويحات مع التشويق الى الاستقصاء المذكور في ذلك
الكتاب ففيه تنكشف أسرار علوم الدين ولا يقتر عن طلبه
الا مشغوف بالدنيا لا يطلب من العلوم الا ما يتخذة شبكة للحطام
وآلة لكسب الحرام فلا يناسبه علوم ذلك الكتاب ولا
يناسبها اصلا البتة * ﴿خاتمة في مناظرة النفس﴾
﴿اعلم﴾ انا قد نهنتك وشوقناك فان اعرضت عن الاصغاء
او اصغيت بظاهر قلبك كما تصنعى الى الكلام الرسمي فقد
خبت وخسرت وما ظلمت الا نفسك ﴿ومن أظلم ممن
ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا
جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا﴾ وان اصغيت اصغاء
ذي فطنة وبصر حديد وتفكرت تفكر من له قلب عتيد *
وقد أتى السمع وهو شهيد * فأخرج عن جميع ما يسدك عن
سلوك الصراط المستقيم * وما يصد عنها الا حب الدنيا والغفلة عن
الله تعالى واليوم الآخر * واجتهد ان تفرغ قلبك كل يوم ساعة

عقيب صلوة الصبح وذلك عند صفاء الذهن * فتفكر في شأنك
 وتنظر في مبدئك ومعادك * وتحاسب نفسك * وتقول لها اني
 مسافر وتاجر * وربحي سعادة الابد ولقاء الله تعالى * وخسر اني
 شقاوة الابد والحجاب عن الله تعالى * ورأس مالي عمري وكل
 نفس من الانفاس كنز من الكنوز وجوهرة من الجواهر
 اذ تجارته به سعادة الابد * وأي كنز أعظم من هذا * واذا فني
 العمر انقطعت التجارة وحصل اليأس * وهذا اليوم يوم جديد
 قد أمهاني الله تعالى فيه ولو توفاني لكنت أشتهي ان يرجعني الى
 الدنيا لا عمل صالحا * فاحسبي يا نفسى انك توفيت ورجعت الى
 الدنيا يوما واحدا * واجتهدي في هذا اليوم الواحد * وانظري
 لنفسك فان لم تمهلي للغد فقد استوفيت ربح هذا اليوم ولم
 تحسري * وان أمهلت فاستأنتي للغد مثل ذلك ولا تخدعي
 نفسك بتمني العفو فان ذلك ظن قد يكذب ولا ينفع التحسر
 ثم هب أنه قد عفى عنك أليس قد فاتك ثواب المحسنين
 وناهيك به حسرة وندامة * فاذا قالت نفسك ماذا أعمل وكيف
 اجتهد * فتقول أتركي ما يفارقك بالموت والزمي بدك اللازم

وهو الله تعالى واطلبي الانس بذكره * فاذا قالت فكيف اترك
 الدنيا فقد استحكمت علايقها في قلبي * فتقول اقبلي على قطع
 علايقها من باطن القلب كما أعلمناك في الاصول العشرة من
 المهلكات * ففتشى عن أغلب علاقة من علايقها من حب مال
 أو جاه أو حسب أو عداوة أو شهوة بطن أو فرج أو غير
 ذلك من المهلكات فليس الا أن يتفكر في عظم آفاتها وإيهالاكها
 اياك * فتنبعث لمجاهدتها ومخالفة مقتضاها فقد تخلصت
 منها وأيدك الله بتوفيقه ومعاونته * فقد رى انك مريضة العمر
 مدة الحياة وقد أنباك طبيب تظني صدقه أن ملاذ الاطعمة
 تضرك وان الادوية البشعة تنفعك ألت تتصبرين بقوله على
 مرارة الدواء طمعا في الشفاء * ألت تتصبرين على الكد والتعب
 في السفر الطويل طمعا في الاستراحة في المنزل وأنت مسافرة
 ومنزلك الآخرة * والمسافر لا يستريح ويحمل التعب والكد
 فان استراح انقطع في الطريق وهلك * ويقول يا نفس ما الذي
 تطلبين من الدنيا ان طلبت المال ووجدته وهيات فتكون في
 اليهود جماعة أغنى منك * وان طلبت الجاه ونلت وهيات

فيكون في أجلاف الاتراك وحمقى الا كرادمن يستولى عليك
 ويكون جاهه أعظم من جاهك * فان كنت لاتدركي آفة الدنيا
 وشدة عذابها في الآخرة وبلائها أفلا تترفعين عنها لحسة
 شركائها أما تعلمين انك لو أعرضت عن الدنيا وأقبلت على
 الآخرة كنت وحيد الدهر فريد العصر لا يوجد في الاقاليم
 نظيرك * وان طلبت الدنيا كان في اليهود والحمقى من سبقك
 بها * فأف لدنيا سبقك بها خير * فنفكري يا نفس وانظري لنفسك
 فلا ينظر لك أحد غيرك * وكذلك لاتزال تناظر نفسك حتى
 تطاوعك على سلوك الصراط المستقيم الى الله تعالى * فهذه
 المناظرة أهم لك ان كنت عاقلا من مناظرة الحنفية والشفعية
 والمعتزلة وغيرهم فلم تعادهم وتجادلهم ولا يضررك خطوهم
 ولا خطأ غيرهم ولا هم يقبلون منك ولا أنت تقبل منهم
 الصواب وان صار أظهر من الشمس وتترك أعدى عدوك
 بين جنبيك لاتنازعه ولا تناظره بل تساعده على ما يطالبك
 به من شرواه الباطلة الباطنة * فتستنبط بالفكر الدقيق الحيل
 لقضاء الشهوة هل هذا الآعين الانعكاس والانتكاس على قبة

الرأس فهل رأيت قط رجلا يشاهد تحت ثوبه حيات وعقارب
 أقبات عليه لتهلكه فأخذ المروحة ليدفع الذباب عن وجه غيره
 فهل يستحق من يفعل ذلك الا الخزني (فاعلم) ان هذا حالك في
 اشتغالك بمناظرة غيرك واعراضك عن مناظرة نفسك * وفي هذا
 المعرض ينكشف لك روح عمالك يوم تبلى السرائر كما نبهتك
 على كيفية مكاشفات الآخرة بأسرار الاعمال وأرواحها * وما
 لم تناظر نفسك مدة طويلة لا تحملك لمناجات ربك وذكره
 والاقبال عليه * ثم طريقك مع النفس اذا خانقتك ان تعاقبها بما
 يجرها * وتعلم انها كالكلب لا يتأدب الا بالضرب وان أردت
 ان تتعلم طريق مناظرتها ومراقبتها ومحاسبتها ومعاقبتها * فاطلبه
 من كتاب المحاسبة والمراقبة * فان هذا الكتاب لا يحتمله والله
 تعالى يوفقنا وإياك بفضل وجوده وكرمه (تم)

بعد الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله * يقول مصححه
 ونشره المفتقر الى رحمة ربه المعيد المبدى * المحتاج الى عفوه تعالى محيي
 الدين الكردي * لما كانت كتب الامام الغزالي على الاطلاق * كملاج
 ناجع لدواء الاخلاق بالاتفاق * وكان من بينها (كتاب الاربعين)

الذي جمعه قسما مستقلا من كتابه جواهر القرآن هو الآية الكبرى في البيان والحجة البالغة عند ذوي العرفان ومتهى ما نصل اليه في التفصيل قوة الانسان * وكنا في زمن احوج الى تقويم الاخلاق وتربية النفوس على الوفاق * وقدنا المرشد الحقيقي الصافي الجوهر النقي وكان هذا الكتاب مع ما اشتمل عليه من نفائس الحكم وجوامع الكلم قد جرّ عليه الدهر ذيل النسيان وسدل عليه ليل الجهالة رداء الاختفاء عن العيان * أتاح لي القدر ان عثرت على نسخة من اصح النسخ فوجدت (مصر) مع انتشار الكتب فيها وكثرة المطابع بها خلوا من مثل هذا السفر الذي كان حقه ان يكتب بمداد التبر * فتاقت نفسي الى طبعه وتعميق ارجاء المكاتب بنشره فوجدت مع بعض كبار مشايخ الاكراد نسخة قديمة من اصح النسخ منه مكتوبة في قرن سابع الاسلامي * فاصطحبتها لا قابل ما فيها على ما في نسختي * ثم وجدت نسخة دمشقية وأخرى مصرية فصار اربع نسخ جمعتها وقابلتها حتى استخلصت من بينها نسخة خرجت بريشة من الخطل سليمة من التحريف والزلال * ثم بذلت جهد المستطاع في تصحيحها ولم ادع ذرة من الافكار في تقيحها حتى بدت في عالم المطبوعات درة فريدة وخليقة الافكار خريدة وحيدة (امام موضوع الكتاب) فاسسه يفتي عن بيانه * وعنوانه يكفي عن بيانه فقد جمع مكارم الاخلاق و بث روح الحياة والوفاق * فهو في نصحه مرشد عارف وفي وعظه حكيم

واصف * قد سبر الاخلاق مريضها وسليمها وقوم المعوج منها فتراه
يحدث عن العيوب فيها كانه المشاهد * ويحكى عن فضائلها حديث
الرائي لها والشاهد لاسيما الفقه بعد الاحياء وكيماء السعادة وغيرها
فهو زبدة الكل * وقد تجز طبعه في يوم الاربعاء الموافق (٥) رجب
سنة ١٣٢٨ هجرية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية

﴿ فهرست كتاب الاربعين في اصول الدين للامام الفزالي ﴾
﴿ القسم الاول في جمل العلوم واصولها وهي عشرة ﴾

صفحة

- | | |
|--|----|
| ﴿ الأصل الأول في الذات ﴾ | ٣ |
| ﴿ الأصل الثاني في التقديس ﴾ | ٤ |
| ﴿ الأصل الثالث في القدرة ﴾ | ٥ |
| ﴿ الأصل الرابع في العلم ﴾ | ٦ |
| ﴿ الأصل الخامس في الارادة ﴾ | ٠ |
| الكلام في المعتقدات القدرية والجبرية والممتزلة الخ | ١٠ |
| الكلام في تعريف القضاء والقدر وتوضيح البحث | ١٤ |
| فيها بمثال صندوق الساعات | |

- ١٩ ﴿ الاصل السادس في السمع والبصر ﴾
- ٢٠ ﴿ الاصل السابع في الكلام ﴾
- ٢١ ﴿ الاصل الثامن في الافعال ﴾
- ٢٢ ﴿ الاصل التاسع في اليوم الآخر ﴾
- ٢٤ ﴿ الاصل العاشر في النبوة ﴾
- ٢٥ خاتمة في التنبيه على الكتب التي تطلب فيها حقيقة
هذه العقيدة
- ٢٩ (القسم الثاني في الاعمال الظاهرة وهي ايضا عشرة اصول)
- ٠٠ الاصل الاول في الصلوة والكلام في التحفظ عليها
- ٣٦ الاصل الثاني في الزكاة والصدقة وبيان بعض اسرارها الخ
- ٤١ ﴿ الاصل الثالث في الصيام ﴾
- ٤٢ الكلام في ان طب القلوب قريب من طب الابدان
- ٤٣ الكلام في درجات اسرار الصوم
- ٤٤ ﴿ الاصل الرابع في الحج وادابه واسراره ﴾
- ٤٧ ﴿ الاصل الخامس في قراءة القرآن ﴾

- ٤٩ الكلام في مقدار القراءة وبيان اسرارها والتدبر فيها
- ٥٤ الكلام في ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلما
- ٥٨ الاصل السادس ذكر الله عز وجل في كل حال وله اقسام
- ٦٢ الكلام في الفناء في النفس والفناء في الله والذهاب اليه
- ٦٦ الكلام في ان القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف الخ
- ٧١ (الاصل السابع في طلب الحلال)
- ٧٢ فصل في ان طيب المطعم له خاصية في تصفية القلب الخ
- ٧٨ فصل اياك تشدد على نفسك فتقول اموال الدنيا كلها حرام
- ٨٣ (الاصل الثامن في القيام بحقوق المسلمين وحسن الصحبة معهم وكيفية المعاشرة مع عموم الخلق وغير ذلك من الاخلاق والآداب الفاضلة)
- ٩٤ فصل من اصول الدين في امر الصحبة اتخاذ الاخوان في الله
- ٩٦ الاصل التاسع في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١٠٠ فصل في ان عمدة الحسبة شيثان الخ
- ١٠٦ الاصل العاشر في اتباع السنة

- ١١٦ (القسم الثالث في تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة
وهي ايضاً عشرة اصول)
- ١١٧ الاصل الاول شره الطعام
- ١١٨ فصل في تعظيم الجوع ومناسبته لطريق الآخرة الخ
- ١٢٣ الاصل الثاني شره الكلام
- ١٢٤ فصل ان للسان عشرين آفة الخ
- ١٢٥ فصل في تفصيل بعض هذه الآفات الخ
- ١٢٦ فصل في ان الكذب حرام في كل شيء الا لضرورة
- ١٢٩ الآفة الثانية الغيبة
- ١٣٢ فصل في ان علاج النفس وكفها عن الغيبة ان يتفكر
في الوعيد الوارد فيها
- ١٣٣ الآفة الثالثة المراء والمجادلة
- ١٣٤ الآفة الرابعة المزاح الخ
- ١٣٥ الآفة الخامسة المدح * وفي المدح ست آفات الخ
- ١٣٧ فصل حق على المدوح ان يتأمل في خطر الخاتمة الخ

- ٠٠٠ (الاصل الثالث في الغضب)
- ١٣٩ فصل في بيان دواء الغضب وعلاجه
- ١٤١ (الاصل الرابع في الحسد)
- ١٤٢ فصل في ان الحسد من الامراض العظيمة للقلب ولا
يذاوى الا بمعجون العلم والعمل
- ١٤٣ فصل في عدم مطاوعة النفس الخ
- ١٤٤ (الاصل الخامس في البخل وحب المال)
- ١٤٥ فصل في ان اصل البخل حب المال
- ١٤٧ فصل ان المال ليس مذموما من كل وجه
- ١٤٩ فصل في معرفة مقدار الكفاية من المال
- ١٥٣ فصل في معرفة حد البخل
- ١٥٤ فصل في فهم علاج البخل الى آخره
- ١٥٥ (الاصل السادس الرعونة وحب الجاه)
- ١٥٦ فصل في ان حقيقة الجاه ملك القلوب
- ١٦١ فصل في طريق قمع حب المال من القلب

- ١٦٢ فصل في ان الباعث في طلب الجاه حب المدح
١٦٤ الأصل السابع حب الدنيا وانه رأس كل خطيئة
١٦٦ فصل في ان هذه الدنيا المذمومة هي بعينها مزرعة الآخرة
١٦٧ فصل من عرف نفسه عرف ربه وعرف زينة الدنيا
وعرف الآخرة
١٧٢ الاصل الثامن في الكبر
١٧٤ فصل في ان حقيقة الكبر ان يرى نفسه فوق غيره الخ
١٧٥ فصل في العلاج الجملي كقمع وذيلة الكبر
١٨٢ الاصل التاسع العجب
١٨٣ فصل في ان حقيقة العجب استعظام النفس الخ
٠٠٠ فصل في ان العجب جهل محض فملاجه العلم المحض
١٨٥ فصل من العجائب ان يعجب العاقل بعلمه وعقله الخ
١٨٦ الاصل العاشر في الرياء
١٨٨ فصل في ان حقيقة الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس الخ
١٩٢ فصل في ان الرياء على درجات الخ

- ١٩٥ فصل في ان بعض الرياء جلي وبعضه أخفى من ديب النمل
- ١٩٧ فصل لملك تقول ما اقدر على انفكاك الرياء الخفي الخ
- ١٩٩ فصل في معالجة الرياء الخ
- ٢٠٤ (خاتمة في مجامع الاخلاق ومواقع الغرور فيها)
- ٢٠٨ فصل طريق اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة والرياضة
- ٢١٠ فصل انك تظن بنفسك حسن الخلق وانت عاطل عنه
- ٢١١ فصل ينبغي ان تفقد هذه الاخلاق من قلبك وتبدأ بالاهم
- ٢١٣ فصل لملك تقول عواقب امور الدنيا قد انكشف لي بالعيان واطمان قلبي اليها وأما امر الآخرة فلم اشاهده الخ
- ٢١٧ القسم الرابع في الاخلاق المحمودة وهي ايضا عشرة اصول
- ٠٠٠ الاصل الاول التوبة فانها مبدء طريق السالكين
- ٠٠٠ فصل في أن حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الخ
- ٢١٨ فصل اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة الخ
- ٢٢١ فصل التوبة اذا اجتمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة
- ٢٢٢ فصل علاج التوبة حل عقدة الاصرار

صحيفة

- ٢٢٥ فصل التوبة من الذنوب كلها مهبة الخ
 ٢٢٧ (الاصل الثاني في الخوف)
 ٢٢٩ فصل في ان علاج الخوف وتحصيله على ربتين الخ
 ٢٣١ فصل في ان الخوف سوط يسوق العبد الى السعادة
 ٢٣٣ (الاصل الثالث في الزهد)
 ٢٣٥ فصل في ان للزهد في الدنيا حقيقة واصل وثمره الخ
 ٢٤٠ فصل في ان الزهد على درجات
 ٢٤١ فصل ان كمال الزهد هو الزهد في الزهد
 ٠٠٠ فصل في ان الزهد على ثلاث درجات
 ٢٤٤ (الاصل الرابع في الصبر)
 ٢٤٥ فصل في حقيقه الصبر الخ
 ٢٤٧ فصل في ان الصبر له ثلاث درجات
 ٢٤٨ فصل ان الحاجه الى الصبر عامه في جميع الاحوال
 ٢٥٢ (الاصل الخامس الشكر)
 ٢٥٣ فصل في ان الشكر من المقامات العاليه الخ

- ٢٥٨ فصل انما يتمكن في كمال الشكر من شرح الله صدره الخ
 (الاصل السادس الاخلاص والصدق) ٢٦١
 ٢٦٢ فصل حقيقة النية هي الارادة الباعثة للمقدرة المنبمثة
 عن المعرفة وفي هذا البحث خمسة فصول
 (الاصل السابع في التوكل) ٢٧٥
 ٢٧٦ حقيقة التوكل عبارة عن حالة يصدر عن التوحيد الخ
 ٢٧٧ فصل في ان هذا التوحيد له لبان وقشران الخ
 ٢٧٨ فصل حقيقة التوكل انما يستدعي توحيد الفعل الخ
 ٢٨٠ فصل لا يكفي الايمان بتوحيد الفعل الخ
 ٢٨٥ الركن الثالث في الاعمال وقد يظن الجهال ان شرط
 التوكل ترك الكسب الخ
 ٢٨٨ فصل ان ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه وقوى قلبه
 (الاصل الثامن في المحبة) ٢٨٩
 ٢٩٠ فصل ان اكثر المتكلمين انكروا محبة الله تعالى الخ
 ... فصل كل لذيذ محبوب فان قوى الميل سمي عشقا الخ

- ٢٩٦ فصل في ان العارف لا يجب الا لله تعالى الخ
٣٠٥ فصل في ان للمجبة علامات كثيرة الخ
٣٠٦ (الاصل التاسع الرضاء بالقضاء)
٣٠٧ فصل قد انكر الرضا جماعة وقالوا لا يتصور الرضاء بما
يخالف الهوى ويدكر في هذا البحث فصلان
٣١٤ (الاصل العاشر ذكر الموت)
٣١٦ فصل في ان الموت عظيم هائل وما بعده اعظم منه
٣١٩ فصل في ان اصل الغفلة عن الموت طول الأمل
٣٢٠ فصل العارف المستهتر بذكر الله مستغن عن ذكر الموت
٣٢١ فصل لعلك تشتهي أن تعرف حقيقة الموت الخ
٣٢٣ فصل هذه الروح لا تفنى البتة ولا تموت وفي هذا
البحث خمسة فصول وفيها بيان بعض المسائل المهمة
٣٣٨ فصل واما مطالبتك اياي بتفصيل عذاب الآخرة
وذكر أصنافه فلا تطمع بالتفصيل واقنع بذكر الاصناف
٣٥٢ خاتمة في مناظرة النفس الخ (تمت)

(٣٦٨)

﴿ اصلاح الخطأ والتحريف الذي وقع في هذا الكتاب ﴾

صواب	خطأ	سطر	صحيفه
ايديهم	ايدهم	٧	٩
المشهورات	للمشهورات	١	١٩
وتفهم	وتقيهم	١١	١٩
والله يضاعف	والله يضاعفها	٣	٣٦
حذرا	حذارا	١٢	٧٢
من	مع	٣	٨٩
بعضهم اولياء بعض	اولياء بعض	٣	٩٧
المفتاب	المفتات	١	٩٨
ينكحوا	ينحكوا	٢	١٥٦
اما	واما	١١	١٦٠
بجمالها	بجماله	٥	١٨٢
والباطل	والباطن	٣	٢٠٦
الموصلين	الموصولين	١٢	٢٦٣

﴿نم﴾

FRONT

fabric
bind
on,
this
side



*Restored through
a grant from*

The Cartwright Foundation

